سلسلة الفتوحات العزمية

(١٤)

الإخوان المسلمون
متى.. كيف.. ولماذا؟!!

لجنة البحوث والدراسات
بالطـريقــة العزميــة

الطبعة الأولى
جمادى الثانية ١٤٢٦هـ - يولية ٢٠٠٥م
رقم الإيداع
١١٦٥٤/ ٢٠٠٥ .

الترقيم الدولى
٩٧٧ -٥٢٧٣ -٦٣ -٣

محتويات الكتاب

الافتتاحية

الحمد لله الذى أطلع فى أفق أعلى أرواح أحبابه ضياء شمس البدء الأولية، وألاح فى سماء أفئدة أوليائه نور قمر حقائق الشرائع التفصيلية، وأنار أرض قلوبهم بلوامع أسرار الأول والآخر، واطمأنت برؤيا جمال تنوعات ظهوره فى أنواع المظاهر. صاغ أرواحهم من لطيفة (أحببت)، وأشهدهم ضياء المجلى بيوم (ألست). لاحت لهم أنوار التجلى على عرفات النفوس، وأشرقت فى أفاق قلوبهم شمس سنا مجالى القدوس.

والصلاة والسلام على درة الجوهر المصان، فى غيب الأعيان قبل البيان، عين المعنى الذى تألهت له أرواح عالين، وسجدت له الملائكة وأخذ ميثاق النبيين، لطيفة الشهود التى جذبت إليها أرواح المقربين، وهامت لها أفئدة الصديقين والشهداء الصالحين، حبيب الله وصفيه ورسوله ونجيه سيدنا ومولانا محمد.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله، صلاة تغفر بها خطئى وزللى، وتبدل سيآتى بحسنات، وأسعدنا يا إلهى بالروح والريحان، والجنة والرضوان، وأعز المسلمين واجمعهم وأيدهم.. آمين يا رب العالمين.

وبعد:

متى يمكن للكاتب أو المؤرخ أن يجد الجرأة كى يتلمس طريقه نحو تفهم ودراسة حدث تاريخى ما أو شخصية تاريخية ما؟.

مدرس خط بسيط – يعترف أن خطه ليس جيداً– بمدرسة ابتدائية بالإسماعيلية قفز على مسرح الأحداث السياسية فى مصر ليلعب واحدا من أبرز وأغرب الأدوار وليتلاعب– أو هكذا خيل إليه– بالكثير من القادة والزعماء والقوى باقتدار ودهاء.

وشتان بين ما يسميه أتباعه ومريدوه.. الإمام المرشد.. الرجل القرآنى.. الرجل الربانى.. وغيرها من عبارات التبجيل والتقديس.

وبين ما يسميه خصومه.. حسن رأس بوتين.. الشيخ الدجال.. وغيرها من عبارات التهجم والتنقيص.

والذى شدنا إلى الكتابة فى هذا الموضوع تلك الاتجاهات الجديدة بين الشباب، وظهور جماعات التكفير والهجرة والقطبيون والشوقيون والجهاد وغيرها، وعلاقة ذلك كله بدعوة حسن البنا وحقيقة أهدافه.

لذلك كان لابد من العودة إلى الجذور الأصلية لتأسيس جماعة الإخوان المسلمين بتخطيط بريطانى لعبد العزيز آل سعود، كى يتمكن الأخير من تصدير دعوة

محمد بن عبد الوهاب إلى سائر بلاد المسلمين، وبالتالى السيطرة على العالم الإسلامى عن طريق مصر، وإليكم القصة من البداية..

حين بدأ عبد العزيز آل سعود تكوين الدولة السعودية الثالثة كان يضع فى حسبانه القوى المحلية والقوى الإقليمية والقوى الدولية، تمثلت القوى الدولية فى إنجلترا، وتمثلت القوى الإقليمية فى إيران والشام والعراق ومصر، وكان معظمها تحت السيطرة البريطانية، وكان معظمها أيضاً يدين بالولاء إلى التشيع، سواء فى ذلك إيران القطب الإقليمى فى الشرق، أو أبناء الشريف حسين فى العراق وسوريا وشرق الأردن، وكان الاستثناء الوحيد هو مصر القطب الإقليمى فى الغرب، والذين يدين بالتصوف السنى، وبعد القوى الإقليمية والدولية كانت هناك القوى المحلية فى الجزيرة العربية خارج أملاك عبد العزيز فيما بين اليمن وعمان ودويلات الخليج، والشيعة أيضاً هم أهم القوى فى اليمن وفى الخليج، بالإضافة إلى الشيعة فى المنطقة الشرقية والأحساء- التى ظهرت أهميتها البترولية- والأشراف فى الحجاز.

إذن فالشيعة (العدو التاريخى لآل سعود وضحايا الغارات السعودية منذ دولتهم الأولى) هم الذين يحيطون بمملكة عبد العزيز من الشرق (إيران ودويلات الخليج)، والشمال (أبناء الشريف حسين فى العراق والأردن، وفى الجنوب اليمن).. وهم الألغام الموقوتة داخل المملكة.. إذن فلم يبق له متنفس إلا فى مصر التى تدين بالولاء للتصوف السنى، والتى إن انضمت سياسياً للقوى الشيعية فسيتم خنق الدولة السعودية الثالثة.. ومصر هى نفسها أسقطت الدولة السعودية الأولى، وأسهمت فى التنازع الداخلى الذى أسقط الدولة السعودية الثانية.. وإذن فمصير الدولة السعودية الثالثة مرتبط تحديداً بقوتين إقليميتين هما مصر وإيران، بالإضافة إلى إنجلترا القوة الدولية صاحبة النفوذ فى إقليم الشرق الأوسط كله آنذاك.

لذلك عمل عبد العزيز بالخطة المرسومة له على كسب ود إنجلترا، وعلى تحويل العمق المصرى من التدين الصوفى السنى إلى التدين الوهابى ، وساعدته الظروف السياسية المصرية والدولية وظهور البترول، وبالتأييد المصرى والبريطانى استقرت أمور عبد العزيز فى مملكته، واستطاع أن يأمن أعداءه الشيعة داخل مملكته وحولها.

فمن المعلون أن منطقة الشرق الأوسط لها قطبان أساسيان هما مصر وإيران.. والأطراف التى بينهما (الجزيرة العربية والشام والعراق) تقع فى إطار التنافس الدينى والسياسى بين القوتين المصرية والإيرانية.. لذلك جعل عبد العزيز مصر (القطب الغربى) عمقاً له، وتحالف مع القوى العالمية الغربية (إنجلترا ثم أمريكا)، وأصبح ذلك من ثوابت السياسة السعودية الخارجية.

الانفتاح على مصر :

أيقن عبد العزيز – بتخطيط بريطانى ماكر – أن صلاح العقيدة الوهابية فوق طاقة علماء نجد، فآثر أن ينفتح بها على مصر، ليأتى الاجتهاد فى تنقيح وتحديث الوهابية من مصر، بعد أن تكون مصر عمقاً استراتيجياً لدولته الوليدة، ولا ريب أن مستشاره المصرى (حافظ وهبة) كان وراء توثيق الصلة بين الجانبين.

وقد كان حافظ وهبة مهتماً بتوثيق العلاقات بين الملك عبد العزيز ومصر، يقول مثلاً فى تأريخه لأحداث الصراع بين الملك عبد العزيز والشريف حسين: (وفى سبتمبر سنة ١٩٢٥ وصل فضيلة الشيخ المراغى وكان رئيساً للمحكمة العليا الشرعية ومعه عبد الوهاب بك طلعت من موظفى السرايا، ومعهما كتاب رقيق من جلالة ملك مصر جواباً لكتاب سلطان نجد بمناسبة عزمه على زيارة مكة)، ويقول حافظ وهبة معبراً عن مشاعره: (إنه ظرف ملائم جداً وفرصة نادرة لتوثيق العلائق بين مصر ونجد، وسلطان نجد كان ولا يزال معترفاً بزعامة مصر من وجهة الثقافة والمدنية ويجب أن توطد العلائق بينه وبين مصر)[١].

وطبقاً للمخطط الإنجليزى لعبد العزيز فى التفكير المستقبلى ونشر الدعوة على مهل، فإن نفس العام ١٩٢٦ الذى شهد البديل للإخوان قبل تصفية الإخوان، وهو هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شهد انفتاحاً آخر فى نشر الدعوة الوهابية فى مصر، ويجمع بين الحادثتين أن عبد العزيز أراد تطوير الدعوة الوهابية وتخليصها من الجمود، وطالما أن ذلك متعذر فكرياً فى العقلية النجدية، فإن الفرصة قد تكون فى مصر التى يراها رائدة المدنية والثقافة على حد وصف حافظ وهبة.

ومصر فى حد ذاتها هى المشكلة الكبرى لعبد العزيز، فهى التى كانت تسيطر على الحجاز فى العصر المملوكى، واستمر نفوذها الأدبى فيه إلى أن اصطدم بإخوان عبد العزيز فى حادث المحمل، ومن الطبيعى أن يقوم بتطبيع العلاقات معها بعد استيلائه على الحجاز، ونلاحظ حرصاً زائداً من عبد العزيز ومستشاره حافظ وهبة على استمالة مصر بكل طريقة إلى السلطة الجديدة، فمصر هى أقدم دولة فى المنطقة، وكانت دولة عبد العزيز وقتئذ أحدث دولة فى المنطقة (قبل قيام إسرائيل)، ومن الممكن أن يكون العمق المصرى رصيداً للكراهية والحرب ضد الدولة الجديدة يتعامل ضدها مع الأردن والعراق حيث الأشراف (فيصل وعبد الله)، وفى اليمن، بالإضافة إلى الشيعة فى الأحساء وفى الحجاز، فيتم بمصر ذلك الحصار وتختنق دولة عبد العزيز.

ومن الممكن أيضاً أن يكون العمق المصرى رصيداً لدولة عبد العزيز ترتكز عليه فى مواجهة أولئك الخصوم المتربصين بها فى الشرق والشمال والجنوب..

---

١) حافظ وهبة: جزيرة العرب فى القرن العشرين، ص: ٢٦٨.

ومن هنا كان لابد من كسب مصر إلى جانبهم بكل وسيلة، وقد حاول عبد العزيز ومعه مستشاره الداهية حافظ وهبة ونجح.. على المستوى الرسمى أمكن تفادى حادث المحمل، وعلى المستوى الشعبى والثقافى بدأ انقلاب خطير منذ سنة ١٩٢٦م تمثل فى بداية تحويل التدين المصرى السنى الصوفى إلى تـدين وهـابى، ليكون العمق المصرى الشعبى والحضارى امتداداً للدعوة النجدية والدولة السعودية الثالثة، وكان سمسار هذا التحول فى مصر اثنين من الشيوخ الشوام وهمـا: محب الدين الخطيب، ورشيد رضا.. وعن طريق رشيد رضا بالذات تسلل الفقه الوهابى إلى مصر عبر الطرق الآتية:

١) **الجمعية الشرعية:** أسسها الشيخ محمود خطاب السبكى سنة ١٩١٣م على أساس الولاء المطلق للتصوف، وفى إخضاع الفقه للتصوف كتب الشيخ محمود السبكى أولى مؤلفاته: (أغلب المسالك المحمودية فى التصوف والأحكام الفقهية).. فى أربعة أجزاء، وكتاب (العهد الوثيق لمـن أراد سـلوك أحـسن طريـق) وغيرها.. ولكن فى ١٩٢٦م اتخذت مؤلفاته طابعاً جديداً تحت شعار الدفاع عن السنة، وبالطريقة الوهابية أخذ يهاجم التصوف تحت هذا الـشعار، وفـى هـذا الاتجاه الجديد كتب ٢٦ كتاباً إلى أن مات سنة ١٩٣١م، وعلى طريقه سار ابنه أمين السبكى فقد كتب فى الدعوة الوهابية تسعة من الكتب وتوفى سنة ١٩٦٨م، وهكذا:

وبالنفوذ السعودى الذى أرساه رشيد رضا انتشرت مساجد الجمعية الشرعية، وهى الآن أضخم جمعية فى مصر، تسيطر على أكثر من ألفى مسجد وألـوف الأئمة والوعاظ، ومئات الآلاف من الأتباع، وكانت ولا تزال الاحتياط الاستراتيجى للإخوان المسلمين، وهم- أى الجمعية الشرعية والإخوان المـسلمون- هـم مادة الفكر السلفى الوهابى وحركته فى المجتمع المصرى.

٢) **جمعية أنصار السنة:** فى نفس العام ١٩٢٦م أقامها الشيخ حامد الفقى.. أحد الأزهريين، وقد أنشأ له الملك عبد العزيز منزلاً فى حى عابدين كان مقـراً للدعوة الوهابية، وتخصصت هـذه الجمعية فى نشر الفكر الوهابى ومؤلفات ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، كما أنشأ مجلة (الهدى النبوى) سنة ١٩٣٦م ولا تزال تصدر، وأصدروا مجلة (التوحيد) لتكفير الصوفية ومحاربة سلطانهم الروحى على ملايين المصريين.

٣) **جمعية الشبان المسلمين:** أنشئت سنة ١٩٢٧م بتخطيط محب الدين الخطيب رفيق الشيخ رشيد رضا الشامى فى الدعوة السلفية، وتولى رئاستها د. عبـد الحميد سعيد، والاتجاه الحركى يغلب على هذه الجمعية وانتشرت وسط الشباب، وكان حسن البنا الساعاتى هو أهم الشباب فيها، ومع أنه أنشأ الإخوان المسلمين على غرار جماعة الإخوان التى أنشأها عبد العزيز آل سعود، إلا أن حسن البنا كان دائم التردد على جمعية الشبان المسلمين، وقد قتل أمام أبوابها سنة ١٩٤٨م.

٤) **جماعة الإخوان المسلمين:** أسست سنة ١٩٢٨ وهى الاتجاه الحركى السياسى المسلح، وكان إنشاؤها بعناية رشيد رضا وتوجيهاته(١)، ورشيد رضا هو الذى قام بتقديم الشاب حسن البنا إلى أعيان السعودية وأعمدة الدعوة الوهابية، ومنهم حافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز، ومحمد نصيف أشهر أعيان جدة، وابنه عبد الله نصيف هو الذى كان يتزعم رابطة العالم الإسلامى، والتى يتغلغل من خلالها النفوذ السعودى إلى العالم الإسلامى حتى اليوم، وهى التى لعبت دوراً فى تجنيد الشبان للذهاب إلى أفغانستان وتدريبهم هناك، خدمة للمصالح الأمريكية فى الحرب الباردة مع الروس، وهى الآن تحول دون وصولهم لأفغانستان لتحريرها من الاحتلال الأمريكى.

ونعود إلى الشيخ رشيد رضا وجهوده خارج نطاق الجمعيات لنلمح إلى تأسيسه مدرسة الدعوة والإرشاد لتخريج الدعاة فى جزيرة الروضة سنة ١٩١٢م، وكانت تجاوره مؤسسة الزهراء للسلفى الشامى محب الدين الخطيب فى نفس المنطقة، كما كانت مجلته (المنار) ذائعة الصيت متخصصة فى الدعوة الوهابية والسعودية، هذا بالإضافة إلى مؤلفاته المتخصصة (كالخلافة والسنة والشيعة)، وفيها يدعو إلى الخلافة الإسلامية، ويرى فى ابن سعود المؤهل الوحيد للخلافة، وعن طريق مطبعة المنار نشر رشيد رضا الكثير من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، وتوفى رشيد رضا بعد أن قام بتوديع الأمير سعود ولى العهد فى ميناء السويس سنة ١٩٣٥، وترك الراية يحملها وراءه تلميذه حسن البنا مؤسس الإخوان.

والشيخ حسن البنا اعترف فى مذكراته (الدعوة والداعية) بصلته بالشيخ حافظ وهبة والدوائر السعودية(٢)، والأستاذ جمال البنا شقيق حسن البنا يعترف بتلك الصلة بين شقيقه الأكبر ووالده والسلطات السعودية فى كتابه (خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه). والدكتور محمد حسين هيكل فى مذكراته عن السياسة المصرية يشير إلى معرفته بالشاب حسن البنا فى موسم الحج سنة ١٩٣٦م، وكيف أن حسن البنا كان وثيق الصلة بالسعودية ويتلقى منها المعونة، وكان البنا يمسك بيد من حديد بميزانية الجماعة، ولذلك فإن الانشقاقات عن الإخوان ارتبطت باتهام الشيخ البنا بالتلاعب المالى وإخفاء مصادر تمويل الجماعة عن الأعضاء الكبار فى مجلس الإرشاد، وعن طريق الدعم السعودى استطاع البنا – وهو المدرس الإلزامى البسيط– أن ينشئ خمسين ألف شعبة للإخوان فى العمران المصرى من الإسكندرية إلى أسوان(٣).

---

(١) يعترف الشيخ حسن البنا بعلاقته بالشيخ رشيد رضا والشيخ محب الدين الخطيب فى كتابه (مذكرات الدعوة والداعية، ص: ٦١،، ط. دار الاعتصام ١٩٨٦– القاهرة).

٢) مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، ص٩١، ط. دار الاعتصام- القاهرة.

٣) د. أحمد صبحى منصور: التدين المصرى والتدين النجدى: ٢٨:٢٦. منشور فى (الإنسان والتطور العدد ٦١ أبريل مايو ويونية ١٩٩٨).

إذاً استعاض عبد العزيز آل سعود عن الإخوان البـــدو المشاكسين بإخوان آخرين مصريين يدينون له بالولاء، ويعملون فى نشر العقيدة الوهابية فـــى أكبـــر عمق عـــربى وإسلامى يلاصقه، وينتظر منهم أن ينشروا هذه الدعوة إلى آفاق أرحب فى العالم العربى، وهذا ما حدث.. وينتظر منهم أيضاً أن يحولوا دعوتهم الدينية إلى حركة سياسية فى المستقبل، وهذا ما حدث.. وربما ينجحون فى الوصول إلى الحكم، وبذلك تعود الدولة الإسلامية الأولى ليحكمها آل ســعود بــدون الفتح العسكرى الذى تمنعه الدول الكبرى.

سياسة عبد العزيز مع المناخ الثقافى:

مع الإخوان النجديين تخلص من خطرهم العسكرى بأقل قدر ممكن من الخسائر، وحول باقى طاقتهم الحربية إلى جيش دفاعى يلتزم بأوامره، وقام بتــضميد الجراح واستمالة الخصوم، ومع العلماء أخضعهم لسيطرته ووضع سقفاً أعلى لحريتهم فى النقــد والاعتراض، بما لا يتعارض مع المصالح الغربية(١)، وفـــى نفس الوقت وضع سياسة للأخذ من الغرب، وبالاستفادة من تقدمه العلمى والتكنولوجى بما يتواءم وحالة بلاده للتطور وما يتلائم والدين الوهابى، وبنفس الطريق انفتح على العرب والغرب، فأنشأ تياراً جديداً متفتحاً، يسعى للخارج للسفر والسياحة والتعلم.. ويقوم على عاتقه بنـــاء الدولة وتطورها.. الأمر الذى أدى فـــى النهاية إلى تغيير المستحيل.. وهو التقليد والجمود الذى كان ديناً، فأصبحت ذكرياته القريبة مبعثاً للخجل حين امتلأت المملكـــة بالـــسيارات وأجهـــزة الراديـــو والاتصالات وسائر المخترعات.

ومع المنهج الوهابى انطلق به إلى آفاق أرحب، حين ركز على مصر فانطلق به الإخوان المسلمون المصريون إلى العالم العربى والإسلامى، وتحول التدين المصرى من التصوف إلى الوهابية على مهل خلال النصف الثانى من القرن العشرين، خصوصاً بعد أن سقطت الأيدولوجية (العقيدة) القوميـــة والأيدولوجيـــة اليسارية.

باختصار صدر عبد العزيز مشكلته فى المنهج الأيدولوجى الوهابى إلى مصر، فى نفس الوقت الذى قام فيه بتحجيم دور الفقهاء السعوديين مع الانفتاح على الغرب، وجاء البترول وعوائده الضخمة فانشغلت مملكته باستهلاك المنتجات الغربية التى لم تعد رجساً من عمل الشيطان.. بينما تسلل الفكر الوهابى إلى مصر المنفتحة بطبيعتها على الغرب، فأصبح للفقهاء السعوديين مجال مصرى وعربى أوسع يسمع لهم خارج المملكة، واستعاضوا به عما كان لهم من نفـــوذ ســـابق

(١) كان أبلغ دليل على ذلك فتوى ابن باز بجواز الاستعانة بالغرب لمحاربة صدام، فكان احتلالاً بالتراضى مدفوع الأجر.

داخل المملكة، وقد ظهر أثر ذلك التطرف والتعصب والتزمت الوهابى خارج السعودية منذ السبعينيات من القرن العشرين، حين أخذ الإخوان المسلمون الجدد– التكفير والهجرة، والجهاد، والقطبيون، والناجون من النار، والجماعات الإسلامية– يكررون– بعد نصف قرن– ما كان يفعله إخوان مطير وعتيبة والعجمان.

إلا أن هذه السياسة تعرضت لخطر الأيدولوجية الناصرية، وتوجهاتها الدولية والقومية، وربما تثبت الأيام فى المستقبل أن أصابع السعودية– فى عهد فيصل– لم تكن بعيدة عما حدث من نكسات للناصرية وتحول مصر إلى الفلك الأمريكى السعودى الوهابى فى عصر السادات صديق الشيخ حسن البنـــا، لأن اســتقراء الأحداث فيما بين ١٩٧٦م وحتى الآن يؤكد أن السعودية هى التى أصبحت مستفيدة سياسياً على حساب مصر، ويكفى أنها كانت قبل ثورة ١٩٥٢ تعتمد علـــى العمق المصرى، ثم جاءها الخطر من ذلك العمق فى الحقبة الناصرية، وبعد القضاء على الناصرية أصبحت ليس فقط تعتمد على العمق المصرى، بل تتــسيده وتركب أكتافه لتكون زعيمة العالم الإسلامى العربى، بعد إخضاع مصر لنفوذها السياسى والثقافى، ويكفى أيضاً أن انتصار مصر فى حــرب أكتــوبر ١٩٧٣، تمخض عنه نتيجتان متناقضتان.. تضخم أسعار النفط لدى السعودية التى لم تحارب ولكن اقتطفت ثمار النفط وتحولت إلى مليارات الدولارات فـــى رصـــيدها بدون عناء، بينما وصلت مصر التى حاربت إلى حافة الإفلاس، وحين اضطرت إلى سياسة الانفتاح استفاد منه السعوديون فانفتحوا على مصر يـــشترون بـــه عقول بعض أبنائها وأجساد بعض نسائها، وذلك بأموال جاءت بها دماء الشهداء المصريين فى معركة العبور!!.. وما سمعنا فى التاريخ أن شعباً منتصراً يتحول أبناؤه إلى أجراء وتتحول بعض نسائه إلى ما يشبه السبايا فى زواج عرفى أو بدون زواج.. وأن يكون المشترى أو المستفيد هو من لم يحارب ولكنه جنى ثمار النصر من المنتصر وركب بها على أكتافه!.

والإنصاف الإسلامى يقتضى أن يكون لمصر حصتها فى زيادة سعر البترول لا تقل عن النصف، وذلك بأثر رجعى منذ ١٩٧٤، والذى حدث هو العكــس، اشترت السعودية بعض العقول والسواعد والأجساد المصرية بأبخس الأثمان، وتعاملت معنا بعقلية الاستعباد والاستئجار، وانقلب الحال، فبعد أن كـــان الحجـــاز والشام منطقة حيوية لمصر، أصبحت منطقة حيوية لنجد التى لم يهتم بها أحد من قبل.

باختصار تسيدت السعودية العمق المصرى واستغلته فى توسيع الوهابية، وفى حصار المناهج الأخرى الشيعية والصوفية بالتنسيق مع العلمانية اليهودية.. إلا أن هذا الذى حدث مع فجاجته وغرابته يمثل إحدى الاستثناءات التاريخية التى تشذ عن القاعدة ولا تنفيها. فالأصل أن الجزيرة العربية فى جزئها الشرقى يتبـــع استراتيجياً إيران القطب الشرقى، وفى جزئها الغربى (الحجاز) يتبع مصر القطب الغربى، وتتأرجح نجد بين هذا وذاك، وتظل نجد فى جدل حضارى مع حدود الشام والعراق، وهما معاً (الشام والعراق) مناطق تخوم تتبع استراتيجياً إيران ومصر، وتعانى من غارات نجد وتخلفها.

إلا أن هذه القاعدة الثابتة تعرضت لنوعين من الظروف الاستثنائية:

الأولى، فى الفتوحات العربية الإسلامية، وكان عمادها أعراب نجد وغيرها بعد أن أخضعهم المسلمون فى حرب الردة.. **والثانية**، وكان عمادها فى ظهور البترول أثر توحد معظم الجزيرة العربية تحت حكم عبد العزيز وظهور السعودية.

فى الظروف الاستثنائية الأولى فى عهد الخلفاء الراشدين وغير الراشدين، ناوأهم الأعراب الثوار تحت مسمى الخوارج، ثم الزنج، ثم القرامطة، وفى كل الحالات فإن عاصمة الحكم الإسلامية كانت تنتقل من الصحراء إلى أقرب منطقة حضارية للصحراء (الكوفة، دمشق، بغداد) وينتقل الأعراب الثائرون أيضاً إلى نفس المناطق الحضرية.. أى لابد من التوجه إلى القطب فى إيران حتى ولو حمل اسم العراق العجمى، ثم لا تلبث مصر (بعد أن تحولت إلى ولاية تابعة لدمشق) أن تصبح ولاية مستقلة فى العصر العباسى الثانى، ثم تستقل بخلافة شيعية فى الدولة الفاطمية، وبذلك ترجع الأمور إلى نصابها فى الحسابات الاستراتيجية وتنافس القاهرة الفاطمية الشيعية بغداد السنية، وتنجح فى هذا التنافس حتى يصل سلطان الفاطميين إلى العراق وتخطب مساجد بغداد للفاطميين أثناء ثورة البساسيرى، وفى كل الأحوال تنتقل الأضواء والصراعات من الجزيرة العربية إلى ناحية القطبين فى الشرق (إيران) وفى الغرب (مصر) وتترك الجزيرة العربية.. بحيث إن كل الثورات التى قام بها الحجاز لاسترداد مكانته قد منيت بالفشل.. مع أهمية الحجاز الدينية والتاريخية، واتضح سياسياً وتاريخياً منذ الفتوحات العربية والإسلامية أن دور الجزيرة العربية هو أن تكون تابعاً للمناطق الحضارية الغنية فيما بين القطبين مصر وإيران، وأن غاية الطموحين من أبناء الجزيرة العربية هو الوصول بالغارات والغزوات إلى هذين القطبين، فإذا وصلت إلى هناك انقطعت صلتهم بالجزيرة العربية، يسرى هذا على معاوية كما يسرى على أحفاد الأمويين فى دمشق ثم فى الأندلس، وأحفاد العباسيين فى بغداد ثم القاهرة المملوكية بعد سقوط بغداد.

وظل هذا دور الجزيرة العربية بإغاراتها التى تحمل أيدولوجية دينية أو لا تحمل تلك الأيدولوجية، إلى أن جاء عبد العزيز ليقيم دولته السلفية الوهابية، فأراد الإخوان تكرار التوسع الحربى وفشلوا.

وظهر البترول فى المملكة فى صدفة تاريخية، فانتشر النفوذ السعودى سلمياً عبر قطار النفط السريع فى مصر، ومن خلالها إلى العالم الإسلامى والأقليات الإسلامية فى الغرب والشرق.. وهذا الظهور الذى ارتبط بالصدفة البترولية لا يغير من الحقائق الاستراتيجية، بل يؤكدها.

ومن ثم يتضح كيف انتشرت الوهابية فى العالم عن طريق الإخوان المسلمين.. وهذا السلوك المريب هو السبب فيما وصلت إليه الأمة من هوان.. وقد حان

موعد الحساب.

فمنذ إنشائها فى الإسماعيلية على يد حسن البنا، فى ٢٨ مارس ١٩٢٨، وحتى الآن، لم تغير جماعة (الإخوان المسلمين الوهابية) شيئا من دوافعها وأساليبها وأهدافها، ومن الأخطاء الكثيرة والعديدة التى ظلت ملتصقة بفكر هذه الجماعة الوافد من نجد منذ ١٩٢٨وحتى ٢٠٠٥م، رغم أنها عاصرت الحياة السياسية المصرية وجوهر الشعب المصرى على مدار ٧٧ عاما، إلا أنها مازالت تعتقد أن مصر ستكون مقرا رئيسيا مستمرا لإقامتها، وأن الشعب المصرى تحت ضغط الأزمات السياسية والاقتصادية المتراكمة، سوف يقبل (الإخوان المسلمين) حكاما على أرضه.

بل إن الإخوان المسلمين– ويعتبر هذا من إفرازات فكرهم النجدى المنغلق، القاصر– يزداد اعتقادهم بأن لهم مستقبلا مزدهرا على أرض مصر، وأن المسألة فقط هى مسألة وقت لكى يحتلوا الشعب المصرى.

الإخوان قادمون (قادمون) هذا هو إيمانهم الراسخ. ودفعهم هذا الإيمان إلى العمل بدأب وصبر دون ملل أو كلل لتجميع صفوفهم وتنظيم أعضائهم والنزول إلى الناس فى التجمعات الجماهيرية، واستغلال كل فرصة أو كل مصادفة لبث سمومهم، وإن كانوا قد نجحوا، فالسبب أن سمومهم مغلفة بالعسل الحلو وسط شعب ذاق مرارة عصر وراء عصر، شعب لديه حساسية خاصة تجاه الإسلام وهيبة اللغة الدينية.

إذا أحس الإخوان المسلمون أن من مصلحتهم فى وقت ما الاختفاء والكمون والتراجع فعلوا ذلك، وإذا استشعروا أن هناك من الأزمات والقلاقل والبلبلة والثغرات خرجوا من الكمون، وأعادوا دراسة الواقع، ودخلوا إلينا من كل ثغرة ممكنة، إن الانتهازية هى (الدينامو) الذى يحركهم ويحدد مساراتهم، وتتباين درجات الانتهازية وتكون ذروتها أمرين لا غنى عنهما.. الأول هو مبدأ (التقية). والثانى هو مبدأ (التحالف) التكتيكى.. أى: الوقتى، مع تيارات يخالفونها ويعادونها ويضعون قيادتها على قوائم الاغتيال.

لكنهم وفقا للانتهازية يتغاضون عن ذلك لأن تحالفهم المؤقت، سيكسبهم أرضا جديدة أو يدعم من موقفهم.

إن فكر جماعة الإخوان المسلمين يسمح لهم بالقيام بكل سلوك لا هو من الضمير الإنسانى، ولا هو من جوهر أى دين، ولا هو من محبة الوطن الذى يأكلون من خيراته ويرعاهم بينما هم يدمرونه، ويفرقونه بأخطر شئ، وهو الدين. (كل شئ مباح) مادام سيختصر الطريق إلى مقعد الحكم، والسيطرة، هم يؤمنون بالمبدأ الميكيافيلى (الغاية تبرر الوسيلة) والوسيلة المعتمدة رسميا من قياداتهم على مر التاريخ هى الاغتيالات وسفك الدماء وخطط الخراب والتفجير، وإشاعة

فتاوى معتمة، وبث روح الخوف والإرهاب، وتمجيد الشكليات الدينية، وكراهية الناس الذين يخططون لحكمهم بالسيف.. كل هذا حلال، لأن الغاية بالنسبة إليهم أنبل الغايات ألا وهى الجهاد لنشر دين الله وكلام الله.. وفى الحقيقة هو جهاد لنشر دينهم الوهابى الخاص، كلام الله برئ من بحور الدم التى تسببوا فيها، وبرئ من الانتهازية، وبرئ من العنف والسيف والتحكم باسم الدين، وتخويف الناس تحت اسم حماية الأوطان.

وعدت جماعة الإخوان المسلمين الحكومة المصرية الحالية بأن تهدئ من أنشطتها وتقلص حركتها مقابل شرطين أساسيين.. الأول: أن تسمح لهم بإقامة حزب (مدنى). والثانى: هو الإفراج عن عدد من كوادرهم.. ولسنا نفهم كيف وهم الجماعة المؤسسة (دينيا) وغايتها إمارة إسلامية ممتدة.

والتى لا تفعل شيئا إلا التحدث باسم الدين وباسم الله وكلام الله وتعاليم الله والثوابت الدينية والشريعة الإسلامية والسنة النبوية والغزوات التاريخية تحت علم الإسلام.

وتحويل اللغة (المدنية) التى تعترف بالصواب والخطأ إلى لغة دينية ليس فيها إلا الحلال والحرام وصغائر الذنوب والكبائر وعقاب الله. وغضب الله.. كيف يمكن لهذه الجماعة أن تصبح بقدرة قادر (حزبا مدنيا).

وأليس وضع الشروط لتهدئ من أنشطتها وحركتها أكبر دليل على استمرار الانتهازية، وسياسة الصفقات واستغلال الفرص ومبدأ التهديدات الإرهابى الوهابى؟.

إن الشعب المصرى لن يسمح لهذه الجماعة بالحكم والسيطرة مهما كان عددهم، ومهما كان الدعم الوهابى لهم، ومهما كانت قوة تنظيماتهم.. والشعب المصرى لن ينسى تحت وطأة أية أزمات أنهم أصحاب الاغتيالات وسافكو الدماء على أرض شعب مسالم.. لن يسمح الشعب المصرى لأية جماعة تجعل الدين أداة للتفريق بين أبنائه وأداة لأهداف شخصية تبدأ بالحكم والسيطرة على السياسة والاقتصاد والثقافة.

يجب على الشعب المصرى أن يكون واعيا إلى أن الدين واحة روحانية ودافع للتقوى وتجنب التفريق، ونشر المحبة والتعاون، وإعمار الكون بالعمل الشريف (وحماية الوطن) من المتسترين وراء اسم الله والرسول والمقدسات، وهو تستر هدفه تخريب الوطن ونهب موارده، ثم الجلوس على (تله) يوزعون على أعضائهم الغنائم والنساء وهم مرتاحو الضمير، ذلك الضمير الذى يدعون أنه نابع من كلام الله.

وأخيرا نقول:

لم يكن هناك دافع لإصدار هذا الكتاب عن الإخوان المسلمين إلا حرص لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية راعية الفكر والمنهج الوسطى الذى هـــو جوهر الإسلام على سلامة هذا الوطن، وتعريف الشاب المسلم بجذور الإرهاب.. أى الإخوان.. لأن شبابنا هم دروع المستقبل وأمل الأمة.

آملين أن يعود هذا الشباب المضلل والممول إلى جادة الصواب ليلحقوا بسفن النجاة وهم أهل بيت المصطفى- ρ وآله- كما جاء فى الحديث الشريف: (أهل بيتى كسفينة نوح من تعلق بها نجا ومن تخلف عنها غرق).

والله ولى التوفيق، والهادى إلى سواء السبيل، وإليه المصير، وعليه التكلان، والله غالب على أمره.

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

الفصل الأول

البداية صوفية

يقول مؤسس الإخوان المسلمين.. فى كتابه مذكرات الدعوة والداعية.. طبعة دار الاعتصام .. القاهرة سنة ١٩٨٦م:

حلقة الذكر[١]

وفى المسجد الصغير رأيت (الإخوان الحصافية) يذكرون الله تعالى عقب صلاة العشاء من كل ليلة، وكنت مواظباً على حضور درس الشيخ زهران رحمه الله بين المغرب والعشاء.. فاجتذبتنى حلقة الذكر بأصواتها المنسقة ونشيدها الجميل وروحانيتها الفياضة، وسماحة هؤلاء الذاكرين من شيوخ فضلاء وشباب صالحين، وتواضعهم لهؤلاء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم ليشاركوهم ذكر الله تبارك وتعالى، فواظبت عليها هى الأخرى. وتوطدت الصلات بينى وبين شباب هؤلاء الإخوان الحصافية ومن بينهم الثلاثة المقدمون: الشيخ شلبى الرجال، والشيخ محمد أبو شوشة، والشيخ سيد عثمان، والشبان الصالحون الذين كانوا أقرب الذاكرين إلينا فى السن: محمد أفندى الدمياطى، وصاوى أفندى الصاوى، وعبد المتعال أفندى سنكل، وأضرابهم.

وفى هذه الحلبة المباركة التقيت لأول مرة بالأستاذ أحمد السكرى- وكيل الإخوان المسلمين- فكان لهذا اللقاء أثره البالغ فى حياة كل منا. ومنذ ذلك الحين أخذ اسم الشيخ الحصافى يتردد على الأذن فيكون له أجمل وقع فى أعماق القلب، وأخذ الشوق والحنين إلى رؤية الشيخ والجلوس إليه والأخذ عنه يتجدد حيناً بعد حين، وأخذت أواظب على الوظيفة الزروقية صباحا ومساء، وزادنى بها إعجابا أن الوالد قد وضع عليها تعليقا لطيفا جاء فيه بأدلة صيغها جميعا تقريبا من الأحاديث الصحيحة، وسمى هذه الرسالة (تنوير الأفئدة الزكية بأدلة أذكار الزروقية). ولم تكن هذه الوظيفة أكثر من آيات من الكتاب الكريم، وأحاديث من أدعية الصباح والمساء التى وردت فى كتب السنة تقريبا، ليس فيها شئ من الألفاظ الأعجمية، أو التراكيب الفلسفية، أو العبارات التى هى إلى الشطحات أقرب منها إلى الدعوات.

---

١) الدعوة والداعية، ص٢٠، الشيخ حسن البنا.

الحضرة والبيعة(١):

وظللت معلق القلب بالشيخ حسنين الحصافى- رحمه الله- حتى التحقت بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور مدفن الشيخ وضريحه وقواعد مسجده الذى لم يكن تم حينذاك، وتم بعد ذلك، فكنت مواظبا على الحضرة فى مسجد التوبة فى كل ليلة، وسألت عن مقدم الإخوان فعرفت أنه الرجل الصالح التقى الشيخ بسيونى العبد التاجر، فرجوته أن يأذن لى بأخذ العهد عليه ففعل ووعدنى بأنه سيقدمنى للسيد عبد الوهاب عند حضوره، ولم أكن إلى هذا الوقت قد بايعت أحدا فى الطريق بيعة رسمية، وإنما كنت محباً وفق اصطلاحهم.

وحضر السيد عبد الوهاب- نفع الله به- إلى دمنهور وأخطرنى الإخوان بذلك فكنت شديد الفرح بهذا النبأ، وذهبت إلى الوالد الشيخ بسيونى ورجوته أن يقدمنى للشيخ ففعل، وكان ذلك عقب صلاة العصر من يوم ٤ رمضان سنة ١٣٤١ الهجرية، وإذا لم تخنى الذاكرة، فقد كان يوافق الأحد حيث تلقيت الحصافية الشاذلية عنه، وأذننى بأورادها ووظائفها.

رأى فى التصوف(٢):

ولعل من المفيد أن أسجل فى هذه المذكرات بعض خواطر- حول التصوف والطرق فى تاريخ الدعوة الإسلامية- تتناول نشأة التصوف وأثره، وما صار إليه، وكيف تكون هذه الطرق نافعة للمجتمع الإسلامى. وسوف لا أحاول الاستقصاء العلمى أو التعمق فى المعانى الاصطلاحية، فإنما هى مذاكرات تكتب عفو الخاطر، فتسجل ما يتردد فى الذهن وما تتحرك به المشاعر، فإن تكن صوابا فمن الله ولله الحمد، وإن تكن غير ذلك فالخير أردت ولله الأمر من قبل ومن بعد:

حين اتسع عمران الدولة الإسلامية صدر القرن الأول، وكثرت فتوحها وأقبلت الدنيا على المسلمين من كل مكان، وجبيت إليهم ثمرات كل شئ، وكان خليفتهم بعد ذلك يقول للسحابة فى كبد السماء: شرقى أو غربى فحيثما وقع قطرك جاءنى خراجه، وكان طبيعيا أن يقبلوا على هذه الدنيا يتمتعون بنعيمها ويتذوقون حلاوتها وخيراتها فى اقتصاد أحيانا وفى إسراف أحيانا أخرى، وكان طبيعيا أمام هذا التحول الاجتماعى، من تقشف عصر النبوة الزاهر إلى لين

---

١) الدعوة والداعية، ص٢٥.

٢) الدعوة والداعية، ص٢٧.. ونلاحظ فى هذا الرأى أن مؤسس الإخوان حاول ألا يصطدم بالواقع الصوفى للمجتمع المصرى، بإظهار بعض محاسن الصوفية، وفى نفس الوقت يدس السم فى العسل بنقدهم وتعييبهم تنفيذا للمخطط الوهابى الموضوع للجماعة.

الحياة ونضارتها فيما بعد ذلك، أن يقوم من الصالحين الأتقياء العلماء الفضلاء دعاة مؤثرون يزهدون الناس فى متاع هذه الحياة الزائل، ويـذكرونهم بمـا قـد ينسونه من متاع الآخرة الباقى: (وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت: ٦٤). ومن أول هؤلاء الذين عرفت عنهم هذه الـدعوة- الإمـام الواعظ الجليل- الحسن البصرى، وتبعه على ذلك كثير من أضرابه الدعاة الصالحين، فكانت طائفة فى الناس معروفة بهذه الدعوة إلى ذكر الله واليوم الآخـر، والزهادة وتربية النفوس على طاعة الله وتقواه.

وطرأ على هذه الحقائق ما طرأ على غيرها من حقائق المعارف الإسلامية، فأخذت صورة العلم الذى ينظم سلوك الإنسان ويرسم له طريقا من الحياة خاصا: مراحله الذكر والعبادة ومعرفة الله، ونهايته الوصول إلى الجنة ومرضاة الله.

وهذا القسم من علوم التصوف، واسمه (علوم التربية والسلوك)، لا شك أنه من لب الإسلام وصميمه، ولا شك أن الصوفية قد بلغوا به مرتبـة مـن عـلاج النفوس ودوائها، والطب لها والرقى بها، لم يبلغ إليه غيرهم من المربين، ولا شك أنهم حملوا الناس بهذا الأسلوب على خطة عملية من حيث أداء فـرائض الله واجتناب نواهيه، وصدق التوجه إليه، وإن كان ذلك لم يخل من المبالغة فى كثير من الأحيان تأثرا بروح العصور التى عاشت فيها هذه الدعوات: كالمبالغة فى الصمت والجوع والسهر والعزلة.. ولذلك كله أصل فى الدين يرد إليه، فالصمت أصله الإعراض عن اللغو، والجوع أصله التطوع بالصوم، والسهر أصله قيام الليل، والعزلة أصلها كف الأذى عن النفس ووجوب العناية بها.. ولو وقف التطبيق العملى عند هذه الحدود التى رسمها الشارع لكن فى ذلك كل الخير.

ولكن فكرة الدعوة الصوفية لم تقف عند حد علم السلوك والتربية، ولو وقفت عند هذا الحد لكان خيرا لها وللناس، ولكنها جاوزت ذلك بعد العصور الأولـى إلى تحليل الأذواق والمواجد، ومزج ذلك بعلوم الفلسفة والمنطق ومواريث الأمم الماضية وأفكارها، فخلطت بذلك الدين بما ليس منه، وفتحت الثغرات الواسـعة لكل زنديق أو ملحد أو فاسد الرأى والعقيدة ليدخل من هذا الباب باسم التصوف والدعوة إلى الزهد والتقشف، والرغبة فى الحصول على هذه النتـائج الروحيـة الباهرة، وأصبح كل ما يكتب أو يقال فى هذه الناحية يجب أن يكون محل نظر دقيق من الناظرين فى دين الله والحريصين على صفائه ونقائه.

وجاء بعد ذلك دور التشكل العملى للفكرة فنشأت فرق الصوفية وطوائفهم، كل على حسب أسلوبه فى التربية. وتدخلت السياسة بعد ذلك لتتخـذ مـن هـذه التشكيلات تكأة عند اللزوم، ونظمت الطوائف أحياناً على هيئة النظم العسكرية، وأخرى على هيئة الجمعيات الخاصة.. حتى انتهت إلى ما انتهت إليه اليوم من هذه الصورة الأثرية التى جمعت بقية ألوان هذا التاريخ الطويل، والتى يمثلها الآن فى مصر مشيخة الطرق الصوفية ورجالها وأتباعها.

ولا شك أن التصوف والطرق كانت من أكبر العوامل فى نشر الإسلام فى كثير من البلدان، وإيصاله إلى جهات نائية ما كان ليصل إليها إلا على يد هــؤلاء الدعاة، كما حدث ويحدث فى بلدان أفريقيا وصحاريها ووسطها، وفى كثير من جهات آسيا كذلك.

ولا شك أن الأخذ بقواعد التصوف فى ناحية التربية والسلوك له الأثر القوى فى النفوس والقلوب، ولكلام الصوفية فى هذا الباب صولة ليست لكلام غيــرهم من الناس.. ولكن هذا الخلط أفسد كثيراً من هذه الفوائد وقضى عليها.

ومن واجب المصلحين أن يطيلوا التفكير فى إصلاح هذه الطوائف من الناس، وإصلاحهم سهل ميسور، وعندهم الاستعداد الكامل له، ولعلهم أقرب الناس إليه لو وجهوا نحوه توجيهاً صحيحاً، وذلك لا يستلزم أكثر من أن يتفرغ نفر من العلماء الصالحين العاملين، والوعاظ الصادقين المخلصين لدراسة هذه المجتمعات، والإفادة من هذه الثروة العلمية، وتخليصها مما علق بها، وقيادة هذه الجماهير بعد ذلك قيادة صالحة.

وأذكر أن السيد توفيق البكرى رحمه الله فكر فى ذلك، وقد عمل دراسات علمية عملية لشيوخ الطرق وألّف لهم فعلاً كتاباً فى هذا الباب، ولكن المشروع لم يتم ولم يهتم به من بعده الشيوخ، وأذكر من ذلك أن الشيخ عبد الله عفيفى رحمه الله كان معنياً بهذه الناحية وكان يطيل الحديث فيها مع شيوخ الأزهر وعلمــاء الدين، ولكنه كان مجرد تفكير نظرى لا أثر للتوجه إلى العمل فيه، ولو أراد الله والتقت قوة الأزهر العلمية بقوة الطرق الروحية بقــوة الجماعــات الإســلامية العملية، لكانت أمة لا نظير لها، تُوجه ولا تتوجه، وتقود ولا تنقاد، وتؤثر فى غيرها ولا يؤثر شئ فيها، وترشد هذا المجتمع الضال (تأمل) إلى سواء السبيل.

الزيارات والصلات[١]:

وكنا فى كثير من أيام الجمع التى يتصادف أن نقضيها فى دمنهور، نقترح رحلة لزيارة أحد الأولياء القريبين من دمنهور، فكنا أحياناً نزور دسوق فنمــشى على أقدامنا بعد صلاة الصبح مباشرة، حيث نصل حوالى الثامنة صباحاً، فنقطع المسافة فى ثلاث ساعات وهى نحو عشرين كيلو متراً، ونزور ونصلى الجمعة، ونستريح بعد الغداء، ونصلى العصر ونعود أدراجنا إلى دمنهور حيث نصلها بعد المغرب تقريباً.

وكنا أحياناً نزور عزبة النوام حيث دفن فى مقبرتها الشيخ سيد سنجر من خواص رجال الطريقة الحصافية والمعروفين بصلاحهم وتقواهم، ونقضى هنــاك

١) الدعوة والداعية، ص: ٣١، ٣٢.

يوماً كاملاً ثم نعود.

ويعرف الشيخ البنا الصوفى بقوله: الصوفى متخفف يجب عليه أن يقطع علائقه بكل ما سوى الله، وأن يجاهد فى هذه السبيل ما أمكنه من ذلك.

تدارس علوم الصوفية(١):

يضاف إلى ذلك أن ليلة الجمعة فى منزل الشيخ شلبى الرجال بعد الحضرة يتدارس فيها كتب التصوف من (الإحياء) وسماع أحــوال الأوليــاء واليــاقوت والجواهر وغيرها.. ونذكر الله إلى الصباح كانت من أقدس مناهج حياتنا، وكنت قد تقدمت فى صناعة الساعات وفى صناعة التجليد أيضاً، أقضى فترة النهــار فى الدكان صانعاً وفترة الليل مع الإخوان الحصافية ذاكراً، ولهذه المآرب جميعاً لم أكن أستطيع أن أتخلف عن الحضور يوم الخميس إلا لضرورة قاهرة، وكنت أنزل من قطار الدلتا إلى الدكان مباشرة، فأزاول عملى فى الساعات قبيل المغرب حيث أذهب إلى المنزل لأفطر إذ كان من عاداتنا صوم الخميس والاثنين، ثــم إلى المسجد الصغير بعد ذلك للدرس والحضرة، ثم إلى منزل الشيخ شلبى الرجال أو منزل أحمد أفندى السكرى للمدارسة والذكر، ثم إلى المسجد لصلاة الفجر، وبعد ذلك استراحة يعقبها الذهاب إلى الدكان وصلاة الجمعة والغداء، والدكان إلى المغرب فالمسجد فالمنزل وفى الصباح إلى المدرسة، وهكذا دواليك فى ترتيب لا أذكر أنه تخلف أسبوعاً إلا لضرورة طارئة.

التهيؤ لدخول دار العلوم(٢):

كانت أيام مدرسة المعلمين– فى سنواتها الثلاث– أيام استغراق فى التصوف والتعبد..

حياة عام(٣):

كنت سعيداً بالحياة فى القاهرة هذا العام فقد ظهر ترتيبى متقدماً فى الامتحان، ومنحتنى المدرسة المكافأة المادية المقررة وهى جنيه فى الــشهر خصــصته

---

١) الدعوة والداعية، ص٣٧.
٢) الدعوة والداعية، ص٣٨.
٣) الدعوة والداعية، ص٥١.

لشراء الكتب غير المدرسية، ولا زال كثير من كتب مكتبتى الآن من أثر هذا الجنيه الذى لازمنى طوال حياتى المدرسية.. كما كنت أجـد متعـة كبـرى فـى الحضرة عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع فى منزل الشيخ الحصافى.. ثم فى كثير من ليالى الأسبوع فى منزل الخليفة الأول للشيخ الحـصافى علـى أفنـدى غالب، أو سيدنا الأفندى كما نسميه دائماً، قواه الله، وجزاه عنا خيراً، وكنت أكاتب الأخ أحمد أفندى السكرى ويكاتبنى يومياً تقريبـاً، وأزور البلـد فـى فتـرة الأجازات فأقضيها معه ومع الإخوان الحصافية بالمحمودية وفى ذلك بلاغ.

وهكذا كانت حياتى العلمية، والعملية والروحية مستقرة لا يعكرها شئ والحمد لله.

ويقول (ص: ٥٣): وبالرغم من اشتغالنا الكامل بالعبادة والذكر واستغراقنا فى الطريق بأورادها ووظائفها وأحفالها إلا أننا كنا دائماً نتعشق العلم والقـراءة، وننفر من كل ما يتنافى مع ظاهر الدين وأحكامه، وننكر على كثير من المنتسبين للطرق خروجهم على تعاليم الإسلام، فكنا مريدين أحراراً فى تفكيرنا، وإن كنا مخلصين كل الإخلاص فى تقديرنا للعبادة والذكر وآداب السلوك.

الاحتفال بالمناسبات الدينية

أولاً : المولد النبوى[١]

وأذكر أنه كان من عادتنا أن نخرج فى ذكرى مولد الرسول ρ بالموكب بعد الحضرة، كل ليلة من أول ربيع الأول إلى الثانى عشر منه مـن منـزل أحـد الإخوان، وتصادف أننا فى أحد الليالى، كان الدور على أخينا الشيخ شلبى الرجال، فذهبنا على العادة بعد العشاء فوجدنا البيـت منيـراً نظيفـاً مجهـزاً ووزع الشربات والقهوة والقرفة على مجرى العادة، وخرجنا بالموكب ونحن ننشد القصائد المعتادة فى سرور كامل وفرح تام، وبعد العودة جلسنا مع الشيخ شلبى قليلاً، وأردنا الانصراف فإذا هو يقول فى ابتسامة رقيقة لطيفة: إن شاء الله غداً تزوروننى مبكرين لندفن روحية.. وروحية هذه وحيدته وقد رزقها بعد إحدى عـشرة سنة من زواجه تقريباً، وكان بها شغفاً مولعاً ما كان يفارقها حتى فى عمله، وقد شبت وترعرعت، وأسماها روحية لأنها كانت تحتل من نفسه منزلـة الـروح، فاستغربنا وسألناه: ومتى توفيت؟.. فقال: اليوم قبيل المغرب.. فقلنا: ولماذا لم تخبرنا فنخرج من منزل آخر بالموكب؟.. فقال: وما الذى حدث، لقد خفف عنـا

١) الدعوة والداعية، ص٥٤.

الحزن، وانقلب المأتم فرحاً فهل تريدون نعمة من الله أكبر من هذه النعمة؟.. وانقلب الحديث إلى درس تصوف يلقيه الشيخ شلبى ويعلل وفاة كريمته بغيرة الله على قلبه، فإن الله يغار على قلوب عباده الصالحين أن تتعلق بغيره، أو تنصرف إلى سواه.

ثانياً: الإسراء والمعراج[١]

وفى ليلة من ليالى الإسراء والمعراج كنت ألقى محاضرة بهذه المناسبة وقلت: إن الإسراء والمعراج تكريم لرسول الله ρ، وإننا إذا تصورنا أن للروح سلطاناً قوياً على البدن بحيث يمكن أن يقال: إن روح رسول الله ρ فى هذه الليلة المباركة كانت من القوة والإمداد والاتساع بحيث تسلطت على بدنه المبارك فعطلت نواميس المادة وجعلته فى غنى عن الطعام والشراب والهواء والنفس والتأثر بالاحتكاك والمسافات إلخ، فإن ذلك لا يكون مستبعداً ويقرب معجزة الإسراء إلى أفهام الذين يستغربونها، وقلت: إن شوقى رحمه الله أشار إلى هذا فقال:

يتساءلون وأنت أكرم مرسل

بالروح أم بالهيكل الإسراء؟

بهما سريت مطهرين كلاهما

روح وروحانية وضياء

وانتهى الحفل والناس كلهم سرور بما سمعوا.

ثالثاً: ذكرى الهجرة[٢]

وفى ذكرى الهجرة سنة ١٣٤٨ أقامت جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة حفلاً جامعاً كان من خطبائه كثير من الفضلاء، وقد ألقيت كلمة فى هذا الحفل تحت

---

١) الدعوة والداعية، ص١٢٧.
٢) الدعوة والداعية، ص١٣١.

عنوان: (ذكرى يوم الهجرة والدعوة الإسلامية وأثرها)، ونشرت فى رسالة المنتقى من محاضرات جمعية الشبان المسلمين.

وكان من الحاضرين فى هذا الجمع السيد محمد زبارة الحسن اليمنى أمير قصر السعيد فى صنعاء حينذاك.. فلقينى بعد المحاضرة وتحدثنا طويلاً عن مصر وعن اليمن وعن انتشار الإلحادية والإباحية المستشرى فى ذلك الوقت ووجوب الوقوف أمامه بكل القوى، ومن ذلك العهد توطدت بيننا صداقة قوية، وعرض على سيادته أن أعمل مدرساً باليمن ودارت مخاطبات بهذا الخصوص بينه وبين جلالة الإمام وبينه وبين سيف الإسلام محمد- رحمه الله- الذى كان محباً للإصلاح، راغباً فيه أشد الرغبة، حريصاً على أن تسير اليمن إليه بخطوات فسيحة، وجرت مكاتبات بينى وبين سيف الإسلام محمد رحمه الله بهذا الخصوص وتعارفنا على البعد، ولكنا لم نستطع إنفاذ فكرة الذهاب إلى اليمن للعقبات الرسيمة المتقدمة، إذ كانت السياسة المضروبة على مصر إذ ذاك ألا تتصل بالبلاد العربية بحال.

وزار الأستاذ سيد محمد زبارة الإسماعيلية، ومكث معنا بها ثلاثة أيام وشاهد منشآت الإخوان ومؤسساتهم: معهد حراء الإسلامى، ومدرسة أمهات المؤمنين، وفرقة الرحلات، ورأى الإخوان فى دروسهم ومحاضراتهم، ولمس ما تفيض به نفوسهم من حب وإخاء وغيرة على الإسلام والمسلمين، فأعجب بذلك كله أيما إعجاب، واستمرت هذه الصلة إلى الآن، وما كان لله دام واتصل.

طريق التصوف[١]:

ومن الموضوعات التى أتحفنا بها بمناسبة آخر العام الدراسى، وكان بالنسبة لى ولفرقتى، العام النهائى، سنة ١٩٢٧م، هذا الموضوع: اشرح أعظم آمالك بعد إتمام دراستك، وبين الوسائل التى تعدها لتحقيقها.

وقد أجبت عنه بهذا الموضوع: أعتقد أن خير النفوس تلك النفس الطيبة التى ترى سعادتها فى إسعاد الناس وإرشادهم، وتستمد سرورها من إدخال السرور عليهم، وذود المكروه عنهم، وتعد التضحية فى سبيل الإصلاح العام ربحاً وغنيمة، والجهاد فى الحق والهداية- على توعر طريقهما وما فيه من مصاعب ومتاعب- راحة ولذة، وتنفذ إلى أعماق القلوب فتشعر بأدوائها، وتتغلغل فى مظاهر المجتمع، فتتعرف ما يعكر على الناس صفاء عيشهم ومسرة حياتهم، وما يزيد فى هذا الصفاء، ويضاعف تلك المسرة، لا يحدوها إلى ذلك إلا شعور بالرحمة لبنى الإنسان، وعطف عليهم، ورغبة شريفة فى خيرهم، فتحاول أن تبرئ

---

١) الدعوة والداعية، ص٦٥.

هذه القلوب المريضة، وتشرح تلك الصدور الحرجة، وتسر هاته النفوس المنقبضة، لا تحسب ساعة أسعد من تلك التى تنقذ فيها مخلوقاً من هوة الشقاء الأبدى أو المادى، وترشده إلى طريق الاستقامة والسعادة.

وأعتقد أن العمل الذى لا يعدو نفعه صاحبه، ولا تتجاوز فائدته عامله، قاصر ضئيل، وخير الأعمال وأجلها ذلك الذى يتمتع بنتائجه العامل وغيره، من أسرته وأمته وبنى جنسه، وبقدر شمول هذا النفع يكون جلاله وخطره، وعلى هذه العقيدة سلكت سبيل المعلمين، لأنى أراهم نوراً ساطعاً يستنير به الجمع الكثير ويجرى فى هذا الجمع الغفير، وإن كان كنور الشمعة التى تضئ للناس باحتراقها.

وأعتقد أن أجلَّ غاية يجب أن يرمى الإنسان إليها، وأعظم ربح يربحه أن يحوز رضا الله عنه، فيدخله حظيرة قدسه، ويخلع عليه جلابيب أنسه، ويزحزحه عن جحيم عذابه، وعذاب غضبه.. والذى يقصد إلى هذه الغاية يعترضه مفرق طريقين، لكل خواصه ومميزاته، يسلك أيهما شاء:

أولهما: طريق التصوف الصادق، الذى يتلخص فى الإخلاص والعمل، وصرف القلوب عن الاشتغال بالخلق خيرهم وشرهم، وهو أقرب وأسلم.

ثانيهما: طريق التعليم والإرشاد، الذى يجامع الأول فى الإخلاص والعمل، ويفارقه فى الاختلاط بالناس، ودرس أحوالهم وغشيان مجامعهم ووصف العلاج الناجح لعللهم. وهذا أشرف عند الله وأعظم، ندب إليه القرآن العظيم، ونادى بفضله الرسول الكريم ρ، وقد رجح الثانى[(١)] – بعد أن نهجت الأول – لتعدد نفعه، وعظيم فضله، ولأنه أوجب الطريقين على المتعلم وأجملهما بمن فقه شيئاً (لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون).

رجال الطرق الصوفية[(٢)]

وأما رجال الطرق الصوفية فقد كانوا كثرة كثيرة فى هذا البلد الطيبة – الإسماعيلية – قلوب أهله، وكان يتردد عليهم الكثير من الشيوخ، ولا أنسى مجالس الشيخ حسن عبد الله المسلمى والشيخ عبود الشاذلى، والشيخ عبد الوهاب الدندراوى وغيرهم، وفى هذه الفترة زار الإسماعيلية الشيخ عبد الرحمن سعد وهو من خلفاء الشيخ الحصافى، فهو أخونا فى الطريق حينذاك، وكان يدرس ويعظ، ويرأس بعد ذلك حلقة الذكر، فقصد المسجد ولم أكن أعرفه ولا يعرفنى ودرس ووعظ، ثم دعا الناس إلى الذكر، فرأيت أسلوب الطريقة الحصافية وتعرفت إليه أخيراً.

(١) نلاحظ هنا الانسلاخ الواضح من الصوفية التى أظهر أنه من أهلها، وإعلان وهابيته المستترة تحت جنح منهج التعليم والإرشاد، وكأن التصوف يخلو منهما!!.
(٢) الدعوة والداعية، ص٨٠.

ولكن الحق أننى لم أكن متحمساً لنشر الدعوة على أنها طريق خاص لأسباب أهمها: أننى لا أريد الدخول فى خصومة مع أبناء الطرق الأخرى، وأننى لا أريد أن تكون محصورة فى نفر من المسلمين، ولا فى ناحية من نواحى الإصلاح الإسلامى، ولكنى حاولت جاهداً أن تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد، وهى أركان الدعوة الإسلامية الجامعة، ومن أراد بعد ذلك تربية خاصة فهو وما يختار لنفسه، ولكنى مع هذا أكرمت الشيخ عبد الرحمن وأحسنت استقباله، ودعوت الراغبين فى الطريق إلى الأخذ عنه والاستماع إليه حتى سافر.

كما تعرفت فى هذه الفترة إلى السيد محمد الحافظ التيجانى الذى جاء إلى الإسماعيلية خصيصاً ليحذر من دسائس البهائيين ومكايدهم، وقد كان لهم فى هذا الوقت دعوة ودعاة فى هذه النواحى، تقوى وتشتد وتنتشر، فأبلى البلاء الحسن فى تحذير الناس منهم، وكشف خدعهم وأباطيلهم والرد عليهم، وقد أعجبت بما رأيته من علمه وفضله ودينه وغيرته وناقشته طويلاً – وكنا نسهر ليالى عدة– فيما يأخذ الناس على التيجانية من غلو ومبالغة ومخالفات، فكان يؤول ما يحتمل التأويل، وينفى ما يصطدم بالعقيدة الإسلامية الصافية ويبرأ منه أشد البراءة.

كانت طريقتى مع هؤلاء الشيوخ الكثيرين الذين يزورون الإسماعيلية أن أتأدب معهم بأدب الطريق وأخاطبهم بلسانها، ثم إذا خلونا معاً شرحت لكل منهم حال المسلمين وجهلهم بأوليات دينهم، وتفكك رابطتهم، وغفلتهم عن مصالحهم الدينية والدنيوية، وما يهددهم من أخطار جسام فى كيانهم الدينى بزحف الإلحاد والإباحية على معسكراتهم، وفى كيانهم الدنيوى بغلبة الأجانب على خيرات بلادهم، وكان المعسكر غرب الإسماعيلية، ومكاتب شركة قناة السويس فى شرقها مدداً لا ينضب من الأمثلة على ذلك، أذكرهم بالتبعة التى على كاهلهم لهؤلاء الأتباع الذين وثقوا بهم وأسلموهم قيادهم، ليدلوهم على الله ويرشدوهم إلى الخير، ثم أطلب إليهم فى النهاية التربية الإسلامية الصحيحة، وجمع كلمتهم على عزة الإسلام والعمل على إعادة مجده.

ولا زلت أذكر مقابلة قابلت فيها الشيخ عبد الوهاب الدندراوى رحمه الله، فرأيت شاباً فى سنى تقريباً، فى العشرين أو الحادية والعشرين من عمره، وفيه صلاح وخير، فجلست معه موقراً إياه كل التوقير، حتى إذا انتهى المجلس العام طلبت أن أخلوا به فى حجرة خاصة، ولما دخلت خلعت طربوشى فوضعته على كرسى وخلعت عمامته ووضعتها إلى جوار الطربوش، وهو يستغرب هذا العمل الذى لم يفاجأ به من أحد من قبل، وقلت له: يا أخى لا تنتقدنى فى هذا العمل فإنما فعلته لأقضى على الفارق الشكلى بينى وبينك، ولأخاطب فيك الشاب المسلم عبد الوهاب الدندراوى فقط، أما الشيخ عبد الوهاب الدندراوى فقد تركناه فى المجلس العام، إنك يا أخى فى العشرين من عمرك، وكلك والحمد لله شباب وقوة وحماسة.. ها أنت ذا ترى هذه الجموع، التى جمعها الله عليك، لتقضى الليل فى ذكر ونشيد، ثم لا شئ بعد ذلك، والكثير منهم شأنه من شأن غيره من المسلمين؛ جهالة بالدين، وبعد عن الشعور بعزة الإسلام وكرامته فهل ترضى هذا؟.

فقال: وماذا أصنع؟!.

قلت: العلم والتنظيم والرقابة، وتربيتهم على سيرة سلفنا الصالح، وتاريخ أبطالنا المجاهدين، وكان كلام طويل بيننا حول هذه المعانى، تأثر به الشيخ تـــأثراً عميقاً، وتعاهدنا معاً على العمل، أخوين لخدمة الإسلام العام وتركيز دعوته فى النفوس، كل فى ميدانه ومحيطه، وأشهد أنه ما جاء الإسماعيلية بعد ذلك إلا بدأ بزيارتى وتطمينى بأنه على العهد مقيم حتى توفى رحمه الله وجزاه عن الوفاء خيراً.

الخلاصة:

وخلاصة هذا الفصل أن الشيخ حسن البنا الساعاتى وجماعته تقربت من الصوفية فى البداية لأن المجتمع المصرى كان صوفيا، ويلفظ أى جسم غريب عـــن التصوف، فأعلن الشيخ وأتباعه صوفيتهم فى البداية ثم تحولوا بعد ذلك، وتنكروا للصوفية والتصوف، وفاء الوهابية والمدد النجدى، تنفيذاً للمخطط الإنجليـــزى للملك عبد العزيز آل سعود!!.

الفصل الثانى

الإخوان مع حسن البنا

نشرت جريدة الأهرام فى ٢٠ يناير ١٩٣٠م، أن الإخوان يقدمون للبيئة المصرية معهداً علمياً متكاملاً بإنشائها قسماً ليلياً للغات الحية، وآخر للفنون الجميلة نذكر منها: الموسيقى الشرقية وفن التمثيل من الناحية الأخلاقية، وأنشأت قسماً للحفر، بالإضافة إلى القسم الرياضى، وبجانب هذه الأقسام اهتمت الجماعة بتكوين مكتبة عامرة بالمؤلفات النفيسة والمطبوعات.

ونتجاوز هذه الملاحظة عن نشاط الجماعة ونتركها كعلامة استفهام.

التسليم الكامل للبنا

ماذا يمكن أن يحدث عندما ينصهر فى بوتقة واحدة ولاء الصوفى لشيخه، وبيعة المريد لإمامه، بوفاء السياسى لزعيمه؟

الإجابة: يحدث ذلك النوع الغريب من الحب فى حالة التسليم الكامل للشيخ أو للإمام أو للسياسى، ولكن الغريب أن زعماء الإخوان يحللون التسليم الكامل للبنا وينكرونه على الصوفية!!.. فها هو محمود النيدى فى خطاب له فى مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين ١٣٥٧هـ يقول للبنا: (إرم بنا حيث شئت، فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك).

وتحدث عنه واحد من كبار قادة الإخوان الأستاذ حسن عشماوى (مجلة الدعوة ١٩٥٥/٢/١٥): (كان كل منا يشعر أنه يقف منه موقف المريد من شيخه، وقد أسلم له القياد ليأخذ بيده إلى الله).

ويقول مؤرخ آخر من مؤرخى الإخوان هو موسى إسحاق الحسينى: (إن سيطرة البنا على أتباعه كانت مطلقة كاملة إلى درجة تصل إلى السحر).

الديكتاتور والجماعة

عندما كان الشيخ البنا منقولا من الإسماعيلية إلى القاهرة أبلغ أتباعه النائب العام ضده على أساس أنه قد بدد أموال الجماعة، ولاحقوه بالاتهامات لدى ناظر مدرسته بالقاهرة، وهنا ظهرت لأول مرة قوة الردع البدنى فى الجماعة، حيث تجمع عدد من أصدقاء البنا واعتدوا على المنشقين بالضرب وقبض عليهم وقدموا

للمحاكمة) (مذكرات الدعوة والداعية ص: ١٥٩).

ويظهر الفكر الإرهابى واضحا من كلام البنا نفسه حينما يقول: (إن المخالفين له قد تلبسهم الشيطان وزين لهم ذلك) ثم لا يلبث أن يسميهم بالخوارج ويؤكد ضرورة أخذهم بالحزم فيقول: (إن من يشق عصا الجمع فاضربوه بالسيف كائنا من كان) ولعلهم قد أطاعوا شيخهم كثيراً فى هذا الصدد.

ولقد نظم البنا جماعته بما يجعله هو المسيطر الأوحد عليها، وبما يجعل سائر أجهزة التنظيم ومستوياته ولجانه مجرد كيانات استشارية يفرض عليها الأمر ويجب عليها السمع والطاعة.

ويشهد صالح عشماوى– وهو من كبار قادة الإخوان– أن البنا قال: (إن الشورى ليست ملزمة، وللمرشد أن يأخذ برأى مكتب الإرشاد ويجوز أن يخالفه) (مجلة الدعوة عدد ١٩٥٢/٢/١٢).

ويقول هنداوى دوير– أحد قادة الجهاز السرى للإخوان– فى شهادته أمام محكمة الشعب: (الأستاذ البنا ترك ١٠٠ شخص أو أكثر قد بعض ولا يدينون لأحد بالولاء والأستاذ البنا كان غاوى بترينات، يعنى مثلا المحل فى الضاهر والبترينة فى شارع فؤاد، لأنه كان يضم أناسا لا صلة لهم بالإخوان المسلمين) (أنور الجندى– الإخوان المسلمين فى ميزان الحق، ص: ٦٩).

تشبيه البنا نفسه بالرسول p وآله

كان حديث الثلاثاء وسيلة لهيمنة البنا على أتباعه والذى بدأ عام ١٩٣٩ بالمركز العام للجماعة، وكانوا يحتشدون بالآلاف فى فناء المركز العام ثم يطلع عليهم البنا فى جلبابه الأبيض وعباءته البيضاء وعمامته الجليلة بينما تنطلق الحناجر بالهتاف.. الله أكبر ولله الحمد (الهلال– إبريل ١٩٧٧).

وفى خطبه كان البنا يستهدف الإمعان فى تعميق المناخ السلفى (الوهابى)، بل ويصل الأمر إلى تشبيه نفسه بالرسول، وقد سأله أحد الحاضرين يوما– وربما فى محاولة لإحراجه– من أين تنفق؟– وكان قد ترك وظيفته الحكومية– فقال فى هدوء: (كان محمد يأكل من مال خديجة، وأنا آكل من مال أخو خديجة) يقصد صهره عبد الكريم منصور. (الهلال– إبريل ١٩٧٧).

المناورة هى أسلوب البنا فى التعامل السياسى

الذين تابعوا الحياة السياسية للشيخ يرون كيف استخدم المناورة أسلوبا لتعامله السياسى، وربما قاده ذلك إلى بعض (اللا مبدئية)، ويحكى صالح عشماوى– وهو واحد من المقربين من المرشد– أنه هاجم ذات مرة إحدى الهيئات الرسمية فطلبت إليه الحكومة أن يعدل عن هجومه أو تقدمه للمحاكمة، فرفض العدول، ولكن الشيخ البنا نصحه قائلا: اكتب يا صالح ما يطلب منك.. إنه الغموض كمدرسة وخطة فى العمل السياسى سوف نرى آثارها فى صفحات قادمة.

ونصيحته لصالح عشماوى تقودنا إلى أحد مفاتيح شخصية الشيخ، وتذكرنا أنه هو نفسه قد كتب ذات يوم ما طلب منه.. كتب يدين رجاله وهم رهن القيد ويصفهم بأنهم (ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين) مؤملا بموقف (لا مبدئى) أن ينقذ بعضا من بقايا الجماعة فى عام ١٩٤٨، لكن الواقع أثبت أن خصومه كانوا أكثر منه ذكاء إذ أيقنوا أن خطوة واحدة إلى الخلف من القائد سوف تدمر الجيش كله وتدفع السجناء إلى الانهيار والاعتراف وقد كان.

ومرة أخرى نعود إلى ملف الشيخ.

أول التبرعات للجماعة من الفرنسيين

كانت الجماعة فى أيامها الأولى بالإسماعيلية تحاول أن تجمع تبرعات لبناء مقر لها، وجاءت أولى التبرعات من شركة قناة السويس خمسمائة جنيه (وتلك علامة استفهام نسجلها ونمضى) لأن الفرنسيين ليسوا بهذه الدرجة من السذاجة حتى يتبرعوا لرجل من المفروض أنه يحاربهم، ويفزع بعض المخلصين من أتباعه ويتساءلون حول جواز قبول تبرع من شركة استعمارية وبناء مقر ومسجد بهذا المال، ويجد الشيخ المخرج السهل (هذا مالنا وهؤلاء غاصبون) (مذكرات الدعوة والداعية، ص١٠٦).

الإخوان يهاجمون الأزهر والصوفية

إذا كان البنا قد أخذ من الأزهريين لغتهم وحجتهم، ومن الصوفيين إيمانهم، فإنه لم يقبل منهم ولا من غيرهم مشاركة له ولجماعته فى كونها جماعة المسلمين، أى: صاحبة الحق فى تمثيل مصالح جموع المسلمين، فالأزهريون قادتهم وجمهورهم فى نظر الشيخ دينيون رسميون، بل إن الشيخ محمد الغزالى، يغالى فى هجومه على علماء الأزهر قائلا: إن إسلام الأزهر هو الإسلام الذى يدعمه الاستعماريون (راجع كتاب الإسلام والاستبداد السياسى، القاهرة ١٩٥٠، ص: ١٢).

وإذا كان الشيخ البنا يرى أن فشل الأزهر فى رسالته يرجع إلى أنه يهتم بتخريج علماء حفظوا مواد العقيدة عن ظهر قلب ولم يستوعبوها روحيا. (عبد القادر عودة– الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، ط. ١٩٥٢، ص: ٢٢).

فإن محمد الغزالى قد تطرف إلى درجة القول بأنه يعرف رجالا من شيوخ الأزهر يعيشون كما تعيش ديدان البلهارسيا والإنكلستوما مـن دمـاء الفلاحـين والبؤساء (الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسمالية– للغزالى، ص:٢٧).

أما الصوفيون فقد لا ينهم الشيخ البنا فى البداية– وكذلك عدد كبير من مريديه– وإن كان حذر منهم تحذيرات خفية تنفيذاً للمخطط الوهابى بتحويل مصر من التدين السنى الصوفى إلى التدين الوهابى. وأتى الشيخ الغزالى كعادته ليكمل حلقة الهجوم، فالصوفية فى نظره وفى نظر جماعة الإخوان المسلمين مـن بقايـا عصور الإقطاع تستخدم لتخدير الجماهير (المرجع السابق، ص: ٤٧).

البيعة الزائفة

استمد البنا قوته المهيمنة على الجماعة من إمساكه بزمام كل أمر من أمور الجماعة ما خفى منها وما ظهر، ومن الطاعة العمياء التى فرضها على أعـضاء الجماعة كما يقول البنا فى رسالة التعاليم: (يتعين على العضو الثقة بالقائد والإخلاص والسمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره).

ولكن من حق الإخوان علينا أن نعود بالأمر إلى جذوره الأصلية.. فالجوهر فى كل ذلك هو فكرة البيعة، وقسم البيعة عند الإخوان يقول: أعاهد الله العلـى العظيم على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين والجهاد فى سبيلها، والقيام بشرائط عضويتها، والثقة التامة بقيادتها والسمع والطاعة فى المنشط والمكره، وأقـسم بالله العظيم على ذلك، وأبايع عليه، والله على ما أقول وكيل. (قانون النظام الأساسى للإخوان الذى أقرته الجمعية العمومية فى ١٩٤٨/١/٣٠، ص: ٧).

وتستند فكرة البيعة إلى حديثين شريفين، الأول يقول: (من مات وليس فى عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية). ويقول الثانى: (من بايع إماما فأعطاه صفقة يـده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ونازعه فاضربوا عنق الآخر).

ونلاحظ أن هذه البيعة ليست لله ولا لرسوله بل هى لجماعة الإخوان المسلمين، وكأن الإسلام انحصر فى هذه الجماعة، ومن ليس فيها فليس بمسلم، ويظهر ذلك واضحا فى كلام الشيخ البنا فى مذكرات الدعوة والداعية حيث يقول: (على كل مسلم أن يعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام، وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة).

ونلاحظ هنا أن الجماعة تصادر الدين لمصلحتها، وبهذا لا تصبح مجرد جمعية تطبق الدين كما يحاول غيرها أن يفعل، وإنما تؤكد أن منهجها وحـــده هـــو الإسلام الصحيح، ومن ثم فإن من يقف ضدها كجماعة يكون خارجا على الإسلام ذاته، إنه مبدأ يسعى للسيطرة على الإسلام لا الاتصاف به، إنها عقدة شـــعب الله المختار !!.

وبهذا يمكننا أن نفسر حملات القتل والاغتيال التى نظمها أعضاء الجماعة ضد خصومها، فإن خصوم الجماعة هم ببساطة خصوم الإسلام ذاته، والخارجون عليها والرافضون لها ليسوا سوى مجرد رافضين (لجماعة المسلمين) والرافض لجماعة المسلمين جزاؤه القتل.

والحقيقة أن البيعة لا يأخذها إلا رسول الله ρ كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) (الفتح: ١٠). أو يأخذها الوارث المحمدى فى كل عصر لله ولرسوله كما قال ρ: (العلماء ورثة الأنبياء) وكما قال: (الأنبياء لا يورثون درهما ولا دينارا ولكن يورثون علما ونورا).

والوارث المحمدى هو الذى يعلم أهل زمانه علوم الرسالة الخمسة كما قال تعالى: (يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُـــوا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ١٥١). ولكن إمام الإخوان المسلمين الذى كان يأخذ البيعة لم يترك أثرا واحدا يدل على أنه علمهم هذه العلوم الخمسة، فلا نجد له تراثا علميـــا سوى بعض الرسائل والمذكرات الخاصة بحياته.

وبالتالى فقد غرر بكل الذين بايعوه، وكان من الواجب عليه بدلا من أن يحجبهم عن إمام عصرهم أن يبحث معهم عن إمام العصر حتى يبايعوه جميعا، وهذا الإمام هو المعنى بقول المصطفى ρ: (يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد للأمة أمر دينها) (أخرجه أبو داود بإسناد صحيح).

والمعنى بقوله تعالى: (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) (الإسراء:). قال سيدنا علىυ: (أى بإمام عصرهم) (مقدمة تفسير القرطبى).

ويذكر الألوسى فى تفسيره روح المعانى أنه هو النور فى الدنيا والآخرة فيقول فى معنى قوله تعالى: (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) (النـــور: ٤٠). أى من لم يجعل الله له نوراً فى الدنيا بمعرفة إمام زمانه، فما له من نور يوم القيامة.

إسلام المظاهر

بدأت القاهرة ومدن القطر المختلفة تشهد رجالا يرتدون زيا جديدا عبارة عن شال يضعونه فوق الكتفين وعليه شارة الجماعة، وكثيرا ما كان الـــدعاة مـــن أعضاء الجماعة يزود هذا الشال بجيب كبير يتدلى على الصدر ويوضع فيه مصحف ظاهر (عبد الباسط البنا– تاج الإسلام وملحمة الإمام).

ونلاحظ أن الإخوان المسلمين كانونا يميلون إلى إسلام الشعارات والمظاهر، وكأن المسلم إذا لم يلبس شال ويضع مصحف فى جيبه يتــدلى علـــى صـــدره سيكون إسلامه ناقصا، مع أن الهدف من الطاعة رضاء الحق وليس رضاء الخلق.

وهذا الزى الإخوانى كان أول استخدام مصرى لفكرة الزى الحزبى الموحد والذى كان امتدادا أو تقليدا لزى التنظيمات الفاشية والنازية التى اجتاحت أوربـــا فى ذلك الحين.

الهدف كرسى الحكم

إن جماعة الإخوان لبست ثوب الإسلام لتحقق به هدف الوهابية المنشود وهو الوصول إلى كرسى الحكم والانطلاق نحو العالم عن طريق مـــصر، وســـوف تبرز لنا الصفحات القادمة حقيقة هذا الكلام بوضوح كامل.

ونلاحظ أن الشيخ البنا فى المؤتمر الخامس للإخوان عام ١٩٣٩ يحدد الطبيعة الشاملة لجماعته فهى (دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، ومنظمـــة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية) (المؤتمر الخامس، ص: ١٤).

وأكد البنا أن جماعته ترفض التدخل فى الخلافات المذهبية التى بين الأعيان والأعلام والأحزاب والجماعات وأنها تكرس جهدها للتنظيم والعمـــل والـــسعى الدائب لكسب أعضاء جدد (المؤتمر الخامس، ص: ١٦).

وإذ يحاول بعض أتباعه من الشبان والمتسرعين والقلقين رفض المنهج المتأنى والحذر الذى يرسمه الشيخ بعناية وحرص، فإنه يحدثهم قائلا: إن الطريق ما زال طويلا وشاقا، ويحدد لهم توقيت الهجوم العام وقواته.. (فى الوقت الذى يكون فيه منكم– معشر الإخوان المسلمين– ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسيا وروحيا بالإيمان والعقيدة، وفكريا بالعلم والثقافة، وجسميا بالتدرب والرياضة، فى هذا الوقت طالبونى بأن أخوض وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإنى فاعل إن شاء الله). (المؤتمر الخامس، ص:٢٤).

نحن الآن نفتح صفحة جديدة.. صفحة ما بعد المؤتمر الخامس.. كل ما قبل ذلك كان تحضيرا أو إعداداً.. أما اليوم فهو القول الفصل.. هو بدء التنفيذ، كـــان مجرد إعداد للثلاثمائة كتيبة استعدادا لخوض لجاج البحر واقتحام عنان السماء.. ويا لها من أوهام!!.

ومن أجل الهدف المنشود– وهو كرسى الحكم– يتعاون الإخوان مع من يرونه سيوصلهم لهذا الهدف حتى وإن كان خائنا لبلده ووطنه أمثال صدقى أو غيره،

بل ووصل الأمر إلى التعاون مع النصارى وهذا لغز محير!!. أبرزته صحيفة الجماعة المسماة بـــ (الإخوان المسلمون) الصادرة فى ١٩٤٨/٨/٥.

ونلاحظ أنه فى عام ١٩٤٨ خاضت صحف الجماعة وشعبها معركة عنيفة ضد المدارس الكاثوليكية، وقد أرسل الأب هنرى عيروط إلى جريـــدة الإخـــوان المسلمين رسالة رد فيها على هذا الهجوم، ولكن الجريدة لم تنشر هذه الرسالة.

وأخيرا نجح الأب عيروط فى مقابلة الشيخ البنا ونشرت جريدة الإخوان المسلمون موضوعا عن هذه المقابلة ركزت فيه على ضرورة اتحاد رجال الأديـــان ضد الإلحاد والملحدين.

الغموض والسرية

كان الشيخ البنا يخفى لنفسه وحده كثيرا من المصادر والشخصيات التى يستمد منها العون كلما أراد، وبحيث (يكون فى خفاء بعض علاقاته خفـــاء لـــبعض جوانب شخصيته عن الآخرين، وخفاء لبعض مصادر قدرته ومصادر معرفته) (إسحاق موسى الحسينى- الإخوان المـــسلمون كبـــرى الحركـــات الإســـلامية المعاصرة، ص: ١١٤).

ويذكر السادات: أن حسن البنا وحده كان الرجل الذى يعد العدة لحركة الإخوان ويرسم سياستها ثم يحتفظ بها لنفسه، وأن أقرب الناس إليه لم يكن يعرف من خططه شيئا ولا من أهدافه شيئا (أنوار السادات، أسرار الثورة المصرية، ص ٦٦).

ويذكر السادات أن حسن البنا كان يجمع خلال الحرب السلاح ويخزنه بغير أن يطلع أقرب الناس من كبار الإخوان على ذلك.

وكان الجهاز السرى.. والسلاح.. مصدرين جديدين من مصادر القوة الطاغية للشيخ.. كذلك فإنه فى تنظيم كجماعة الإخوان المسلمين.. تكون الغيبية هـــى الأخرى سلاحا فى إطلاق الإمام أو الشيخ.

الأستاذ العقاد يحذر من الإخوان

وهذا الغموض وهذه السرية، وتأييد ديكتاتورية الملك فاروق، والدعم الوهابى لجماعة الإخوان المسلمين، دفعت كاتبا إسلاميا كبيرا هو الأستاذ عباس العقـــاد أن يكتب غاضبا فى صحيفة الدستور عدد ١٩٣٩/٧/٢٧ كاشفا حقيقة جماعة الإخوان المسلمين، فيقول:

(فى مصر دعوى ديكتاتورية ليس فى ذلك جدال، والذين يقومون بهذه الدعوة ويقبضون المال من أصحابها هم الذين يشنون الغارة على الدول الديمقراطية، ويثيرون الشعور عليها باسم الدين وباسم سورية وفلسطين، ولا يثيرون الشعور على الدول الأخرى باسم الدين وباسم ألبانيا وبرقة وطربلس والصومال.. ويسير علينا أن نعرف بعد ما تقدم من أين تتلقى تلك الجماعات المتدينة أزوادها ونفقاتها، ولماذا تتوجه بالدعوة المزيفة إلى هذه الوجهة التى لا وجهة غيرها أمام تلك الجماعات لخدمة الديكتاتورية.. إنها جاسوسية مأجورة تتوارى بالإسلام للإيقاع ببلاد الإسلام، لأن نجاح الدعوة الديكتاتورية لن ينتهى إلى مصلحة المسلمين ولا إلى سيادة المسلمين، وإنما ينتهى إلى ضياع المسلمين).

مصادر التمويل!!

عند صدور قرار حل الجماعة لاحظ الجميع أن إجمالى أصول الجماعة.. من ممتلكات وشعب وأثاث وشركات ومدارس ومصانع ومزارع ومشاغل ومستشفيات وفوق هذا وذاك.. الجهاز السرى بمخابئه وأسلحته وأفراده.. قد وصل رقما خياليا بالنسبة لحزب سياسى يرتدى عباءة الدين الغالبية العظمى من أعضائه من الفقراء، والسؤال الملح والمحير هو: كيف استطاع البنا أن يمول كل هذه المشروعات؟.

ومنذ البداية ونحن نلاحظ سلسلة من علامات الاستفهام، ومنها:

١) تبرع شركة قناة السويس الاستعمارية للجماعة، وهو أمر أكده الشيخ البنا نفسه فى كتابه مذكرات الدعوة والداعية.

٢) إقرار الشيخ البنا أن إسماعيل صدقى قد عرض عليه معونات مالية مقابل خدمات سياسية من الجماعة، وإن كان البنا قد أكد عدم قبوله لهذه المساعدة.

٣) أن معظم الخلافات التى ثارت فى صفوف الجماعة قد اتخذت من موضوع التمويل ومصادره مادة للهجوم على الشيخ البنا، فمنذ انقسام الإسماعيلية، وحتى انقسام شباب سيدنا محمد، ثم انقسام الشيخ أحمد السكرى كانت المسائل المالية عنصرا مشتركا.

٤) أن الشيخ البنا إذ أحكم قبضته على كل أوجه نشاط الجماعة، انفرد تماما وبشكل خاص بموضوع المالية.

٥) أن اتهامات كثيرة قد ترددت فى أن تمويلا خاصا قد تعاطته الجماعة من الإنجليز تارة، ومن الأمريكيين تارة أخرى.

وبالرغم من كثرة ترديد ذلك الاتهام فى العديد من الأبحاث والمصادر.. إلا أن الباحث المدقق يكتفى بطرح هذه التساؤلات ما لم يجد إجابة مؤكدة.. ومعها يستمر أيضا فى طرح سؤال وهو: من أين إذن كل هذا السيل المتدفق من التمويل؟.

ولكى نؤكد أن هذا السؤال الأخير فى محله تماما، يكفى أن نقدم نموذجا من استثمارات جماعة الإخوان المسلمين.

* شركة الإخوان للصحافة ورأسمالها ٥٠,٠٠٠ جنيه.
* شركة الإخوان للطباعـــــة ورأسمالها ٧٠,٠٠٠ جنيه.
* شركة الإعلانـــــات العربية ورأسمالها ١٠٠,٠٠٠ جنيه.
* شـــــركة المعـــــاملات الإسلاميـــــة ورأســـــمالها عـــــام ١٩٤٦م ٣٠,٠٠٠ جنيه.
* شـــــركة الإخـــــوان المـــــسلمين للغـــــزل ورأســـــمالها ٨,٠٠٠ جنيه.
* شركة التجـــارة والأشغـــال الهندسيـــة ورأسمالها ١٤,٠٠٠ جنيه.
* شـــــركة مـــــزرعة العركـــــى وكانـــــت تمتلـــــك ٨٠٠ فدان، (المصور: ١١/١١/١٩٥٥).
* الشركة العربية للمناجـــم والمحاجـــر ورأسمالها

٦٠,٠٠٠ جنيه[١].

فالبدايات شركات الإخوان، والنهايات شركات الريان، ونعود ونسأل:

من أين أتت الجماعة.. بكل هذه الأموال؟.

سؤال يفرض نفسه.. فالأرقام كبيرة جدا – بأسعار ذلك الوقت– خصوصا إذا ما أضفنا إليها الأصول الأخرى كالمدارس والمقار والمشاغل.. إلخ.

ولعلنا فى الصفحات القادمة نجد المزيد من الضوء نسلطه حول منطقة الغموض هذه فى تاريخ الرجل وتاريخ الجماعة.

علاقة الإخوان ببريطانيا

لقد أثار الكثيرون من خصوم الإخوان قصصا عن علاقة مستمرة بين المرشد البنا ثم الهضيبى والسفارة البريطانية.. ولسنا نريد أن نزج بأنفسنا فى مجال ترديد تهم بغير أدلة.. لكن أحد الباحثين المقبولين من جانب الإخوان، والذى أفردت مجلة الدعوة صفحات كاملة لتقريظه، وهو الباحث الأمريكى ريتشارد ميتشيل يقول: (بعد الإفراج عن البنا فى أكتوبر ١٩٤١ قامت اتصالات بين السفارة البريطانية والإخوان المسلمين ولا أحد يعلم من قام بهذا الاتصال ولا متى تم).

لكن الإخوان أنفسهم يعترفون بهذا الاتصال ويبررونه بأن الاتصال قد تم بناء على طلب الإنجليز الذين خشوا من التقارب بين الإخوان والقصر**!!** وتمضى جريدة الإخوان المسلمين قائلة– دون إحساس بأى حرج:– أنه بعد مناقشة أفكار وبرنامج الجماعة أبدى الطرف الإنجليزى استعداد السفارة لتقديم مساعدة مالية للجماعة على أداء رسالتها، وتؤكد الجريدة أن البنا قد رفض ذلك (صحيفة الإخوان المسلمون ١٩٤٦/٧/٣١، وأيضا الدعوة ١٩٥٤/٥/٢٩).

لكن باحثا آخر هو دون هيوارث يؤكد– استنادا إلى ما أسماه مصدر إخوانى كان على علاقة بالسفارة البريطانية– أن حسن البنا قد ألمح خلال الاتصالات، ومن خلال عناصر وسيطة (أنه على استعداد للتعاون، وأنه سيكون ممتناً لو أن مساعدة مالية قد قدمت له). ويعود الباحث إلى التأكيد بأن مساعدات كبيرة قد

(١) حسن البنا، د. رفعت السعيد، ط. الخامسة لدار الثقافة الجديدة، القاهرة، ص: ١١٧–١٢٠.

قدمت لجريدة الجماعة وخاصة فى غضون عام ١٩٤٧ كمقابل لمساعدة الجماعة للمخطط البريطانى[١].

وكعادتنا فى هذا البحث فإننا لا نريد أن نمسك إلا بما هو ملموس ومؤكد، فلنأخذ بما هو متيقن منه.

المؤكد أن الشيخ البنا قد اعترف أكثر من مرة كتابة أن جهات متعددة قد عرضت عليه أموالا لمساعدته على تنفيذ (برنامجه).. أكد أن الطاغية إسماعيل صدقى قدم هذا العرض، وأكد أن السفارة البريطانية قدمت العرض.. وأكد أنه قد رفض العرضين.

حسنا.. ولنأخذ بأقواله، ولنفترض أن العرضين قد رفضا.. لكن يبقى السؤال المحير هو لماذا؟!.

لماذا يتحمس طاغية كإسماعيل صدقى وسفارة تمثل الاحتلال الكريه إلى قلب كل مصرى وكل مؤمن من تقديم معونات مالية للإخوان المسلمين لمساعدتهم على تنفيذ برنامجهم؟ أى برنامج هذا؟ وما مدى انطباعه على مصالح صدقى والسفارة البريطانية؟!. مجرد تساؤل نتركه بغير رد للقارئ اللبيب.

لكن الوقائع الملموسة، والمواقف العملية لجماعة الإخوان تؤكد أن لا صدقى ولا السفارة الإنجليزية كانوا سذاجا عندما قدموا عروضهم.

علاقة الإخوان بالخائن صدقى

عندما بدأ الطاغية إسماعيل صدقى رحلة خيانته عام ١٩٤٦، وعندما وقف الشعب المصرى كله ضده.. كان الإخوان يؤكدون فى كل مكان تأييدهم له.. ومستخدمين دون حرج الآية الكريمة: (وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ) (مريم: ٥٤). وعندما خطى صدقى خطوة جديدة على طريق الخيانة الوطنية وبدأ مفاوضاته حول المعاهدة التى استحقت لعنات الشعب كله(صدقى- بيفن) أيده الإخوان واستخدموا واقعة صلح الحديبية فى تبرير تصرفاته. (محمد جلال- مصريون لا طوائف، ص: ٦١).

ويروى شاهد عيان معروف بحياده ودقته- هو صلاح الشاهد- ما يؤكد ذلك فيقول: إن صدقى عندما توصل إلى اتفاقية (صدقى- بيفن) توهم أن الإخوان المسلمين قاعدة شعبية ذات وزن، فاستدعى المرشد العام بعد وصوله من لندن بساعتين، وأطلعه على مشروع الاتفاقية قبل أن يطلع عليها النقراشى وهيكل

---

(١) لاحظ أن عبد العزيز آل سعود توجه إلى مصر للسيطرة عليها بتخطيط بريطانى، وها هم البريطانيون يربون ويوجهون الحركة الوهابية الوليدة (الإخوان) فى مصر استكمالا للمخطط الجهنمى.

المشاركين له فى الحكم، وحصل على موافقته على المشروع.. ولما اشتدت المظاهرات الشعبية ضد هذه المعاهدة، طلب صدقى باشا من الشيخ البنا أن يركب سيارة سليم زكى باشا مساعد الحكمدار المكشوفة ويعمل على تهدئة الجماهير، واستجاب المرشد العام للإخوان لهذا الطلب. (صلاح الشاهد- ذكرياتى فى عهدين، ص: ٤٨).

ونتوقف قليلا أمام هذه الشهادة:

* أية علاقة هذه التى تربط بين الطاغية الخائن صدقى وبين الشيخ البنا، والتى تجعله أقرب إليه من شركائه فى الحكم.. النقراشى وهيكل؟

* أن البنا قد وافق على المعاهدة التى رفضتها مصر كلها، والتى لم تزل حتى الآن رمزا للخيانة الوطنية والتفريط فى حقوق الوطن.

* أن البنا قد سمح لنفسه بأن يركب سيارة البوليس ليعمل على تهدئة المتظاهرين المعارضين لاتفاقية الخيانة، أما واقعة الركوب لسيارة سليم زكى باشا فهى مؤكدة وصوره تملأ صحف تلك الأيام.. أما الواقعتان الأوليان فقد أوردناهما.. على مسئولية الشاهد[١].

إجلاء المستعمر ليس هدف الإخوان

لقد كان شهر العسل الإخوانى- البريطانى مبررا من الجانبين، فالإخوان لم يعتبروا أن النضال ضد الاحتلال البريطانى محور عملهم السياسى كأى حزب وطنى آخر، بل على العكس من ذلك كانوا حريصين دائما على التأكيد بأن محور النضال هو الحكومة الإسلامية وليس إجلاء المستعمر، يقول الباحث الوثيق الصلة بحركة الإخوان د. إسحاق موسى الحسينى: (إن تحرير وادى النيل كله من النفوذ الأجنبى كان مطلبا يلى فى الأهمية لدى الإخوان مطلب إقامة الحكومة الإسلامية) (الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة، ص: ٩٤).

الإخوان يتطلعون لأمريكا وروسيا

لكن الملاحظ أن شهر العسل لم يدم طويلا.. وأن الإخوان قد حاولوا التوجه نحو أمريكا، وكتاب الزعيم الإخوانى مصطفى مؤمن (صوت مصر) ملئ بالوقائع والأدلة.. والتوجه نحو أمريكا فيقول ص ٢٧١: (أيها الأمريكيون.. أنتم الشعب الحر.. وقواد الديمقراطية) وعلى هذا المنوال يمضى الكتاب كله.

---

(١) حسن البنا، د. رفعت السعيد، ص: ١٤٨.

ويثير الدهشة أيضا ما كتبه سيد قطب أحد قادة الإخوان من أن المسلمين بحاجة مؤقتا إلى المعسكر الشيوعى ليخيفوا به الطغاة والمستغلين (سيد قطب- السلام العالمى والإسلام، ١٩٥١، ص: ١٦٧).

البنا يناور ويتناقض فى أقواله

نحن سياسيون.. كانت هى صيحة الشيخ البنا الذى ظل ولفترة طويلة يناور بحثا عن مكمن لجماعته تعيش فيه وتنمو.. وقد صدر العدد الأول من (النذير) فى مايو ١٩٣٨م، وفى افتتاحيته أعلن البنا أنه وجماعته سوف ينتقلان من دعوة الكلام إلى النضال، وبعد أن عدَّد القوى السياسية فى مصر أكد لأتباعه أنهم لن يقفوا بعد الآن موقفا سلبيا وسيفرضون رأيهم بالقوة، فيقول: (ستخاصمون هؤلاء جميعا فى الحكم وخارجه خصومة شديدة لديدة إن لم يستجيبوا لكم).

وكعادته لا يوصد أى باب، بل يترك لنفسه منفذا، ولهذا يلجأ دوما- وفى مسألة العلاقة بالسياسة بالذات- إلى التعمية والغموض ويتعمد التعميم والألغاز فيقول: (هل نحن طريقة صوفية، جمعية خيرية، مؤسسة اجتماعية، حزب سياسى، نحن دعوة القرآن الحق الشاملة الجامعة.. نحن نجمع بين كل خير) (أنور الجندى- الإخوان المسلمون فى ميزان الحق، ص: ١١).

لكنه لا يلبث أن يقول: (إن الإخوان دعوة سلفية، طريقة صوفية، هيئة سياسية، جماعة رياضية، رابطة علمية ثقافية، شركة اقتصادية، فكرة اجتماعية) (المرجع السابق، ص: ١٥).

ثم يعود البنا إلى إنكار كلماته، ليلتوى بالألفاظ فى اتجاه معاكس: (أيها الإخوان أنتم لستم جمعية خيرية، ولا حزبا سياسيا، ولا هيئة موضعية الأغراض محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد، ونور جديد، وصوت داو) (المرجع السابق، ص:٥١).

ونعود مرة أخرى إلى الألفاظ التى لا تحمل مدلولا محددا (روح جديد) (نور جديد) (صوت داو). ولا يملك الباحث سوى الحيرة.. هل كان الأمر يحتمل كل هذا التخبط؟ أم أنه تخبط مخطط ومقصود؟.. فإذا ما حاصر السؤال المحدد (الشيخ) أجاب فى براءة: (ليس هناك شئ اسمه دين وشئ اسمه سياسة، هذه بدعة أوربية) (النذير- العدد العاشر- عام ١٩٣٨).

ولا يكون أمام أى باحث مهما كان محايدا إلا أن يفترض أن الشيخ كان يتعمد وبشكل ظاهر الخلط والمراوغة، فهو يؤكد على الطابع الدينى للجماعة إذا ما جابهه فى الحكومة رئيس قوى، ولكنه لا يلبث أن ينغمس فى الصراعات السياسية إذا ما وجد أمامه رئيسا ضعيفا للحكومة، وكأن الإسلام عباءة تلبس عند

اللزوم وتخلع أيضا عند اللزوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

البنا يهدم الشورى

إذ يعلن البنا نفسه زعيم سياسى.. ويقدم جماعته كهيئه سياسة لا يستنكف من أن يحرم الآخرين جميعا من حق العمل السياسى.. فيقول: (لقد آن الأوان أن ترتفع الأصوات بالقضاء على نظام الحزبية فى مصر، وأن يستبدل به نظام تجتمع فيه الكلمة وتتوفر جهود الأمة حول منهاج قومى إسلامى صالح) (الإخوان المسلمون– الأسبوعية– ١٩٤٦/٤/٩ مقال لحسن البنا).

والشئ الذى قد يبدو محيرا للباحث المحايد هو أن البنا كان يؤكد أن الأحزاب والنظام الحزبى ليسا ضروريين إذ يمكن لهذه الحكومة أن تقوم بدون حزبية، ذلك لأن الأحزاب تقسم الأمة ولا تتفق مع النهج الإسلامى. (حسن البنا– مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى– ص:٤١).

وإذ يدعو البنا صراحة إلى حل كل الأحزاب القائمة، فإنه لا يجد غضاضة فى أن يطالب الجميع بأن يفسحوا له الطريق وحده قائلا: (فحل الأحزاب السياسية سيتلوه قيام حزب واحد على أساس برنامج إسلامى إصلاحى) (حسن البنا– الرسائل الثلاث– ص: ١١٢).

ولعله يبدو غريبا أن يمعن البنا فى فكرة تصفية كل الأحزاب السياسية ما عدا حزبه إلى درجة الاستشهاد بتجربة الحزب الواحد فى روسيا وتركيا، وكلتاهما دولتان لا ترضى جماعة الإخوان عن نهجيهما. (الإخوان المسلمون ١٩٤٦/٧/٢٢. مقال لحسن البنا).

وتستمر علامات الاستفهام وعلامات التعجب فى التراكم. ولا نملك إلا أن نمضى مع رحلة الشيخ السياسى لنسجل ملاحظتنا.

فالبنا يقدم نفسه كحزب سياسى يريد السلطة، بل ويؤكد أكثر من مرة أنه لن يسعى إلى السلطة وإنما السلطة هى التى ستسعى إليه فيقول: (فنحن لا نسعى للحكم، ولكن هو الذى سيسعى إلينا فيما نعتقد، وحينئذ نفكر فى تحديد موقفنا منه، أنقبله أم نرفضه) (المصور، ١٩٤٦/٣/١).

وإذا ما سئل كأى زعيم سياسى عن برنامجه أجاب: (نحن مسلمون وكفى، ومناهجنا منهاج رسول الله ρ وكفى، وعقيدتنا مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله وكفى) (حسن البنا– مذكرات الدعوة والداعية).

وهذا الأمر ليس بهذه السهولة.. إذ لا يمكن لرئيس جماعة سياسية أن يقتحم ميدان العمل السياسى معلنا أن الإسلام (طاعة وحكم ومصحف وسيف) دون أن يدفع الجميع إلى التساؤل من سيستعمل السيف؟ وضد من؟ ولعل التساؤلات بدت فى محلها تماما عندما استخدم السيف بالفعل أسلوبا فى تعاملات الجماعة مع

خصومها.

والإخوان لا ينكرون حقيقة أنهم جماعة سياسية بغير برنامج.

التخبط مع الدستور والقانون

فى رسالة المؤتمر الخامس يقول البنا: (إن من نصوص الدستور المصرى ما يراه الإخوان المسلمون مبهما غامضا يدع مجالا واسعا للتأويل والتفسير الذى تمليه الغايات والأهواء، فهى فى حاجة إلى وضوح وإلى تحديد وبيان، هذه واحدة.. والثانية هى أن طريقة التنفيذ التى يطبق بهــا الدســتور.. طريقــة أثبتــت التجارب فشلها وجنت منها الأمة الأضرار لا المنافع، فهى فى حاجة شديدة إلى تحوير وإلى تعديل يحقق المقصود ويفى بالغاية.. ولابد أن تكون فينا الــشجاعة الكافية لمواجهة الأخطار والعمل على تعديلها) (حسن البنا، رسالة المؤتمر الخامس).

لكن البنا سرعان ما يتراجع خوفا من أن يتهم بمناهضته للدستور فيقول: (إن الدستور بروحه وأهدافه العامة لا يتناقض مع القرآن مــن حيــث الــشورى، وتقرير سلطة الأمة وكفالة الحريات، وإن ما يحتاج إلى تعديل منه يمكن أن يعدل بالطريقة التى رسمها الدستور ذاته) (أنور الجندى- الإخوان المــسلمون فــى ميزان الحق، ص: ٦٣).

بل هو يواصل تراجعه.. إلى درجة تثير الدهشة فيقول: (ما كان لجماعة الإخوان المسلمين أن تنكر الاحترام الواجب للدستور باعتباره نظام الحكم المقــرر فى مصر، ولا أن تحاول الطعن فيه أو إثارة الناس ضده وحضهم على كراهيته، ما كان لها أن تفعل ذلك وهى جماعة مؤمنة مخلصة تعلم أن إهاجــة العامــة ثورة، وأن الثورة فتنة، وأن الفتنة فى النار) (النذير- العدد ٣٣- مقال لحسن البنا بعنوان: الإخوان المسلمون والدستور المصرى).

لماذا كل هذه القعقعة إذن؟

ولماذا الحديث عن الجهاد وعن النظام الإسلامى وعن التغيير الجذرى إذا كان النظام القائم سواء فى عهد الملك فاروق- صديق الإخــوان- أو فــى عهــد الإخوانى جمال عبد الناصر- عدوهم- مقبول من جانبهم؟ ولا ينكرون الاحترام الواجب له، باعتباره نظام للحكم المقرر.

والحقيقة أن هذه التصريحات كانت مجرد ستار من الدخان يخفى سعى الإخوان للانقضاض على الحكم، ذلك أن واحداً لا يختلف فى أن النظام المطبق فــى مصر لا يجعل منها دولة إسلامية بالمفهوم الوهابى النجدى.

والأمر لا يقتصر فقط على الدستور وإنما يمتد أيضا إلى (القانون) فقد أكد الإخوان فى أكثر من موضع وبلسان جهابذة القانون من قادتهم أن القانون المطبق فى مصر– باستثناء بعض النصوص– يتفق مع نصوص الشريعة ولا يتناقض مع مبادئها العامة. (عبد القادر عودة– الإسلام بين جهل أبنائه وعجز زعمائه– ١٩٥٢، ص: ٢٣).

وقد أكد هذا الموقف بتفصيل واف وإسهاب الأستاذ حسن الهضيبى (خليفة حسن البنا) أثناء محاكمته عندما قال: إنه عندما كان يطبق القانون المدنى وهو قاض لم يكن يناقض الشريعة الإسلامية.

ويتساءل الباحث الأمريكى المقبول عند الإخوان المسلمين ريتشارد ميتشيل وهو محق تماما: (إذا كان الأمر كذلك، فلماذا إذن إصرار الإخوان على تطبيق الشريعة الإسلامية؟) (راجع جريدة الإخوان المسلمون ١٩٥٤/٧/٢٩).

ونحن نجيب على هذا السؤال: وهو أن جماعة الإخوان ترفع شعار الشريعة الإسلامية تأسيا بأسلافهم من الخوارج الذين رفعوا شعار إن الحكم إلا لله فى وجود الإمام على كرم الله وجهه لأنهم لا يريدون أن يُحكموا بالإسلام ولكنهم يريدون أن يَحكموا بالإسلام.

لولى الأمر حق التشريع

إن أتباع البنا من قادة حركة الإخوان ومفكريها قد حاولوا حل التناقض القائم بين الشريعة الإسلامية وبين النظام القائم ولكن لصالح هذا النظام وتبريراً له.. ويؤكد سيد قطب– كبير مفكرى الإخوان بعد وفاة الشيخ البنا– (إن السلطات الممنوحة لولى الأمر تعطيه حق التشريع مهتديا بمسألتين: المصلحة المرسلة وسد الذرائع) (سيد قطب، العدالة الاجتماعية فى الإسلام).

ولابد لنا من أن نعيد ونكرر تساؤلنا.. فيم إذن كل هذه الضجة عن العودة للنظام الإسلامى، وعن جاهلية النظام الذى كان قائما فى الأربعينيات أو فيما بعدها؟.. إذا كان الإخوان المسلمون قادرون دوما على التلون بأفكارهم ومبادئهم، فهى تارة تتفق مع هو قائم، وتارة تطالب بإدخال تعديلات طفيفة عليه، وتارة ترفضه لأنه جاهلى وضلال، وكل ضلالة فى النار.. ولا مبرر ولا معيار لقفز الجماعة من موقف إلى موقف سوى المصلحة الآنية.. الأمر الذى يثير ريبة الباحث فى مدى جدية الشعارات التى ترفعها الجماعة أو تدعو لها.

البديل الذى قدمه البنا

* أهل الشورى يكونون إما من رجال الدين وإما من الرجال المتمرسين على القيادة مثل رؤساء العائلات والقبائل.. ولا تكون الانتخابات بمقبولة إلا إذا ما أسفرت عن اختيار أناس من هذين الصنفين (حسن البنا، مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى، ص: ٦٠) ونلاحظ أن الشورى عنده مفاهيم إقطاعية متخلفة، مع أن الإسلام أكد أن التفاضل يكون بالتقوى والعمل الصالح.

* نفيا لدستور ١٩٢٣م نادى الإخوان (القرآن دستورنا)، مع أن القرآن حجة ودعوة، وليس دستوراً للحكم، وهذا ما فعله رسول الله ρ فى السنة الأولى بعد الهجرة من وضع دستور للحكم سماه كتاب الموادعة قبل اكتمال نزول القرآن.

* ونفيا للزعامات السياسية (النحاس باشا أساسا) نادوا (الرسول زعيمنا)، مع أن الرسول مقصود الأمة، وليس زعيمها، والزعيم لغة هو الرئيس أو الكفيل، وهذا معنى فيه نقص لقدر رسول الله ρ وآله.

* ورفعاً للمخطط الوهابى غلفوه بأعلام (الخلافة الإسلامية)، ولكن العجيب أنهم علقوا الخلافة الإسلامية على الملك فاروق، حيث يقول الشيخ البنا فى مجلة النذير العدد الأول مايو ١٩٣٨م: (إن لنا فى جلالة الملك المسلم أيده الله أملا). وبكل ما قام بينهم وبين القصر من علاقات – سنشير إلى بعضها فى صفحات قادمة– هل كانوا وهم يتحدثون عن الخلافة الضائعة يلوحون بها للملك فاروق؟ أم لملك الوهابية ولى نعمتهم الذى أخرجهم بعملية قيصرية من رحم الشعب المصرى؟ أم أى خليفة آخر كانوا يريدون؟!!.

الثالوث (ماهر- المراغى- البنا)

ويمضى الشيخ يوسع من قاعدة جماعته ونفوذها.. مكتفيا بشعارات عامة قد لا يختلف عليها أحد. فى عام ١٩٢٩ كان لها أربع شعب، أصبحت خمسا فى عام ١٩٣٠، ثم عشرا فى ١٩٣١، ثم ١٥ فى عام ١٩٣٢.. ثم تأتى مرحلة يقفز فيها عدد شعب الجماعة إلى ٣٠٠ شعبة فى عام ١٩٣٨. إنها مرحلة التقاء الثالوث (على ماهر– الشيخ المراغى– حسن البنا) فى محور واحد مناهض لحزب الوفد وموال للسراى. ويستمر الصعود.. ففى عام ١٩٤٠ تصبح الشعب ٤٠٠ شعبة حتى تصل إلى ألفى شعبة فى عام ١٩٤٨.

فى رسالة المؤتمر الخامس ص ٥٦، قال الشيخ البنا: (أحب أن أقول لإخواننا من دعاة الأحزاب ورجالها: إن اليوم الذى يستخدم فيه الإخوان المسلمون لغير

فكرتهم الإسلامية البحتة لم يجئ بعد ولن يجئ أبدا، وإن الإخوان لا يضمرون لحزب من الأحزاب أيا كان خصومة خاصة به، ولكنهم يعتقدون من قرارة نفوسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلا أن تحل الأحزاب كلها وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الأمة إلى الفوز وفق تعاليم القرآن الكريم.. وبهذه المناسبة أقول: إن الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب، ويعتقدون أنها مسكن لا علاج.. والعلاج الحاسم الناجع أن تزول هذه الأحزاب مشكورة، فقد أدت مهمتها وانتهت الظروف التى أوجدتها، ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون).

هكذا تحدث حسن البنا.. لكن الكلمات شئ والأفعال شئ آخر.

فالدعوة توجهت نحو القصر الملكى تدعمه وتشد من أزره وتحاول جاهدة ودون جدوى أن تزين وجه الملك فاروق.. والهجوم على الحزبية والأحزاب سرعان ما أسفر عن تحالف مع .. محور (على ماهر- المراغى) لفترة، ومع إسماعيل صدقى لفترة أخرى.. ثم مع أحزاب الأقليات لفترة ثالثة، ولكن.. أليس من الأفضل أن نسير مع التحالفات السياسية للشيخ خطوة خطوة؟ وأليس من الأفضل أن نلقى بقعة صغيرة من الضوء على واحد من أقرب وأهم حلفائه- على ماهر باشا- تحدد لنا موقعه وموقع الحلف معه.. من قضية الوطن وقضية الإسلام؟ فقط أردنا بإيراد كلمات الشيخ السابقة أن نضعها فى مجابهة مواقفه العملية.. ونزن بعد ذلك مدى الصدق فى الكلمات.. والمواقف.

توفى الملك فؤاد، وأتى لحكم مصر شاب صغير السن، بلا خبرة ولا تجارب ولا قدرات، ونجح فى أن يسيطر عليه واحد من أعتى السياسيين المصريين وأكثرهم طموحا وذاتية وهو على باشا ماهر، والذى أصبح له النفوذ الأول فى السراى، واستطاع أن يصب فى الملك الجديد الكراهية التى كانت تفيض بها نفس أبيه نحو حزب الوفد.

وقد اعترف على ماهر بنفسه أمام المحكمة أنه كان صديقا للإنجليز، وأنه كان (على ولاء تام لهم والمجاملات الشخصية كانت لأقصى الحدود..).

(ملف قضية الاغتيالات السياسية- شهادة على ماهر باشا).

وعندما تصاعد المد الفاشى.. وتصور البعض أن (الألمان قادمون) تهيأوا لاستقبال السيد الجديد.. من هؤلاء كان على ماهر.. يقول الدكتور الطيب الناصر فى مذكراته: إن الكونت ماتزولينى آخر وزير مفوض لإيطاليا الفاشية فى مصر أبلغه أنه (اتفق شخصيا مع على ماهر فى الوقت المناسب لتمهيد السبيل لجيوش المحور) (روز اليوسف ١٩٥١/١/٢٣، مذكرات الدكتور الطيب الناصر).

وتنفيذا لهذا المخطط وفى أعقاب الهجوم العنيف الذى قاده الجنرال روميل باتجاه مصر واستولى على بنى غازى يوم ٢٩ يناير ١٩٤٢م، هاجت فى مصر مظاهرات أغلبها من الأزهريين (أتباع الشيخ المراغى حليف على ماهر باشا) تهتف (إلى الأمام يا روميل) وتهتف أيضا (على ماهر رجل الساعة).

ويقول جورج كيرك: (إن المخابرات البريطانية اكتشفت فى الوثاق الألمانية أن على ماهر باشا كان يحصل على مبالغ مالية عن طريق بنك درسدنر) (جورج كيرك- موجز تاريخ الشرق الأوسط- ترجمة عمر السكندرى، ص:٣٤).

هذا هو على ماهر الذى دخل الشيخ البنا السياسة من بابه الخاص، والذى كان أول حليف سياسى لجماعة الإخوان المسلمين.. والذى قاد البنا بيديه نحو التبعية للسراى والملك، والعداء للوفد والقوى الديمقراطية.

وهكذا كان على ماهر باشا أول من وعى- من المسئولين- نصيحة إسماعيل صدقى باشا بالتعاون مع الإخوان المسلمين واستخدامهم.

علاقة الإخوان بالملك

كانت البداية أثناء الاستعدادات لتولية الملك الشاب على العرش، فقد اقترح الأمير محمد على إقامة حفل دينى تتم فيه مراسيم تولية الملك، والحقيقة أن هذا الاقتراح لم يكن سوى جزء من المخطط الشامل لعلى ماهر والشيخ المراغى باحتواء الملك وتقديمه فى صورة الملك الصالح المسلح بالدين فى مواجهة الوفد المسلح بتأييد الشعب.. وهنا يبرز- ولأول مرة- الدور السياسى للشيخ حسن البنا وجماعته.. والتوقيت هام للغاية لأنه كما يحدد المهمة.. يحدد إطارها وبواعثها ومحركيها.

ويعقد الإخوان المسلمون مؤتمرهم الرابع لهدف وحيد هو الاحتفال باعتلاء الملك العرش! ولأول مرة أيضا تبرز فى الميدان جوالة الإخوان المسلمين (لتلعب أدوارها الهامة كقوة للنظام والأمن) (المصرى- عدد ١٩٣٧/٢/٢٢).

وبعد احتفالات طويلة ومليئة بالبهجة تجمع الإخوان المسلمون عند بوابات قصر عابدين هاتفين (نهبك بيعتنا وولاءنا على كتاب الله وسنة رسوله) (مذكرات الدعوة والداعية- حسن البنا) و(حسن البنا د. رفعت السعيد، ص: ١٦٢).

وتستمر هذه الاحتفالات كل عام، فقد نشر بجريدة الإخوان المسلمين عدد ١٩٤٦/٥/٦ (جاءنا من المحلة الكبرى أن استعراضا جميلا مؤلفا من خمسمائة وألف من جوالة الإخوان المسلمين هناك أقيم بعد ظهر أمس ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة) وفى مناسبة أخرى.. وعندما اختلف النحاس باشا مع القصر، خرجت

جماهير الوفد تهتف (الشعب مع النحاس)، فسير الشيخ البنا رجاله يهتفون (الله مع الملك).

وتناهى الإخوان كثيرا بأن الملك قد خرج فى شرفة قصره ست مرات ليحيى مظاهرتهم هذه (الأهرام، ١٩٣٧/١٢/٢٢). وتقول جريدة البلاغ: (إن الملك كان بالغ السعادة بشعار الله مع الملك، وكان يردد نعم الله معنا) (البلاغ ١٩٣٧/١٢/٢٢) وهكذا تتعزز العلاقة بين القصر والإخوان .. وتصل إلى درجة التشاور مع البنا قبل استدعاء إسماعيل صدقى (آخر ساعة، ١٩٥٤/١٢/١).

والحقيقة أن البنا لم يكن جديدا على فكرة التقرب إلى العرش فهو يروى بنفسه فى كتابه (مذكرات الدعوة والداعية) إنه لما حُقق معه فى عام ١٩٣٠ ثبت من التحقيق أنه كان يملى على طلبته فى دروس الإملاء موضوعات يتوخى فيها الثناء على الملك فؤاد وتعداد مآثره.

ولم تكن جوالة الإخوان وحشودها لتحية الفاروق وحده وإنما أيضا لتحية على ماهر.. فعند عودته من مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد فى لندن (مارس ١٩٣٩) لبحث قضية فلسطين، يقول الباحث دون هيوارت: (كانت حشود الجوالة والإخوان فى انتظاره هاتفة له).

لكن النحاس باشا كان يرى أن إقحام الإخوان المسلمين فى السياسة وتصاعد دعواهم فى هذا الوقت بالذات تعبير عن مؤامرة أوسع وأخطر، فيقول فى خطاب ٢ يوليو ١٩٣٨: (عامل آخر من عوامل الأزمة.. فلقد أراد أصحاب المؤامرة أن يجعلوها محبوكة الطرفين.. فتآمروا على استخدام الدين فى الدعاية ضد الحكومة– حكومة الوفد– ولقد كان من شأن هذه الدعاية أن تقف حجر عثرة فى سبيل إلغاء الامتيازات الأجنبية، وينال المتآمرون من وراء ذلك ما يرجونه)[١].

تداعيات ولاء البنا للقصر

أدت العلاقات الحميمة بين الشيخ البنا ومحور القصر (على ماهر– المراغى) إلى تداعيات عدة.. فهى من ناحية مكنت البنا من أن يقفز بجماعته إلى سطح الأحداث.. وفى عام واحد أو عامين تضاعف عدد شعب الجماعة إلى أكثر من عشرة أضعاف، وامتلكت الجماعة مجلة ناطقة باسمها، وتشكلت فرق جوالتها لتمارس مهام الردع وحفظ النظام، وحشدت لمظاهرات كانت أول مظاهرات فى تاريخ مصر الحديث تهتف بحماس لحياة الملك.

---

(١) هذا التحليل للموقف من النحاس باشا يؤكد المخطط الإنجليزى الوهابى للسيطرة على مصر، وإضعاف أية حكومة وطنية تعمل ضد الاستعمار وأعوانه.

لكن للتداعيات وجهها الآخر.

فقد اعترضت مجموعة هامة من أعضاء الجماعة وكوادرها القيادية فى عام ١٩٣٩ على هذا الانغماس السياسى المناوئ لمصالح الجماهير، ورفضوا أن يهتفوا بحياة ملك يعرفون جيدا كم هو فاسد، ورفضوا الانغماس فى مؤامرات مشبوهة يحركها سياسى مشبوه مثل على ماهر.

وهكذا (وجه المنقسمون إنذارا إلى الشيخ البنا بقطع الجماعة كل اتصالاتها السياسية خاصة مع على ماهر) (طارق البشرى- الحركة السياسية فى مصر، ٤٥- ١٩٥٢، ص: ٤٨).. لكن البنا يرفض الإنذار، ويصدر قرارا بطرد كل معارضيه من صفوف الجماعة، بل ويهددهم بإبلاغ البوليس ضدهم إذا هم أذاعوا أسرار الجماعة (أية أسرار؟ ولماذا يحميها البوليس؟ وكيف يستعين زعيم بالبوليس ضد معارضين له من صفوف جماعته الدينية) والحقيقة أن هناك من الشواهد ما يثبت أن البوليس كان يحمى حسن البنا بتعليمات من السلطات العليا.

وقد كون المنقسمون جماعة (شباب سيدنا محمد) وخرجت معهم مجلة (النذير) وظلوا لفترة يرددون معلومات عن مساعدات مالية تلقاها البنا من على ماهر.

ويكتب أحد زعماء الانقسام (محمود أبو زيد عثمان) فى مجلة (النذير) يحدد أسباب انقسام مجموعته، فيتهم الشيخ البنا بأنه:

١- موالٍ للقصر وعلى ماهر.

٢- يتلاعب بأموال الجماعة.

٣- يرفض تطبيق مبدأ الشورى.

٤- يحمى بعض الشخصيات غير الأخلاقية (صهره الشيخ عبد الحكيم عابدين).

ومن التداعيات أيضا أن الإنجليز بدأوا يشعرون بخطر التقاء الجماعة والشيخ مع مخطط الموالين للمحور.. ثم بدأت السفارة البريطانية فى تسليط عيونها على تحركات الشيخ ووضعته فى موضع الخصومة، خصوصا بعد الإطاحة بوزارة على ماهر.. ويروى د. محمد حسين هيكل باشا فى مذكراته أن السلطات البريطانية أبلغت حسين سرى باشا رئيس الوزارة أن حسن البنا يعمل لحساب الإيطاليين ورأت ضرورة الحد من نشاطه (د. محمد حسين هيكل، مذكرات فى السياسة، ج٢: ص ٢٠٨).

البنا يسخر جماعته لخدمة من فى الحكم

وتأتى أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ ويأتى الوفد إلى الحكم، وكان الجناح الليبرالى للوفد يرفض بشدة أى تدخل للدين أو الجماعات الدينية فى السياسة.

أما الجناح اليمينى فى الوفد بقيادة فؤاد سراج الدين باشا فقد كان يعتبر أن الإخوان المسلمين تمثل أداة مفيدة ضد الضغوط الاجتماعية المتزايدة خلال فترة الحرب، وساعد سراج الدين الإخوان بحكم منصبه كوزير للزراعة على توسيع نشاطهم فى الريف.

وفى ٧ فبراير ١٩٤٢ أعلن النحاس باشا رئيس الوزارة حل البرلمان وإجراء انتخابات جديدة، ورشح البنا نفسه فى دائرة الإسماعيلية، لكنه ما لبث أن سحب ترشيحه على أثر مقابلة عاجلة بينه وبين رئيس الوزارة فى مقابل إطلاق حرية النشاط أمام الجماعة.

وفى نهاية عام ١٩٤٢عاد النحاس إلى التصادم مع الإخوان فأغلق مقارهم جميعا ماعدا المركز العام، ثم عادت العلاقات إلى التحسن على أثر زيارة قام بها بعض قادة الوفد للمركز العام (أحمد أنس الحجاجى، الإمام- الجزء الثانى، ص: ٣٩٩).

خلاصة الأمر: لقد وضح مبدأ التحالف بين الوفد والإخوان فى فترة محددة تماما، هى فترة تولى الوفد الحكم.. ليس قبلها وليس بعدها (فتحالفات الإخوان كانت دوما مع من فى الحكم أو سيوصلهم إلى الحكم، كما فعلوا فى العقد الماضى بالتحالف مع حزب العمل الاشتراكى الشيوعى).

وما أن أقيل الوفد وجاءت سلسلة حكومات الأقلية، حتى غير البنا دفة تحالفاته، فحاول مرة أخرى أن يعزز علاقته بالقصر، وإذ فقد قناة الاتصال التى تمثلت فيما سبق فى على ماهر- المراغى، الذين لم يعودا مقربين من القصر، كان البنا يبحث بدأب عن قناة اتصال جديدة بينه وبين الملك، ويروى أنور السادات أن الشيخ البنا قد ألح عليه إلحاحا شديدا أن يحاول ترتيب اتصال مع الملك عن طريق يوسف رشاد، وأن يوسف رشاد قد قابل البنا بناء على تفويض من الملك، ويضيف السادات أن يوسف رشاد قد أفهمه فيما بعد، أن عام ١٩٤٦ قد شهد رضاء تاما من الملك عن الشيخ وجماعته (أنور السادات- صفحات مجهولة- الترجمة الإنجليزية، ص:٩٩).

تعارض الإخوان مع الكتاب والسنة

قال تعالى: (وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) (هود: ١١٣)، ولا شك أن الملك وأعوانه كانوا ظلمة.

وقال ρ: (إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص) (أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس).

الإمام أبو العزائم يكشف الحقيقة

يقول الإمام أبو العزائم τ: (علماء الدنيا الجهلاء بالآخرة.. هم العلماء عند أنفسهم الجهلاء عند الله ورسوله والعارفين، وعلامتهم المسارعة إلى الحكام والأغنياء ولو كانوا من أعداء الله، والمنافسة فى المال والجاه، والمناصب ودوام الجدل والخصومة مع النظراء، واتخاذ العصبة ممن يواليهم لإبطال الحق وإحقاق الباطل).

وقال τ: (إذا أفتى العالم المجالس للأمراء فلا تأخذ فتواه، فإن قلبه يكون معلقا لإرضائهم).

الإخوان فى الذروة

فى فبراير ١٩٤٧ يخطو الشيخ البنا أولى خطواته على عتبات قصر عابدين مدعوا لأول مرة إلى وليمة ملكية، وبقدر ما كان عاما ٤٦- ١٩٤٧م عامى التباعد بين الإخوان والخط الوطنى، بقدر ما كان الإخوان يتورطون فى مباركة خطوات لا يمكن لأى وطنى أن يباركها، كما شاهدنا فى صفحات سابقة من مشاركة معاهدة (صدقى- بيفن)، ومن علاقات البنا الوثيقة بالطاغية صدقى.. بقدر ما كان الثمن سخيا.

ومن الواضح أن جماعة الإخوان كان ينظر إليها باعتبارها أداة لمناهضة الوفد والشيوعية، ويبدو أن البنا قد حصل من صدقى على مجموعة من التسهيلات الرسمية! شجعته على القيام بهذا الدور من بينها: ترخيص بإصدار صحيفة يومية رسمية للجماعة هى (الإخوان المسلمون) التى صدرت فى مايو ١٩٤٦، وكذلك ترخيص ورق طباعة بالسعر الرسمى، ومنح زى رسمى وأدوات ومعدات بأسعار رمزية لفرق الجوالة، وكذلك منحها أرضاً لإقامة معسكراتها عليها، وكذلك تعيين محمد حسن العشماوى- وهو أحد المقربين من الشيخ البنا- وزيرا للمعارف العمومية، ومعونات مالية هائلة من وزارتى المعارف والشئون الاجتماعية.

وكان طبيعيا أن يتجاوب الإخوان أكثر فأكثر مع سياسة صدقى مقابل هذه التسهيلات، فجند الإخوان جوالتهم وكل قواهم لمحاربة كل من خاصم صدقى وسياسته الخائنة.

وتركز هجوم الإخوان على الوفد والشيوعيين.

يقول أحمد حسين: إن الإخوان قد خاصموا الوفد وخاصمهم فبدأت الاحتكاكات بين الطرفين وبدأ الصدام على الخط، وكان طبيعيا أن تقف الحكومة إلى جوار

الإخوان فى كل صدام يقع بينهم وبين الوفد وكانت تحميهم وتشد أزرهم) (مرافعة أحمد حسين المحامى فى قضية اغتيال النقراشى، ص: ٢٤٣).

ورد الوفديون بالمثل فهاجمت صحف الوفد الشيخ البنا وأسمته (الشيخ حسن رأسبوتين)، وقالت جريدة الوفد (صوت الأمة) فى وصف زيارة للشيخ لأحد الأقاليم: (هتف الناس بسقوط الشيخ صنيعة الإنجليز) (صوت الأمة ١٩٤٦/٨/٢٨). وشاركت (مصر الفتاة) فى الحملة على البنا وكتب أحمد حسين يهاجم البنا قائلا: (حسن البنا أداة فى يد الرجعية وفى يد الرأسمالية اليهودية وفى يد الإنجليز وصدقى باشا) (مصر الفتاة ١٩٤٦/٧/١٧).

وإذ استند الإخوان إلى حماية السلطة فقد لجأوا إلى ممارسة العنف السياسى على أوسع مدى، وشهدت المصادمات السياسية لأول مرة استخدام الرصاص والقنابل والفصائل المنظمة شبه العسكرية للجوالة.

وفى ٦ يوليو ١٩٤٦ وقع صدام بين الإخوان والوفديين فى بور سعيد استعمل فيها الإخوان الرصاص وألقوا ثلاث قنابل، فأسفر الحادث عن قتل واحد من الوفديين وإصابة ٣٥، فتجمع الكثيرون على دار الإخوان وأشعلوا الحريق فيها، وفى النادى الرياضى للإخوان) (المصرى ١٩٤٦/٧/٧).

وقبل أن نقلب هذه الصفحة بقى أن نقول: إن الإخوان سرعان ما انقلبوا على صدقى باشا نفسه عندما أحسوا أن أيامه فى الوزارة قد انتهت، وأن ثمة قادم جديد هو النقراشى، فمالقوا القادم الجديد كعادتهم.

الضربة القاضية للبنا بخروج زعماء الجماعة منها

لم يكن من السهل أن يقتنع كل إخوانى بكل هذا النهج، ولم يكن من السهل على أى مسلم أن يجد نفسه فى مظاهرة تهتف بحياة ملك فاسد أو رئيس وزراء خائن، ويؤيد معاهدة ترفضها مصر كلها، ويقسم الصف الوطنى.

وكان الانقسام هو السبيل الوحيد فى جماعة تحكمها من أعلى قبضة واحدة قوية.

واستند المعارضون للشيخ إلى قضية شائكة وحساسة كانت فى الجماعة منذ عام ١٩٤٥، عندما أثار البعض شكوكا أخلاقية ضد عبد الحكيم عابدين السكرتير العام للجماعة وزوج شقيقة البنا.

وكلف البنا أحد قادة الجماعة المقربين منه د. إبراهيم حسن بالتحقيق فى التهمة وهى (انتهاك حرمة بيوت وأعراض بعض الإخوان). ويقدم المحقق اقتراحا توفيقيا ويطالب بفصل عبد الحكيم عابدين وبفصل الأعضاء الأربعة الذين اتهموه، ويرفض الشيخ البنا ويأمر بتشكيل لجنة تقصى الحقائق من كبار قادة الجماعة،

وتقدم اللجنة اقتراحا توفيقا وهو أن يبعد عابدين من منصبه وعن الجماعة كإجراء تطهيرى، ويرفض الشيخ مرة ثانية، ويعقد مكتب الإرشاد اجتماعا عاصفا يتهم صهر الشيخ البنا تهما خطيرة أقلها أنه رأسبوتين الجماعة، ولكن البنا يصمم على موقفه متحديا إجماع مكتب الإرشاد العام.

واستقال إبراهيم حسن احتجاجا فى إبريل ١٩٤٧ واستقال معه البعض.

ثم جاء خلاف جديد مع قائد آخر من الأعمدة الأساسية هو الشيخ أحمد السكرى – وكيل عام الجماعة– والذى كان بينه وبين البنا علاقة وثيقة منذ أيام الطفولة، وكان مفوضا من قبل البنا للتفاوض باسمه مع الكثير من الجهات مثل: السفارة البريطانية والوفد وغيرهما، وجاءت استقالته نتيجة تعسف البنا فى تعامله مع مكتب الإرشاد، وكان الشيخ السكرى يطالب بتقليل سلطات المرشد وبديمقراطية العلاقة فى التنظيم، وكان الشيخ السكرى أيضا لا يرى أى خير فى التصادم مع الوفد، أكبر قوة سياسية جماهيرية فى البلاد، بل وطالب بنوع من الوحدة بين الحزبين (حسن البنا، ص: ١٨٢– ١٨٣، للدكتور رفعت السعيد).

وكان خروج إبراهيم حسن والشيخ السكرى ومن لف لفهما ضربة قاصمة للجماعة، حيث فجر قضايا هزت الثقة فى الجماعة ونقاء دعوتها، وفى الشيخ وقدرته على تخطى علاقاته الأسرية.

وبدأ البنا فى التحرك فى اتجاه آخر وهو الاعتماد على الجهاز السرى..

الجهاد يبدأ

(خطوتنا الثانية.. أيها الإخوان تجهزوا.. فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب أو هيئة لا تقوم على نصر الإسلام، ولا تسير فى الطريق إلى استعادة حكم الإسلام ومجد الإسلام..). تحت هذا العنوان كتب البنا افتتاحية العدد الأول لمجلة النذير ٣٠ ربيع الأول ١٣٥٧هـ، ولقد رأينا كيف دعا الشيخ أيضا إلى الجهاد.. وكيف جعله الفيصل الذين يميز بين جماعته وبين الجماعات الإسلامية الأخرى، وكان البنا يلح ويلح على هذه المسألة ابتداء من عام ١٩٣٨، ويكثر من الحديث عنها نثرا وشعرا.

والجهاد يبدأ.. والدعوة لا ترفع أعلامها فحسب، وإنما تقترب من التنفيذ.. لكن كيف؟.

وقبل أن نسأل كيف؟ نسأل لماذا؟ أو بالدقة نسأل ما هو جوهر فكرة الجهاد عند الشيخ البنا، وكيف فهمهما هو وأتباعه؟.

تتبع الفكرة من تقسيم أولى قسم به الشيخ البنا المسلمين إلى أربعة أقسام: مؤمن– متردد– نفعى– متحامل. (حسن البنا، الرسائل الثلاث، صفحة: ٦).

وطبقاً للمفهوم العملى لمثل هذا التقسيم فإنه ليس أمام أى مصرى إلا أن يضع نفسه فى أحد موضعين، فإما أن يكون عدوا للإخوان، وإما أن يكون مؤمنا.

وانطلاقا من هذا التقسيم.. تكون جماعة الإخوان المسلمين هى ملتقى (مصب) المؤمنين، أى: تكون بالمعنى الإسلامى (جماعة المسلمين)، وإمامها هو إمام الحل والعقد فى الإسلام، والخروج على الإمام وعلى الجماعة هو خروج على (جماعة المسلمين) أى: خروج على الإسلام ذاته.. ولهذا فإن الشيخ البنا كان منذ الأيام الأولى لجماعته يرى أن أى معارض له من (الخوارج) و(اضربوه بالسيف). ولكن كيف فهم الإخوان الجهاد؟.

الجوالة هى البداية الحقيقية

الحقيقة أن الهدف السياسى للجوالة لم يكن مجرد تكوين أداة ردع منظمة على أسس عسكرية وانضباط صارم، وإنما كانت الجوالة أيضا حقلا تتابع فيه أعين المرشد اليقظة العناصر الأكثر حماسا والأكثر إخلاصا والأكثر طاعة وتلتقطها فى نواة خاصة.

وما يهمنا فى هذا الصدد هو أن البنا قد اهتم بالجوالة أساسا لأنها كانت حقلا يلتقط منه رجال تنظيمه السرى.. ونتوقف عند اعتراف بالغ الأهمية من عبد المجيد حسن- قاتل النقراشى باشا- أدلى به أثناء التحقيق إذ قال: (إن انتقاله من نظام الجوالة بالإخوان إلى النظام الخاص قد تم دون أن يحس تغييرا طرأ على وضعه لاتفاق النظامين فى التدريبات وأسلوب التعامل والعلاقات داخل التنظيم). (طارق البشرى- الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥- ١٩٥٢، ص ٥٠).

البناء التنظيمى للجماعة

الحقيقة أن البنا كان حريصا على السرية التامة فى تحركاته، وكان يعتقد أن الدعوة عليها أن تتحقق بالسرية حفاظا على صمودها وضمانا لاستمرارها.

ويلاحظ أن نشأة الجهاز الخاص قد صاحبها إحداث تغييرات جذرية فى الهيكل التنظيمى للجماعة، إذ ألغى نظام الكتائب وبدئ فى تنظيم الأعضاء ضمن إطار نظام الأسر التعاونى، وهكذا يمكننا أن نتصور البناء التنظيمى للجماعة وهو يسير فى ثلاثة خطوط متوازية- فى الغالب مجهولة لبعضها البعض- كل منها له أسلوبه وقواته، ومنهاجه وقيادته:

١- **نظام الأسر:** ويضم الأعضاء العاديين، وهو الوعاء الأساسى لعضوية الجماعة، وهو يسير فى إطار دينى بحت، وهو الذى يتعامل مع الناس فى المساجد وغيرها، ويكون حكم العامة على الإخوان من خلال هذا النظام.

٢- **نظام الجوالة:** ويضم الأعضاء الأكثر حماسا والأكثر استجابة والأكثر طاعة.

٣- **النظام الخاص:** وهو جهاز سرى مطلق السرية يتكون من ثلاث شعب: التشكيل المدنى- تشكيل الجيش- تشكيل البوليس.

ويتبع الجهاز السرى عدد من التشكيلات المتخصصة مثل جهاز التسليح، وجهاز الإخبار ويعتبر الأخير بمثابة جهاز المخابرات الخاص للجماعة، وقد وضع البنا واحداً من أخلص خلصائه على رأس هذا الجهاز هو عبد الرحمن السندى، وكان صالح عشماوى قد تولى رئاسة الجهاز فى البداية ثم تنحى عنه.

ويدرب أعضاء الجهاز تدريبا عسكريا قاسيا وعنيفا، ويعتادون الطاعة التامة والاستعداد للتضحية.. (وبعد أن ينتهى التدريب يقسم العضو يمين البيعة: أقسم بالله العظيم أن أكون حارسا أمينا لمبادئ الإخوان، مجاهدا فى سبيل الله على السمع والطاعة فى المعروف.. وأن أجاهد نفسى ما استطعت).. وفى المراحل الأولى كان قسم البيعة يتم وفق مراسيم خاصة (فى حجرة شبه مظلمة مفروشة بالحصير، ويتم القسم على مصحف ومسدس) وكان يكتسب مذاقا خاصا إذ كان يتم عادة بين يدى الشيخ البنا نفسه.

ويتباهى أحد قادة الجهاز السرى هنداوى دوير (أنا أقسمت لحسن البنا شخصيا) (محكمة الشعب- الجزء الأول- شهادة هنداوى دوير، ص: ٣٢).

وكان عضو الجهاز السرى يربى تربية خاصة ويهيمن عليه عقائديا بحيث تسيطر عليه فكرة الجهاد والشهادة فى سبيل الله، وقد حرص البنا دوما على أن يربط بين فكرة الجهاد وفكرة الموت فى سبيل الله، وقد بين ذلك فى مقال نشر فى صحيفة (الإخوان المسلمون) عدد ١٩٤٦/٨/١٦ بعنوان (فن الموت). وهكذا.. وبعد أن يتقن عضو الجهاز السرى (فن الموت) يتقدم للعمل، فيقول محمود عبد اللطيف أثناء محاكمته بتهمة محاولة اغتيال جمال عبد الناصر..

المدعى: فهمت أيه الفكرة من النظام السرى؟.

- المتهم: الفكرة هى الجهاد فى سبيل الله ودراسة القرآن والسيرة.

- المدعى: الغرض منه أيه..

- المتهم: الغرض منه محاربة أعداء الدعوة الإسلامية.

المدعى: كنت عارف إنك رايح تموت؟

- المتهم: إيوه.

المدعى: مفكرتش فى طريقة للهرب؟

- المتهم: لا.

(محكمة الشعب- الجزء الأول- ص:١١).

ونلاحظ فى النهايات: أن الجماعات الإرهابية كلها لها نفس التنظيم ونفس الهيمنة العقائدية وإتقان فن الموت، مما يؤكد أنها امتداد لجماعة الإخوان المسلمين، أو بمعنى أوضح تقوم بدور الجهاز السرى للإخوان المسلمين، كما سنثبت ذلك فى الفصل الثالث من هذا الكتاب.

حرب فلسطين فرصة سانحة

كان الشيخ البنا ماهرا إلى أقصى درجات المهارة فى استخدام الشعور القومى والإسلامى واعتلاء موجته لتعزيز مكانة الجماعة.. ومنذ عام ١٩٣٦ سنحت الفرصة لحسن البنا فى ثورة فلسطين، فوجد فيها ضالته للعمل والتوسع، وأكسبته تأييد الثورة الفلسطينية وعطف مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى.

وما يعنينا فى هذا الأمر هو أن القضية الفلسطينية قد أتاحت إمكانات عدة أمام الإخوان.. فمن خلال تأييدها اتضح البعد الإسلامى والعربى للجماعة، ومن خلالها أيضا أمكن للجماعة الوهابية أن تمد نشاطاتها إلى المنطقة العربية كلها كما أراد الملك عبد العزيز، وانتشرت شعبيتها من فلسطين إلى سوريا إلى لبنان إلى غيرها من البلدان.. لكن أكثر ما يعنينا فى هذا الكتاب هو أن مساندة الثورة الفلسطينية، ثم الاستعداد للمشاركة فى حرب فلسطين ١٩٤٨ كان الفرصة الذهبية أمام الشيخ البنا ليحشد ترسانة سلاح ضخمة، ويدرب رجاله علنا تحت شعار الإعداد لحرب فلسطين.. وفى المحاكمات التى جرت لأعضاء الجماعة عام ١٩٥٤ قيل الكثير حول تصرفات غير سليمة فى الأموال التى جمعت باسم الجهاد فى فلسطين.. وحول تجميع السلاح بحجة حرب فلسطين ثم تخزينه فى مخازن الجهاز السرى، واستخدامه فى عمليات الإرهاب الداخلى. (الجمهورية، ١١/٢٢/ ١٩٥٤).

ونجد أن الجمعية الشرعية- التى توهبت بعد صوفيتها- تستقى أوامرها من الإخوان المسلمين، بل وتقوم بخدمتها حيث جمعت ٦ ملايين جنيه لمجاهدى أفغانستان ثم أودعتها لحساب الإخوان فى ألمانيا، الذين يقومون بتمويل وتدريب قادة التطرف والإرهاب وتخزين الأسلحة للإرهاب الداخلى، طبقا لما نشرته مجلة روز اليوسف ١٩٩٣/١٢/١٣ مؤيدا بالوثائق والأدلة.

تورط الإخوان فى اليمن

ويدخل الميدان عنصر جديد.

ففى ١٧ فبراير ١٩٤٨ تهتز الأنظمة العربية كلها إذ تقع محاولة انقلاب فى صنعاء ضد الإمامة ويقتل الإمام يحيى وثلاثة من أبنائه.

ولقد هزت المحاولة الأنظمة العربية جميعا، التى كانت ترى فى أية محاولة للتغيير العنيف عدوى يمكن أن تنتشر إلى أرضها.. ولقد دهش الجميع عندما وجدوا أن أصابع الشيخ البنا ممتدة بعيدا حتى صنعاء.

وعندما أعلنت جماعة الإخوان نفسها شريكا فى الصراع اليمنى ووسيطا بل وحكما يملى شروطه ويتقدم بمطالب إصلاحية، ويحدد المناصب التى يجب أن توزع على قادة الانقلاب الذين اتضح للجميع أنهم كانوا على علاقة وثيقة بالشيخ البنا، وهو أمر لم يحاول الشيخ أن يخفيه، بل لعله- فى بعض الأحيان- تعمد الزهو بهذه الحقيقة. (مجلة المباحث ١٢/١٢/ ١٩٥٠).

وكان هذا من أسباب تردى العلاقات بين البنا والملك وحكام الأقلية.. وكانت الجماعة تعانى من الوهن الداخلى وتفتقد الدعم الخارجى من أى من القوى السياسية المسيطرة، وكان سوء علاقتها بالملك هو نقطة التحول الأساسية لديها. (طارق البشرى- المرجع السابق- ص:٣٦٩).

وعندما يقف الأخ المجاهد المسلح، موقف المتحدى، ويشعر بأنه مطالب بأن يحمى دعوته وأن يجابه خصومها، فإن العقل يخلى مكانه تماما كى يتكلم الرصاص والديناميت.

جرائم الجهاز السرى للإخوان المسلمين

فى يناير ١٩٤٨ أعلن البوليس أنه اكتشف بمحض الصدفة مجموعة من الشبان تتدرب سرا على السلاح فى منطقة المقطم، وبمداهمة المجموعة ضبط البوليس ١٦٥ قنبلة ومجموعات من الأسلحة.. وقال زعيم المجموعة سيد فايز: (إن السلاح يجرى تجميعه من أجل فلسطين، وأن الشباب يتدرب من أجل فلسطين) وقال: (إنهم اشتروا السلاح من العرب البدو من أجل الفلسطينيين) (المصرى ٢٢/١/١٩٤٨).

وبدأت أنظار البوليس تتجه ناحية شباب الجماعة..

وتأتى الخطوة الثانية فى ٢٢ مارس ١٩٤٨ عندما يقتل اثنان من الإخوان المستشار أحمد بك الخازندار، وذلك بسبب إصداره حكما على عـضو بالجماعـة سبق أن اتهم بالهجوم على مجموعة من الجنود الإنجليز فى أحد الملاهى الليلية، ويكتشف البوليس الصلة بين الشابين وبين مجموعة المقطم وبين جهاز سـرى مسلح داخل جمعية الإخوان المسلمين. (آخر ساعة ١٩٤٨/١١/٢٤) ولم يكن هذا الحادث سوى المقدمة..

فقد كانت حرب فلسطين تشتعل، وأسهم الإخوان المسلمون فى إذكاء مشاعر عنصرية ضد اليهود المصريين، وكان طبيعيا أن يسهم الجهاز الخاص المدجج بالسلاح والمستفز المشاعر سواء بسبب تعثر مسيرة القتال وخيانة الحكومات العربية العميلة، أو بسبب القبض على إخوة الجهاد الذين قتلوا الخازنـدار، كـان طبيعيا أن يسهم فى إذكاء نيران التعصب الدينى مستخدما الديناميت، وفى ٢٠ يونيو ١٩٤٨ اشتعلت النيران فى بعض منازل حارة اليهود، وفى ١٩ يوليو تـم تفجير شيكوريل وأركو وهما مملوكان لتجار من اليهود.

ويكون الأسبوع الأخير من يوليو والأول من أغسطس هما أسبوعا الرعب بالقاهرة حيث تتوالى الانفجارات فى ممتلكات اليهود.. وخلال أسبوعين دمـرت محلات بنزايون وجاتينيو وشركة الدلتا التجارية ومحطة ماركونى للتلغراف اللاسلكى، وفى ٢٢ سبتمبر دمرت عدة منازل فى حارة اليهود، ثم وقـع انفجـار عنيف فى مبنى شركة الإعلانات الشرقية.. ولسنا بحاجة إلى القول بأن الضحايا كانوا كثيرين وأنهم جميعا من الأبرياء. (المصرى ٢٠، ٢١، ٢٩، يوليو، ١، ٤ أغسطس ١٩٤٨).

وكانت أعين البوليس التى استيقظت مؤخرا قد اكتشفت أحد أطراف الخيط إذ ضبطت ترسانة سلاح ضخمة فى عزبة بالإسماعيلية يمتلكها الـشيخ محمـد فرغلى قائد كتائب الإخوان فى فلسطين.

وفى ١٥ نوفمبر ضبطت سيارة الجيب الشهيرة.. والتى وضعت يد البوليس على اثنين وثلاثين من أهم كوادر الجهاز السرى، وعلى وثائق وأرشيفات الجهاز بأكمله بما فيها خططه وتشكيلاته وأسماء الكثيرين من قادته وأعضائه.

(قضايا الإخوان– قضية سيارة الجيب: الحيثيات ونص الحكم، دار الفكر الإسلامى– القاهرة ١٩٥١).

محاولات يائسة

والشيخ البنا الذى اعتاد المناورة بالسياسة والسياسيين وجد نفسه محاصرا تماما عاجزا عن الفعل.

فإما أن يواجه القصر والحكومة، وإما أن يواجه أتباعه. وحاول أن يتخذ موقفا وسطا، ولعله راح ضحية هذه المحاولة. ولكن البنا حاول أن يلعب بآخر أوراقه (نفوذه وسط طلاب الجامعة) ودارت معركة عنيفة أمام فناء كلية طب قصر العينى أحد مراكز القوة بالنسبة لطلاب الإخوان.. واستخدام البوليس الرصاص واستخدم الإخوان المتفجرات، وإذ كان حكمدار العاصمة سليم زكى يقود المعركة فى سيارته (تلك السيارة التى ركبها حسن البنا منذ أقل من عام ونصف ليهدئ المتظاهرين ضد خيانة إسماعيل صدقى)، سددت نحوه قنبلة أصابته إصابة مباشرة.. واتهم بيان حكومى جماعة الإخوان المسلمين بقتله.

وعلى أثر ذلك، صدر قرار من الحاكم العسكرى بإيقاف صحيفة الجماعة. وحاول البنا يائسا إنقاذ الجماعة.. اتصل بكل أصدقائه وحتى خصومه، ولعب بكل أوراقه، حاول الاتصال بالملك، بإبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى، وبعبد الرحمن عمار (صديقه الشخصى وصديق الجماعة) وكان وكيلا لوزارة الداخلية، ولأن الشيخ قد فقد أسباب قوته، فقد بدأوا يتلاعبون به، ففى الساعة العاشرة من مساء يوم ٨ ديسمبر اتصل به عبد الرحمن عمار وأكد له أن شيئا ما سيحدث لتحسين الموقف وإنقاذ الجماعة. واطمأن الشيخ وقبع هو ومجموعة من أنصاره فى المركز العام ينتظرون الإنقاذ، فإذا بالراديو يذيع عليهم قرار مجلس الوزراء بحل الجماعة، بناء على مذكرة أعدها عبد الرحمن عمار نفسه.

الاتهامات الموجهة للإخوان المسلمين

واشتملت مذكرة عبد الرحمن عمار المرفوعة إلى مجلس الوزراء على ثلاث عشرة تهمة، نذكر منها:

١- أن الجماعة كانت تعد للإطاحة بالنظام السياسى القائم، وذلك عن طريق الإرهاب مستخدمة تشكيلات مدربة عسكريا هى فرق الجوالة.

٢- مسئولية الجماعة عن مقتل أحد خصومها السياسيين (وفدى) فى بور سعيد.

٣- مسئولية الجماعة بحيازة أسلحة ومفرقعات ومتفجرات (حادث المقطم- مستودع السلاح بعزبة الشيخ محمد فرغلى- ضبط مصنع للمتفجرات بالإسماعيلية).

٤- نسف فندق الملك جورج بالإسماعيلية.

٥- نسف العديد من المنشآت التجارية المملوكة لليهود.

٦- الاعتداء على رجال الأمن أثناء تأدية وظائفهم.

٧- إرهاب أصحاب المنشآت التجارية وتهديدهم بهدف الحصول على تبرعات واشتراكات مدفوعة مقدما لصحيفة الجماعة.

٨- قتل المستشار المسلم أحمد باشا الخازندار لحكمه على بعض أفراد الجماعة الذين اعتدوا على جنود الإنجليز.

وإذ حاول البعض الخروج من مقر المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين وجدوه محاصرا، واقتحمه البوليس ليلقى القبض على كل من فيه باستثناء البنا.. الذى ترك طليقا بحجة أنه لم يصدر أمر باعتقاله. (الدعوة، غرة ربيع الأول ١٣٩٧- فبراير ١٩٧٧).

وكانت حريته هذه هى عذابه ونهايته.

ودارت ماكينة العنف السياسى نحو الإخوان.. هؤلاء الذين باركوا دورانها ضد خصومهم من الوفديين والتقدميين والشيوعيين فإذا بغول الديكتاتورية يبتلعهم هم أيضا. وحاول البنا جهد طاقته أن يوقف طوفان المحنة.. لكنه كان عاجزا بالفعل.

فالحكومة التى هادنها وهادنته كانت تضرب بعنف وقوة مصممة على تصفية الإخوان، ورفض النقراشى كل محاولات البنا للالتقاء، والجماعة التى بناها الشيخ على مدى عشرين عاما تنهار أمام عينيه، وجهازه السرى تتقطع خطوط اتصاله، فقد كانت ضربة سيارة الجيب قاصمة بالنسبة لقيادة الجهاز السرى وشبكات اتصاله، وإذ ضربت قيادة الجهاز فقد البنا اتصاله به، بل وفقد سيطرته عليه.

اغتيال النقراشى على يد الإخوان

فى العاشرة وخمس دقائق من صباح الثلاثاء ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م وقعت الواقعة، وصعدت المأساة إلى أعلى قممها، حيث وصل النقراشى باشا إلى وزارة الداخلية يحيط به ضباط الشرطة يحرسونه وهو يتجه إلى المصعد فى طريقه إلى مكتبه بالدور الثانى، تقدم منه الطالب الصيدلى عبد المجيد أحمد حسن يرتدى ملابس شرطة برتبة ملازم أول وأطلق على ظهره رصاصتين فسقط قتيلا بعد عشرين يوما من صدور الأمر العسكرى بحل جماعة الإخوان، لم يحاول القاتل الهرب فتم القبض عليه، ولم يضف عبد المجيد أحمد حسن إلى اعترافاته جديداً خلال الستة عشر يوما التالية رغم التعذيب الوحشى الذى عاناه.

ولكن القاتل العنيد فجأة عندما قدم إليه النائب العام محمود منصور صباح يوم ١١ يناير ١٩٤٩ صحف الصباح وفيها (بيان للناس) كتبه الشيخ حسن البنا يقول فيه: (وقعت أحداث نسبت إلى بعض من دخلوا هذه الجماعة دون أن يتشربوا روحها، وتلا هذا الحادث المروع اغتيال دولة رئيس الحكومة محمود فهمى النقراشى باشا الذى أسفت البلاد لوفاته، وخسرت بفقده علما من أعلام نهضتها، وقائدا من قادة حركتها، ومثلا طيبا للنزاهة والوطنية والعفة من أفضل أبنائها.

ولما كانت طبيعة دعوة الإسلام تتنافى مع العنف بل تنكره، وتمقت الجريمة مهما يكن نوعها، وتسخط على من يرتكبها، فنحن نبرأ إلى الله من الجرائم ومرتكبيها.

والله أسأل أن يحفظ جلالة الملك المعظم ويكلأه بعين رعايته، ويثبت خطى البلاد حكومة وشعبا فى عهده الموفق إلى ما فيه الخير والفلاح.. آمين).

وأدت اعترافات عبد المجيد أحمد حسن إلى القبض على خمسة من الإخوان المسلمين بتهمة الاشتراك والاتفاق والتحريض والمساعدة بينهم الشيخ سيد سابق- صاحب كتاب فقه السنة- الذى أخذ يقنعه بأن القتل حلال فى سبيل الله، فالنقراشى اعتدى على الإسلام بحل الجمعية. واستشهد الشيخ سيد سابق ببعض آيات القرآن الكريم.

وشيع أنصار الحكومة جثمان رئيس وزرائهم النقراشى هاتفين فى صراحة (الموت لحسن البنا) (رأس البنا برأس النقراشى) وتهتف (الدم.. بالدم) (المباحث ١٩٥١/١/٢٣).

السخط العام على الإخوان

وأتى إبراهيم عبد الهادى رئيسا للوزراء ليدير ماكينة العنف الرسمى إلى أقصى مداها.. ولتتسع دائرة الاعتقالات فى صفوف الإخوان فتشمل ٦٠٠٠ معتقل.

وفى زنازين التعذيب الرهيبة كان أقصى ما يؤلم الإخوان قيام أجهزة الأمن بتعليق الآية الكريمة (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (المائدة: ٣٣).

ولعل شكوكا كثيرة قد ساورت هؤلاء الشبان من أعضاء الجهاز السرى وهم يعانون من التعذيب الوحشى فى جدوى عملية الإرهاب ضد خصومهم، وفى مدى انطباق فكرة الجهاد على ما ارتكبوه من أعمال.

ومع ماكينة التعذيب كانت ماكينة الدعاية تدور لتجرم الجماعة وشيخها ومنهجها وجهازها السرى، فلقد صدر:

١- فتوى مفتى الديار المصرية الشيخ حسنين محمد مخلوف يدين أفعال الجماعة ويتهم القائمين بها بالكفر.

٢- بيان من هيئة كبار العلماء.

٣- بيان ثالث من شيخ الأزهر محمد مأمون الشناوى.

٤- إدانة من مفكرين وكتاب يتمتعون باحترام جمهور الشعب.

لكن استنكار الجهاز السرى وجرائمه لم يأت من خارج الجماعة فقط، بل لعله أتى أكثر من داخلها.. بل من شيخها ومنشئها ومؤسس الجهاز السرى نفسه.

* يقول منير الدلة عضو مكتب الإرشاد العام فى اعترافاته أمام المحكمة: (شفت الأستاذ حسن بعدما حصلت حادثة الخازندار وكان مرهق ومتعب جدا من الحكاية دى، وقال لى: الإخوان قاموا بارتكاب الحادثة دى إزاى.. دى جريمة بشعة).. (محكمة الشعب، الجزء الثانى- محاكمة حسن الهضيبى "شهادة منير الدلة" ص١٢٣٦- ١٢٣٧).

* ونمضى لنتابع مواقف بقية قادة الجماعة من أعمال الإرهاب، يقول حسن الهضيبى خليفة حسن البنا فى اعترافاته أمام المحكمة: (لما جيت فى الإخوان المسلمين فى سنة ١٩٥١ تبين لى أن عندهم شئ اسمه النظام الخاص، فأنا سألت أيه الغرض من هذا النظام؟ وأيه مرماه؟ وتعملوا بيه أيه؟ خصوصا بعد ما ثبت أنه ارتكب جرائم قبل ذلك فى السنوات ٤٦-٤٧-١٩٤٨، وكل هذه الجرائم التى ارتكبت طبعا انحراف أو خروج عن الغرض الأصلى) (محكمة الشعب، الجزء الرابع- محاكمة محمود عبد اللطيف (شهادة حسن الهضيبى) ص ٧٨٨).

* وقائد ثالث من الإخوان- محمد عبد المعز محمد عبد الله- يقول فى شهادته أمام المحكمة:

الدفاع: قتل النقراشى حلال؟

الشاهد: جريمة.

الدفاع: وقتل الخازندار حرام؟

الشاهد: إيوه.

الدفاع: إسلام أو كفر؟

الشاهد: كفر.

الدفاع: وقاتله؟

الشاهد: يدخل النار.

الدفاع: فى عهد من قتل الخازندار والنقراشى؟

الشاهد: فى عهد حسن البنا.

الدفاع: ومن يقر القتل كافر أو مسلم؟

الشاهد: ....

(المرجع السابق- الجزء الثانى- ص ٣٧٦).

* وقائد آخر من قادة الجماعة هو محمود الحواتكى يتكلم أمام المحكمة:

الدفاع: هل اغتيال الخازندار من ضمن الأخطاء؟

الشاهد: نعم.

الدفاع: والذين اتكبوا هذه الأخطاء مسلمين أو غير مسلمين؟

الشاهد: انخلعت عنهم ربقة الإيمان.

الدفاع: هل تعتقد أن الذين يقرونهم ويوافقون على هذه الجرائم مسلمين أو غير مسلمين؟

الشاهد: غير مسلمين.

ومضى الشاهد فى اعترافاته مؤكدا أنه فى أيام حسن البنا كان الذى يخرج على الجهاز السرى يقتل (المرجع السابق، ص: ٢٥٤).

ونترك هذا الحديث إذ بإمكانه أن يطول.. وقد أردنا فقط منه أن نثبت أن مقولة الجهاد التى قام على أساسها الجهاز السرى لم تكن واضحة ولا مستقرة ولا مقبولة من كوادر الجماعة وقادتها. وأن الزهو عندما انطفأ، انهار الكثيرون مدلين باعترافات كاملة.. كان أخطرها تطوعهم بإدانة فكرة الجهاز السرى وتكفير

القائمين عليه.

نترك ذلك.. ونعود إلى الشيخ حسن فى محنته القاسية.

الخداع والتلاعب بالشيخ البنا

كان الشيخ حسن البنا يعانى أكثر ما يعانى من حريته المفروضة عليه.. وأكثر من مرة طالب خصومه بأن يضعوه فى المعتقل ولكنهم رفضوا، فقد اختمرت لديهم فكرة تصفية الشيخ سياسيا أولا وبعدها يصفى جسديا. وقد كان..

وفى حريته كان الشيخ أكثر عذابا من أتباعه المسجونين، فقد تركوه محاصرا، ضعيفا، لقد انفرط عقد الجماعة، والجهاز السرى تقطعت خطوطـــه، والبنـــاء الشامخ ينهار، (ورهبان الليل وفرسان النهار) يتساقطون تحت آلة التعذيب ليدلوا باعترافات متكاملة تجر إلى الزنازين المزيد والمزيد من الإخوان.

والشيخ الذى أصبح ملء السمع والبصر، أصبح يستجدى مقابلة مع رئيس الوزراء، مقدما كل ما يستطيع من تنازلات.. ويأبى رئيس الوزراء أن يقابله.

وبالنسبة لرجل كحسن البنا، يكون وضع كهذا هو قمة المأساة، ولجأ الشيخ البنا إلى الوساطة.. والصحيح أنه قد وقع فى مصيدة الوساطة. لقــد اســتدرجوه خطوة خطوة، ليقدم تنازلا، أثر تنازل وفى النهاية اغتالوه.

وقد رفض إبراهيم عبد الهادى مقابلة الشيخ، ثم أحال الأمر إلى اثنين من أخلص أعوانه ليراوغا الشيخ ويستدرجاه أولا إلى مصيدة التصفية السياسية.

ولنلق نظرة على الصائدين.. ثم على المصيدة.

– **الصائدان:** مصطفى بك مرعى، وزكى باشا على.

– **المـــصيدة:** استدراج الشيخ إلى إصدار بيانات واتخاذ مواقف تدمر سمعته السياسية وتظهره بمظهر الضعيف أمام أتباعه وجماهيره، وتؤدى إلـــى تـــدمير معنويات الإخوان المحتجزين، ثم فى النهاية تصفيته جسديا بعد أن يصفى سياسيا.

لكن كيف كانت تجرى المفاوضات بين الصائد والصيد؟.. وكيف كان الشيخ المقصوص الأجنحة يجر جرا إلى المصيدة.

لنستمع إلى شهادة أقرب المقربين إلى حسن البنا، (أخو خديجة) كما أسماه يوما.. صهره عبد الكريم منصور، إنه يستخدم نفس التعبير فيقول: (.. وعـــلاوة

على ذلك استخدمت الحكومة الأستاذ مصطفى مرعى كأداة صيد.. لأن مصطفى مرعى اتصل بصالح حرب، وقال له: أنا عاوز أفاوض الإمام الشهيد، وأخـذ الأستاذ مصطفى مرعى بأساليب ملتوية ممقوتة يعمل على إبقاء الإمام الشهيد بالقاهرة، موهما بأسلوب بهلوانى بأن الحكومة ستلغى أمر الحل وتتـصالح مـع الإخوان، وتعود الأمور إلى ما كانت عليه).. (محاكمات الثورة– الكتاب الأول– ص: ١٢٥).

وهكذا فعندما يتردى السياسى فى هاوية التنازلات.. فلا عاصم. ويوقع البنا بيانا بعنوان (بيان للناس) استنكر فيه أعمال رجاله ورفـاق طريقـه، ودمغهـا بالإرهاب والخروج على تعاليم الإسلام، وكان البنا يلح على ضرورة الإفراج عن بعض رجاله، معلنا أنه (لا يستطيع أن ينكر الأخطاء التى ارتكبها الإخـوان، وأنها قد هزته إلى درجة أنه هو نفسه قد شعر بضرورة حل الجماعة) (موسى إسحق الحسينى، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية، ص: ٣٦).

لكن عبد الهادى لم يقتنع بمنطق الشيخ ولم يكتف بالبيان الذى أصدره، وأخذ مصطفى مرعى يلح على ضرورة تسليم محطة الإذاعة السرية للإخوان، وكـل ما بقى لدى الإخوان من أسلحة. (جمال سليم، البوليس السياسى يحكم مصر، ص: ١٩٩).

وبعد يومين من صدور (بيان للناس) قبض على أحد قادة الجهاز السرى وهو يحاول نسف محكمة استئناف مصر حيث أصيب ٢٥ شخصا، وحصلت بعـد ذلك مفاوضات بين مصطفى مرعى وصالح حرب مع الشيخ البنا، واتفقوا على إصدار بيان بعنوان (ليسوا إخوانا وليسوا مـسلمين) وعنـدما يـدخل الـصيد المصيدة.. تكون التصرفات غير محسوبة.. ولنقرأ ما خطه الشيخ البنا بيده:

ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين

(وقع هذا الحادث الجديد، حادث محاولة نسف مكتب سعادة النائب العام، وذكرت الجرائد أن مرتكبه كان من الإخوان المسلمين، فشعرت بأن من الواجب أن أعلن أن مرتكب هذا الجرم الفظيع وأمثاله من الجرائم لا يمكن أن يكون من الإخوان ولا من المسلمين، لأن الإسلام يحرمها والأخوة تأباها وترفضها.

ولكن مصر الآمنة لن تروعها هذه المحاولات الأثيمة، وسيتعاون هذا الشعب الحليم الفطرة مع حكومته الحريصة على أمنه، وطمأنينته فى ظل جلالة الملك المعظم على القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة، وليعلم أولئك الصغار من العابثين أن خطابات التهديد التى يبعثون بها إلى كبار الرجال لن تزيد أحدا مـنهم إلا شعورا بواجبه وحرصا على أدائه، فليقلعوا عن هذه السفاسف ولينصرفوا إلى خدمة بلادهم.

وإنى أعلن أننى منذ اليوم سأعتبر أى حادث من هذه الحوادث يقع من أى فرد له اتصال بجماعة الإخوان موجها إلى شخصى، ولا يسعنى إزاءه إلا أن أقدم

نفسى للقصاص أو أطلب إلى جهات الاختصاص تجريدى من جنسيتى المصرية التى لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء، ولله عاقبة الأمور).
(حسن البنا)

وهكذا.. امتص المفاوضون البرتقالة إلى آخر قطرة.

(د. رفعت السعيد، حسن البنا– ص: ٢٣٤).

وماذا يبقى من الشيخ؟

رجاله فى السجون يبعثون له يهددونه، ومن بقى بالخارج يتمرد عليه، وهو يتهم أخلص خلصائه.. الذين أقسموا له على المصحف والمسدس يمين الطاعة التامة فى المنشط والمكره.. يتهم (رهبان الليل وفرسان النهار) بأنهم (ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين). بل ويتردى إلى مديح الحكومة التى تعذب رجاله أشد العذاب، ويقول: إنها حريصة على أمن الشعب وطمأنينته (فى ظل جلالة الملك) بل.. ويحرض الشعب على التعاون مع الحكومة (للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة).

(رهبان الليل وفرسان النهار) أصبحوا فى آخر بيان للشيخ (أولئك الصغار من العابثين) وجهادهم أصبح (سفاسف) ولا يبقى للشيخ ما يقوله.. سوى أنه سيطلب تجريده من جنسيته المصرية (التى لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء) وقرر القتلة أن يطلقوا الرصاص على جثته.

الإذلال والاغتيال

وأصبح البنا بلا حارس، أو مسدس، أو سيارة.. فقد سحبوا مسدسه المرخص، ثم سحبوا الحراسة المحيطة به، ثم سحبوا سيارته، وفوجئ ذات يوم بأن التليفون فقد الحرارة بأمر من وزارة الداخلية، وامتنع البنا عن الصلاة فى جامع قيسون بناء على نصائح الأسرة والأصدقاء وأخذ يؤدى الصلاة فى بيته.. حتى صلاة الجمعة كان يؤديها فى بيته!!.

وكانت جمعية الشبان المسلمين –المقر الذى أسسته الوهابية– هى المكان الوحيد الذى يدخله البنا إذا غادر بيته.

وجاءت الساعة..

فى مساء السبت ١٢ فبراير ١٩٤٩- يوم ذكرى ميلاد الملك فاروق- استدرج الشيخ البنا إلى جلسة مفاوضات أخرى أو أخيرة فى جمعية الشبان المسلمين، وبعد انتهاء المفاوضات خرج البنا ومعه صهره عبد الكريم منصور ليستقلا التاكسى، وقبل أن يحدد البنا وجهته تقدم رجل يرتدى الملابس البلدية ويبدو ملثمـــا، وفتح باب السيارة وأخذ يطلق النار على الشيخ البنا، وجاء رجل آخر وأطلق النار على عبد الكريم منصور، ونقل الشيخ وصهره إلى القصر العينى، ولم يترك فى مكان الجريمة سوى مسبحته من ٩٩ حبة.

وفى الثانية عشر والربع بعد منتصف الليل مات الشيخ متأثرا بجراحه.

قال الشيخ عمر التلمسانى مرشد الإخوان الثالث: إن البنا قتل بالرصاص وبغير الرصاص، وإن الملك أمر أن يترك فى المستشفى بلا علاج، ليمــوت، وإن صاحب الجلالة ذهب إلى المستشفى ليراه قتيلا!.

نقل الجثمان إلى مشرحة زينهم حيث تم تشريحه، فوجد الأطباء أن الجسد اخترقه (٧) أعيرة نارية، وأن الوفاة حدثت نتيجة النزيف من (٤) أعيرة.

ونقل جثمان البنا، إلى بيته فى سيارة تحرسها سيارة مملوءة بفريق من رجال البوليس المسلحين.

وقيل لوالده: إنهم لن يسلموا إليه جثته إلا إذا وعدهم بأن تدفن فى الساعة التاسعة بلا احتفال.. وإلا سيضطرون إلى حملها من المستشفى إلى القبــر.. وقــد وعدهم بذلك.

وقام الأب بنفسه بإعداد جثة ولده وتجهيزه للدفن، فإن أحدا من الرجال المختصين بذلك لم يسمح له بالدخول.

وبقيت مشكلة من يحمل الجثة إلى مقرها الأخير؟

طلب والده من رجال البوليس أن يحضروا رجالا يحملون النعش فرفضوا، قال لهم: ليس فى البيت رجال، لأن إخوته كانوا بالسجون.

أجابوا: فلتحملها النساء.

وخرج نعش الفقيد محمولا على أكتاف نساء ثلاث تتقدمهن زوجته وابنته، ودخلوا مسجد قيسون فوجدوه خاليا من الناس والعاملين، فوقف والده يصلى عليه الجنازة وخلفه النساء، ومضى النعش إلى مدافن الإمام الشافعى فورى البنا التراب، وعاد الجمع القليل إلى البيت.

وهكذا فى اثنتى عشرة ساعة قتل الشيخ البنا، وشُرِّح، وغُسِّل، ودُفِنَ، وانطوت صفحة حياته..

ومضى النهار وجاء الليل فحُرِّم على أفراد الأسرة إقامة العزاء وتلاوة القرآن (محسن محمد، من قتل حسن البنا؟ من صفحة ٤٨٥ حتى ٥٤٤).

ونقول: إن كثرة المشيعين دليل الصلاح والتقوى، فلقد كان أهل البيت يقولون لبنى أمية، بيننا وبينكم الجنائز، أنظروا كم يمشى خلفنا وكم يمشى خلفكم.

من قتل حسن البنا؟

بعد مقتل الشيخ البنا ظهرت عدة تصورات لمرتكبى الجريمة:

١- الجريمة ارتكبت على يد أحد عملاء الحكومة انتقاما لاغتيال النقراشى باشا.

٢- الاغتيال قام به أحد أعضاء الإخوان المسلمين، إما لأن الشيخ حسن البنا خذل الإخوان المسلمين المعتقلين، وإما لأنه كان على وشك أن يعطى السلطات معلومات متعلقة بإمدادات الإخوان من الأسلحة.

٣- الاغتيال تم على يد شخص يعمل لحساب الأسرة المالكة اليمنية انتقاما لمقتل الإمام يحيى فى فبراير ١٩٤٨ فى المخطط الذى قيل إن الإخوان المسلمين شاركوا فيه.

٤- القصر هو الذى دبر مقتل الشيخ حسن البنا خشية أن يكشف البنا عن طبيعة علاقاته بالقصر.

وهذا الاحتمال الأخير كان يردده الإخوان أنفسهم. وفى المحاكمات التى عقدت فى أعقاب ثورة يوليو لمحاكمة قتلة الشيخ حسن البنا حيث طلبوا رسميا تقديم متهمين جدد على رأسهم الملك السابق فاروق باعتباره محرضا وفاعلا أصليا.

ويقول د. رفعت السعيد: ولأن القاتل الحقيقى كان فاروق.. فإن الباحث يكتم دهشته- بل ما هو أكثر من الدهشة- إذ يجد فى سجل تشريفات قصر عابـــدين يوم ١٤ نوفمبر ١٩٥١.. أسماء عديد من قادة الإخوان، أتوا إلى أبواب قصر الملك ليعربوا- مرة أخرى- لقاتل شيخهم، الذى وصـــفوه فـــى مجلـــة الإخـــوان المسلمين يوم أن شهد احتفالهم بعيد الهجرة إنه (أعاد صورة سالفة، صورة الرسول الكريم حينما طلع على أنصاره طلوع البدر) أتوا لقاتل شيخهم ليعربوا ربما عن ولائهم، وربما عن نسيانهم لدم شهيدهم. والتوقيعات ذات دلالة.

- خليفة الشيخ البنا.. المرشد الجديد حسن إسماعيل الهضيبى.
- أقارب الشيخ البنا.. شقيقه عبد الرحمن البنا وعضو مكتب الإرشاد، وصهره عبد الحكيم عابدين وسكرتير عام الجماعة.
- وأقرب المقربين إليه من رجاله:

صالح عشماوى- عبد القادر عودة- محمد الغزالى- عبد العزيز كامل، وكلهم أعضاء مكتب الإرشاد العام.

- وحتى السكرتير الخاص وكاتم أسرار البنا ورفيق رحلته الطويلة سعد الدين الوليلى أتوا به معهم ليوقع هو أيضا معربا عن ولائه للملك فاروق**!.**

وطوال رحلتنا مع هذه الدراسة تراكمت علامات استفهام وعلامات تعجب كثيرة، وتكون علامة التعجب الأخيرة مثارا لما هو أكثر من الدهشة.. وتساؤلا حول مدى وفاء الموقعين لذكرى شيخهم وإمامهم ومرشدهم وشهيدهم.. وحول مدى صدق ما يصيغون من تراتيل الوفاء لشيخ نسوا ذكراه على عتبات قصر قاتله**!!.**

الفصل الثالث

الإخوان بعد حسن البنا

الهضيبى هو بداية النهايات

المدخل لمعرفة شخصية حسن الهضيبى مرشد الإخوان بعد الشيخ البنا هو اللقاء الذى أجرته معه خيرية خيرى بجريدة أخبار اليوم تحت عنـــوان (س و ج) العدد ٤٩١ السنة العاشرة فى تاريخ ٣ إبريل ١٩٥٤م، ٢٩ رجب ١٣٧٣هـــ.

سألته عن اسمه وعمره وعمله الآن:

وأجاب: حسن الهضيبى– ٦١ سنة– مرشدا عاما للإخوان المسلمين.

س: وكيف وصلت إلى منصبك فى فترة قصيرة؟

جـــ: معرفش.. هم اللى اختارونى.

ثم سألته عن الفضيلة وعن الأهداف السياسية، وعن المرأة وهل تسمحون لها بالانتخابات والترشيح؟

جـــ: نعم، ولكن بشرط أن تكون قد تعلمت التعليم الدينى.

س: هل ستجرون لها امتحانا لتعرفوا إن كانت تعلمت التعليم الدينى أم لا؟

جـــ: الواقع إذا كانت تعلمت التعليم الدينى فسترفض الاشتغال بالسياسة..

س: وما هى أزياء النساء التى يقرها الإخوان المسلمون؟

جـــ: الإسلام لا يشترط ملابس معينة.. إنه يشترط فقط ألا تكشف المرأة إلا عن وجهها وكفيها. وبعد ذلك لها أن ترتدى البنطلـــون والجبـــة والقفطـــان إذا أرادت.

س: لكل حزب وكل جمعية رأس ورؤوس مفكرة، فمن من الإخوان هم الرؤوس؟

جـ: طبيعى المرشد العام ومكتب الإرشاد.

س: كم عدد أعضاء المكتب؟

جـ: ١٥.

س: من أبرزهم؟

جـ: كلهم دواهى.

س: ما أسماؤهم؟

جـ: ما افتكرهمش إلا لما يكونوا قدامى.

س: مرسى أو أورفوار؟

جـ: السلام عليكم ورحمة الله.

ونترك التعليق على هذا اللقاء لأحد قادة الإخوان وهو فتحى العسال- الساعد الأيمن لعبد الحكيم عابدين السكرتير العام للجماعة- فى كتابه: الإخوان المسلمون بين عهدين، الطبعة الثانية، ص ١٥٣- ١٥٤ حيث يقول: (وتبين للقارئ الكريم من هذا الحديث كيف توصل هذا الدخيل إلى صفوف الإخوان، وكيف أجاب على أسئلة الجريدة بقوله معرفش.. هم اللى اختارونى.

بيد أن سلطانا طاغية كان مسلطا على الرؤوس المفكرة، وعلى الدواهى الذين سماهم لاسيما وأنه يقول:

(ما افتكرهمش إلا لما يكونوا قدامى) وذلك هو الجهل المفجع والخبص المؤلم المرذول، فأنى لهذا المعتوه معرفة إخوانه حتى المقربين لديه؟ لا السواد الأعظم البعيدين عن القاهرة.

ويتطرق بنا الحديث حول الفضيلة والأهداف السياسية والمرأة، وكيف سمح لها أن تدخل الانتخاب وترشح نفسها للبرلمان بشرط أن تكون قد تعلمت التعليم

الدينى.

ثم يسحب هذا التصريح عندما تسأله الجريدة عن امتحانها فى التعليم الدينى بقوله:

- الواقع إذا كانت قد تعلمت التعليم الدينى فسترفض الاشتغال بالسياسة.

وأية فضيلة هذه التى ارتضاها الهضيبى للفتاة بأن الإسلام لا يشترط ملابس معينة، إنه يشترط ألا تكشف المرأة إلا عن وجهها وكفيها- وهل البلاج الذى كان يجلس إليه يتطلع إلى الغاديات الحسان العاريات- تتكفل للمرأة بهذا الشرط الذى يقول فيه: ولها بعد ذلك أن تلبس البنطلون؟.

وأخيرا: لا نجد التعليق على هذه الأقوال سوى أن نترك المزيد من علامات التعجب والاستفهام حول هذه الأخلاق من القيادات الإخوانية!!.

التلمسانى يشبه قادة الإخوان بالأنبياء والمرسلين

يقول عمر التلمسانى - المرشد العام الثالث للإخوان- بالحرف الواحد فى كتابه (ذكريات لا مذكرات) ص٨٠:

(إن الله جل شأنه هو الذى يختار لهذه الدعوة الطاهرة البريئة، فلما كان الأمر هو أمر تربية وتوجيه وربط المسلم برباط العقيدة الذى لا يتزلزل، لما كان الأمر هو تأليف رجال يحملون الدعوة، لما كان الأمر هو إيقاظ قلوب وتنبيه عقول، لما كان الأمر هو أمر عودة المسلمين إلى الإيمان وإحياء فريضة الجهاد من جديد، لما كان الأمر كذلك اختار الله لهذه الدعوة إمامها الشهيد حسن البنا).

لقد افترض عمر التلمسانى أن المسلمين قد ارتدوا عن تعاليم الإسلام وأن الله سبحانه أوحى إلى حسن البنا بدور النبى ρ، أى: نشر الإسلام بين هؤلاء. ولم يقل التلمسانى كيف تم هذا الاختيار؟ وما هى مؤهلات هذا الوارث المحمدى الموجودة فى الشيخ البنا- الذى كان يعمل مدرسا للخط، وفى الإجازة الصيفية يصلح الساعات كما اعترف بذلك الشيخ البنا فى كتابه مذكرات الدعوة والداعية-؟.

نعم نريد دليلا على أن الله سبحانه وتعالى وقع اختياره على الإمام حسن البنا لبعث إسلامى جديد، وبدء جهاد المسلمين لكى يعود المسلمون إلى الإيمان بالإسلام، ويضيف التلمسانى فى كتابه: (لولا الحال الذى وصل إليه المسلمون لما قام الشهيد حسن البنا، ولولا الإمام الشهيد حسن البنا لما استيقظ الوعى الإسلامى من رقدته، ويخرج من هذا المناخ الرسل والأنبياء لأنهم مبعوثون من خالق الأحداث والمواقف، وخالق العظماء، ولقد كان وضع المسلمين فى العشرينيات وما قبلها فى أشد الحاجة إلى من يغير لهم ما كانوا عليه).

ونطرح هذا السؤال:

هل شعر الناس فى مصر أن حسن البنا له رسالة غير الاغتيال وإلقاء القنابل ونسف المنشآت وتجميع المسلمين لحرب أهلية داخل مصر؟.

أين فكر حسن البنا الذى غير به حال المسلمين؟ وأين كتبه؟ وأين فقه الإمام؟.

لم نجد سوى جماعة مسلحة تعمل بالسياسة، واتخذت من قتل الأبرياء وترويع الوطن منهجا للوصول إلى الحكم.

وأعجب من هذا أن عمر التلمسانى يطرح نفس المقولة عن الاختيار الإلهى للمرشد الثانى للإخوان حسن الهضيبى، فهو أيضا الوريث الشرعى لإرث النبى ρ، وبالمنطق فإن عمر التلمسانى هو أيضا ممن اختارهم الله لتولى هذه المسئولية.

يقول عمر التلمسانى ص٨٠ من نفس الكتاب السابق: (ولما كان الشأن هو شأن مواجهة الظلم والباطل، ولما كان الشأن هو شأن إخراج تعاليم هذه الدعوة إلى حيز التطبيق العملى ومواجهة الداعية للحاكم- جمال عبد الناصر الإخوانى- فى رجولة إسلامية كاملة، ولما كان الشأن هو حفظ الدعوة تحت قيادة مجاهدة مرضية راضية، اختار الله لهذه الدعوة مرشدها الإمام حسن الهضيبى) ونحن نسأل ماذا صنع المرشد الأول أو الثانى أو الثالث أو الرابع أو الخامس أو السادس، الحالى للإسلام والمسلمين بعد هذا الاختيار الإلهى؟

نريد منكم يا قادة الإخوان أن تشيروا بأصابعكم لأى إنسان من كوكب الأرض اعتنق الإسلام على أيديكم، أو عن طائفة غير مسلمة دخلت دين التوحيد بفضل جهاد حسن البنا.. أو الهضيبى أو التلمسانى أو حامد أبو النصر أو مأمون الهضيبى، أو محمد مهدى عاكف .. إنسان واحد ولا نقول اثنين أو ثلاثة من غير المسلمين اعتنق الإسلام على أيدى ورثة النبى المزعومين؟ أى جهاد إذن يدعون إليه؟

ماذا حقق الإخوان من فتوحات إسلامية على أيدى مرشديهم الستة المختارين من المولى تبارك وتعالى؟ ماذا حقق الإخوان من نشر الإسلام فى ربوع الأرض على مدى سبعة وسبعين عاما؟.

إن حسن البنا الإمام لم يستطع إخضاع المصريين لراية الإخوان، بل كان حزب الإخوان المسلمين فى ذروة قوته أقل قوة وانتشارا من حزب الوفد مثلا، حتى أن حسن البنا سقط فى الانتخابات!!.

أما إنجازات الإخوان فيحدثنا عنها المرشد الثالث التلمسانى فيقول فى كتابه (ذكريات لا مذكرات) ص٨١:

(قد يتوهم البعض أننا قوم نظريون ولسنا عمليين على الإطلاق، ولكن الناس أعداء ما جهلوا، ولن تجد حزبا أو هيئة أو جمعية فى مصر لها من الأمور العملية الواقعية ما للإخوان المسلمين من إنجازات فى الإسماعيلية وشبراخيت والمحمودية والقاهرة وغيرها.. مؤسسات اقتصادية وتجارية ومصانع نسيج وشركات، ولو نظرت اليوم إلى كثير من الشئون العملية كالبنوك وغيرها لوجدت وراءها العديد من الإخوان المسلمين، حتى الصحافة والمطابع والنشر لنا فيهم دور غير منكور ..).

لقد حدد التلمسانى إنجازات الإخوان وكان صادقا بحق.. فهو لم يزعم أنه حرر بيت المقدس، ولا نشر الإسلام بين أمم الكفار، ولم يزعم أنه أعاد المسلمين إلى الإيمان بعد ارتدادهم.. إنه لم يجد فى إنجازات الإخوان رغم الاختيار الإلهى لهم لبعث الإسلام، غير إنجازات تجار العملة!!.

نعم.. لقد برع الإخوان فى تجارة العملة وفى إنشاء شركات توظيف الأموال التى سرقت أموال اليتامى والأرامل، وأقامت فى كل بيت فى مصر مأتما، وفى كل موقع سرادق عزاء.. برع الإخوان فى استدراج السذج والأبرياء إلى كمين الاستثمار الإسلامى، وأنفق أمراء الإخوان.. الريان وغير الريان هذه الأموال فى إقامة القصور وإقامة الشركات والفيلات واقتناء الجوارى الحسان.

ووقفت جماعة الإخوان المسلمين بصحافتها وإعلامها وبدعاتها وراء هذه الشركات، وكانت اللحى والجلباب من الزينات الإسلامية التى أعدها أصحاب شركات توظيف الأموال، وأصبح بعض علماء المسلمين المشهورين- نجوم الشاشة الصغيرة- مستشارين لدى هذه الشركات، وتمت الخديعة الكبرى فى مصر والتى حطمت آلاف العائلات تحطيما مأساويا ولا تزال تحطم هذه العائلات حتى الآن.

وقامت هذه الشركات بطبع تراث الإرهاب والقتل والاغتيالات، نعم.. أصبحت أموال الشعب أداة فى يد تاجر دين يوظفها فى طبع كتب تنادى باسم الدين بهدم مصر بعد تكفير وتشريك وتبديع وتحقير شعبها كله، مثل كتب سيد قطب وسيد سابق والمودودى والألبانى، وكتب الفقه والعقيدة لدعاة متطرفين دمويين كابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب وغيرهم.

وتتداول هذه الكتب بالتقسيط المريح جدا بين أيدى الموظفين فى شركات القطاع العام والحكومة بالأمر خصما من مرتباتهم، وكل موظف فرض عليه شراء كتب المتطرفين ليحملها إلى بيته ويقرؤها الأولاد، وبعد ذلك يتساءل الناس من أين جاء الإرهاب والتطرف؟.

الشيخ أحمد السكرى المؤسس الحقيقى للإخوان يكشف حقيقة إمامهم

كانت الفكرة من وراء إنشاء جماعة الإخوان المسلمين كما عرفها مؤسس الجماعة الحقيقى أحمد السكرى هو أن تكون ذات رسالة واضحة وهى العمل على نشر الثقافة الدينية بين أفراد الشعب، أما المخطط البريطانى الوهابى للسيطرة على مصر عن طريق الإخوان فكان سراً لا يعرفه إلا الشيخ حسن البنا فقط.

وكانت العلاقة بين أحمد السكرى وحسن البنا وطيدة والصداقة بينهما حديث الجميع، وفى مذكرات الدعوة والداعية لحسن البنا يقول عن هذه العلاقة:

(ولم أر أحداً أولى بعاطفة حبى من صديق امتزجت روحه بروحى فأوليته محبتى وآثرته بصداقتى غير أحمد السكرى).

وحين يكتب أحمد السكرى عن الإخوان المسلمين وعن مرشدهم حسن البنا فكلماته تصبح شهادة للتاريخ، فأحمد السكرى هو المؤسس الحقيقى لجماعة الإخوان، ثم تنازل عن رئاستها لحسن البنا لكبر سنه، ويقنع هو بمنصب وكيل الجماعة.. ثم وقع الخلاف بينهما عندما قرر حسن البنا العمل بالسياسة.. طبقاً للمخطط البريطانى الوهابى.. ويكتب السكرى سلسلة من المقالات هزت الأوساط الحزبية فى مصر فى ذلك الوقت، يكشف فيها عن انحرافات أعوان حسن البنا، وعن انحراف حسن البنا نفسه عن مبادئ الجماعة.

ففى ١٢ مارس ١٩٤٨ نشرت جريدة (صوت الأمة) اليومية لسان حزب الوفد مقالا للشيخ السكرى بعنوان: (كيف انزلق الشيخ حسن البنا بدعوة الإخوان) جاء فيه بالحرف الواحد: (إن الشيخ حسن البنا رجل انتهازى ويرقب الفرص كما يرقب الصياد الفريسة، لقد أصبحت جماعة الإخوان تباع وتشترى فى الأسواق، ألا يخافون يوم الحساب؟).

وقام الإخوان بتكييل الشتائم والسباب للشيخ السكرى –وهذا هو ديدنهم مع مخالفيهم فى الرأى– ولكن الشيخ السكرى الرجل المؤمن يرد على ذلك فى ٢١ مارس ١٩٤٨ بجريدة صوت الأمة: (لقد اتهمت الشيخ حسن البنا وتحريت فى ذلك وجه الحق، وليس لدى متسع للرد على مثل هذا السباب، والذى تعود على منازلة الأسود لا ينازل الفيران، ومادام الأستاذ البنا قد أعجبه أسلوب الشتائم والسباب ردا على ما قدمته من حجج وبراهين ووثائق قاصمات، وهذا أسلوبى، ووضعت أمام كل تهمة وقائعها والدليل عليها فلا كنت متجنيا عليه ولا ظالما له، بل هو الذى جنى على نفسه وعلى دعوته وعلى إخوانه، وإذا كان لديه دليل على بطلان تهمة واحدة نسبتها إليه فليقدم دليله إن كان من الصادقين.

لقد قلت عن الأستاذ البنا: إنه خرج عن مبادئ الدعوة عندما تستر على الجرائم الخلقية التى ارتكبت باسم الدين ودعوة الإخوان المسلمين، وكانت الوثائق

التى نشر بعضها هى ألمع دليل على ذلك..

لقد خرج البنا على مبادئ الإسلام نفسها حينما أفتى بحق ما حرم الله، أفتى بأن القبلة والنظرة والغمزة من اللمم، وأن مرتكب هذه الموبقات يدخل ضمن المحسنين، وكانت الوثيقة التى نشرت بخط مرتكبيها شاهدة على ذلك.

فهل يستطيع الأستاذ البنا أن يكذب ذلك؟ بل ضاق صدر فضيلته، وها هو قد ادعى وأمر وتحدى فضيلة الحق والأخلاق، فما نشرت تلك الوثائق (التى تتهم عبد الحكيم عابدين زوج شقيقة البنا بتهم أخلاقية) حتى صدر أمر البنا بتعيين عبد الحكيم عابدين سكرتيراً عاما للجماعة. وهاهى محاضر البوليس وملفات النيابة العامة والقضاء شاهدة.. فهل يستطيع فضيلة الأستاذ البنا أن يكذب ذلك؟.

السكرى يتهم إمام الإخوان بالنفاق

ويتحدث فضيلته فى صحيفة الإخوان عن آيات المنافق الثلاث.. **من الذى حدث فكذب؟**

أليس البنا، الذى وعد ألف مرة بالرجوع إلى الحق، وتغيير الدعوة ممن لوث سمعتها، وتنحيته عن صفوفها، وأقسم على ذلك أغلظ الأيمان ليوقع له الحاضرون على ورقة يبرئ بها الجانى عبد الحكيم عابدين خوفا من الفضيحة أمام الناس، فلما أن تم له ما أراد أخلف وعده ونقض عهده وأبقى الذئب الضارى (يقصد عابدين) وغل فى الإثم وبلغ فى الأعراض دون خوف من الديان.

ومن الذى أؤتمن فخان؟.

أليس هو حسن البنا، الذى لبس مسوح الرهبان فالتف حوله الإخوان ليجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده، وإذا به يجعلهم سلعة فى أسواق الحزبية، وصفقة يساوم عليها فى المناورات السياسية، فلا جهاد فى سبيل الله ولا عمل لوجه الوطن، بل فرقة فى الصفوف وإشاعة الفتن، حتى كاد الناس يفقدوا ثقتهم فى الدعوات الإسلامية والنهضات الدينية.

ومن الذى عاهد فغدر أو خاصم ففجر؟

أليس هو فضيلة المرشد العام حسن البنا، الذى تعلق بالوفد والوفديين أيام حكمهم وأغدق فى مدحهم وقال عنهم بلسانه: (إنهم صفوة رجال هذا البلد الأمناء على حقوق الوطن) (انظر الصفحة التاسعة.. العدد ١٨ من مجلة الإخوان).

وعاهد الوفد على الوفاء له، وإن الإخوان لن ينالوا من الوفد ولن يظاهروا عليه قوما، حتى إذا قوى بأس الإخوان وكسبت الدعوة فى ظل حكم الوفد خلال عامين ما لم تكسبه فى سنوات طوال، قلب لهم ظهر المجن بعد خروجهم من الحكم..!!. (انتهى كلام الشيخ أحمد السكرى).

الشيخ الغزالى يكشف حقيقة الإمام الثانى للإخوان

واعترف أيضا قطب كبير سابق من أقطاب الإخوان المسلمين رأيناه فى الفصل الثانى يدافع عن الإخوان دفاعا شديدا ويتهم رجال الأزهر والصوفية اتهامات قاسية، اعترف بأن جماعته، أى: تنظيم الإخوان المسلمين، يقوده من خارج مصر منظمة الماسونية العالمية، هذا الاعتراف الخطير يجب أن نتوقف عنده وننشره على الملأ بكل وسائل الإعلام عندنا حتى يتعرف جيل هذا الزمان والأجيال القادمة على حقيقة الدور التخريبى الذى تقوم به جماعة الإخوان باسم الدين فى مصر.

أما هذا القطب الكبير فهو الداعية الإسلامى المعروف محمد الغزالى السقا، والذى اعترف بذلك فى كتابه الخطير (من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى الحديث) المنشور عام ١٩٨٤ عن دار الصحوة.

يقول الأستاذ على الدالى فى كتابه (جذور الإرهاب) ص٥٦: وهذا الكتاب اختفى من المكتبات تماما لأن جماعة الإخوان- كعادتهم فى مصادرة أى كتاب يكشف عن باطلهم وضلالهم- يسارعون إلى جمع نسخه من كل مكان مع رفع أضعاف ثمنه.. ذلك لأن الشيخ الغزالى يفجر أكثر من قنبلة.

القنبلة الأولى: (مخالفهم كافر).

يقول: ولقد عجبت لخلاف وقع بين شباب الإخوان المسلمين أثاره بعضهم بتشاؤم: هل نحن جماعة المسلمين أو نحن جماعة من المسلمين؟

والإجابة على هذا السؤال لها نتائج ذات بال، بل نتائج ترتبط بها صيانة دماء وأموال، فإن الذين يظنون أنفسهم جماعة المسلمين يعتبرون مخالفيهم يرتكبون ضربا من مخالفة الله ورسوله وطرقا ممهدة إلى النار وبئس القرار.

ومن المضحك أو المبكى أن يخطب الجمعة فى مسجد الروضة عقب فصلنا من المركز العام من يؤكد أن الولاء للقيادة (يقصد قيادة الإخوان) يكفر السيئات، وأن الخروج عليها يمحق الفضائل، وأن الذين نابذوا القيادة عادوا إلى الجاهلية الأولى لأنهم خلعوا البيعة.

القنبلة الثانية: (السمع والطاعة إشراك بالله)

يقول الشيخ الغزالى واصفا أفراد الجماعة وصفا دقيقا أنهم جماعة من العبيد لا يتحركون إلا بإشارة من المرشد العام الذى لا يخالفون له رأيا، يقول بالحرف الواحد ص ٢١٢: (قال لى واحد من أقرب الرجال للمرشد: إن الإيمان بالقائد جزء من بالإيمان بالإسلام، ألا ترى أن الله ضم الإيمان بالرسول إلى الإيمان بذاته) (لاحظ التسوية بين الإيمان بالمرشد والإيمان بالرسول).

ويصف الغزالى مرشد الإخوان المسلمين بأنه صنم حى يأمر فيطاع، ويأتى إليه الأشياع ليتمسحوا به ويطوفوا من حوله.

ثم يصف الغزالى الديكتاتورية المطلقة داخل تنظيم الإخوان وصفا دقيقا فلا شورى ولا حوار.. (وليس أمرهم شورى بينهم على الإطلاق، مما يؤكد أن إيمانهم بالقرآن مجرد شعار على الورق وللدعاية والزينة الإسلامية، وهم جميعا من الكذابين).

ويقول الشيخ الغزالى فى كتابه الخطير– يصف الجهال دعاة البؤس والنحس من جماعة الإخوان وقيادتهم، فيصف القيادة الإخوانية بالكهانة والدجل، فيقول– بالحرف الواحد: (غاية ما أبغى أن أشرح قانون السمع والطاعة (قانون الإخوان)، وأن أمنع الكهان والدجالين من الاحتيال به على ناشئة قليلة الفقه فى الإسلام. لقد كان الراسخون فى العلم يدعون إلى الله ويتجردون للدعوة، ثم جاء للدعوة الراسخون فى الجهل (يقصد مرشد الإخوان) يطلبون حقوق القيادة ويتحدثون عن قانون السمع والطاعة، والقول بعصمة هؤلاء هو عندى خرافة كبيرة، ومن السخف أن يطالب عاقل بتصديق قانون السمع والطاعة).

ويواصل الشيخ الغزالى هجومه على فكرة السمع والطاعة وأنها ليست من الإسلام، وأن صاحبها لم يأت بهذه النظرية من قرآن أو من سنة، فيقول بالحرف الواحد ص ٢٠٣: (أما الطاعة العمياء لا لشئ إلا لأن القائد قد أمر وأن أمره واجب النفاذ فذلك منكر كبير وجهالة فاحشة لا يقرها شرع ولا عقل).

إن الشيخ الغزالى يتهم الإخوان المسلمين صراحة بالشرك بالله حين تصبح الطاعة العمياء هى المبدأ السائد بين صفوفهم، فيقول بالحرف الواحد: (إنما استكبر من استكبر من الفراعنة والجبابرة لأنهم وجدوا من الرعاع من يسارع إلى إجابة أهوائهم وإطاعة نزواتهم دون بصر أو حذر فعثوا فى الأرض.. روى أنه لما نزل قوله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال عدى بن حاتم– معترضا–: إنهم لم يعبدوهم.. قال رسول الله ρ: (بلى أنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم).

ويغمر اليأس قلب الشيخ محمد الغزالى بعد محاولات عديدة لتطهير فكر الإخوان من الشرك بالله، أى من نظرية السمع والطاعة، فيقول: (رأينا أن نسير

وحدنا بعد أن أفرغنا جهدنا).

القنبلة الثالثة: (الإخوان جماعة ماسونية وشيخها ماسونى):

فجأة نرى الشيخ الغزالى يفجر قنبلة لها دوى مروع حين يؤكد أن الماسونية قد اخترقت صفوف الجماعة، فيقول بالحرف الواحد: (وأكاد أوقن أن مـــن وراء اختيار حسن الهضيبى مرشدا عاما للإخوان المسلمين أصابع هيئات سرية عالمية تسللت من خلال الثغرات المفتوحة فى كيان الجماعة، وصنعت ما صـــنعت، وسمعنا كثيرا عن انتساب عدد من الإخوان المسلمين بينهم حسن الهضيبى نفسه للماسونية العالمية).

وحقيقة أغراض الماسونية تتلخص فيما يلى:

١- المحافظة على اليهودية.

٢- محاربة الأديان عامة.

٣- بث روح الإلحاد والإباحة بين الشعوب.

ويتهم الشيخ الغزالى قيادة الإخوان بالعمل والتنسيق مع السفارة البريطانية فى مصر- وكان الإنجليز فى ذلك الوقت يحتلون مصر ويقاومهم الشعب بالسلاح فى منطقة القناة - ويرى الشيخ الغزالى أن حسن الهضيبى قاد الإخوان على طريق العمالة والماسونية، ويتهم الإخوان صراحة بالشرك بالله لأنهم ينادون بمبدأ السمع والطاعة ويركعون للصنم الحى الذى هو المرشد العام.. أنظر ص ٢٠٣.

التشابه الكبير بين الإخوان والماسونية

الماسونية جمعية عالمية يهودية تخترق المجتمعات والجماعات والتنظيمات الدينية والسياسية والاجتماعية لفرض مخطط اليهود على نشاط هــؤلاء جميعــا داخل أوطانهم، ومن مبادئ الماسونية المعروفة الحكم بإعدام أى عضو فى الجمعية الماسونية يفشى أسرار الجمعية، والتى تنشط فى كل العالم تحت ستار نـــشر الإخاء الإنسانى وذوبان العقائد الدينية من خلال هذا الإخاء!!.

وفى كتاب محمود الصباغ (حقيقة التنظيم الخاص ودوره فى دعوة الإخوان المسلمين) وهو قطب إخوانى كبير أيضا يقول: (إن التنظيم الإخوانى يحكم بإعدام

أى عضو يفشى أسرار التنظيم أو يخرج من طاعة رئيسه) تماما مثل قانون الماسونية، ونفس منهج الماسونية..

بل إن الطقوس فى التنظيم السرى للإخوان المسلمين هى نفسها الطقوس المعمول بها فى الجمعيات الماسونية.. فالذى كان يأخذ العهد فى المحفل الماسونى فى القاهرة قبل إلغائه فى الخمسينيات كان يغطى وجهه بقناع ويقف مع العضو الجديد فى حجرة مظلمة إلا من ضوء خافت، (على الدالى، جذور الإرهاب، ص: ١٥٦).

ونقرأ فى كتاب القطب الإخوانى محمود الصباغ عن الطقوس لأخذ البيعة المتبعة بقبول عضو جديد فى النظام الخاص للإخوان المسلمين فيقول: (كانت البيعة تتم فى منزل بحى الصليبية حيث يدعى العضو المرشح للبيعة ومعه المسئول عن تكوينه والأخ عبد الرحمن السندى المسئول عن تكوين الجيش الإسلامى داخل الجماعة.

بعد استراحة فى حجرة الاستقبال، يدخل ثلاثتهم حجرة البيعة فيجدونها مطفأة الأنوار، ويجلسون على بساط فى مواجهة أخ فى الإسلام مغطى جسده تماما من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه برداء أبيض وأمامه بطانية عليها مصحف، وتبدأ البيعة بأن يقوم الأخ- المقنع- ليتلقاها نيابة عن المرشد العام، وبتذكير العضو الجديد للبيعة بآيات الله التى تحض على القتال مع الالتزام بالسمع والطاعة.

ثم يخرج ويطلب من المبايع أن يتحسس المصحف الشريف، ثم يقول له: فإن خنت العهد أو أفشيت السر فسوف يؤدى ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك، ويكون مثواك جهنم).

وهكذا بعد أخذ البيعة على السمع والطاعة بنفس طقوس الماسونية، يصبح العضو الجديد فى جماعة الإخوان أو التنظيم السرى الخاص بهم، جهازا بلا عقل يأمره المرشد فيطيع..

الإخوان يفرخون الإرهاب

إننا بعد استقراء تاريخ الإخوان المسلمين وما ارتكبوه من جرائم قتل وتدمير وصناعة فتن نستطيع أن نكشف أنهم يستثمرون الجهل بالدين، ويعتمدون فى دعوتهم على الأمة الدينية فى تحقيق أهدافهم للوصول إلى السلطة!.

وإذا تصادف وانضم إلى صفوفهم أفراد من خريجى الجامعات فإن هؤلاء لا وعى لديهم بالدين أو بعلوم الدين، ويضاف إلى هؤلاء الانتهازيون والمرضى

بأمراض نفسية أو أكلة المال الحرام أو من بيئات سفلى يدخر أبناؤها ما يكفى من حقد على المجتمع لمناصبته العداء ويحاولون تدميره، ليس إيمانا بأنه دين بل حقدا عليه.

وإننا نعتبر جماعة الإخوان المسلمين هى الجماعة الأم التى خرجت من أحشائها كافة الجماعات المعاصرة، هذا بالإضافة إلى تأثر الجماعات فى كافة أنحاء الوطن العربى بفكر وخبرة هذه الجماعة، وسنحاول قياس صحة هذا الكلام على ثلاث جماعات معاصرة، وهى حزب التحرير الإسلامى(جماعة الفنية العسكرية)، وجماعة المسلمين (التكفير والهجرة)، وتنظيم الجهاد الإسلامى. استنادا إلى المعايير التالية:

أولا: أسلوب تجنيد الأعضاء وإعدادهم

١- استفادت هذه الجماعات من خبرة الإخوان المسلمين فى مجال التجنيد السياسى، خاصة التنظيم الخاص، ونجد أن حزب التحرير الإسلامى كان أضعف هذه الجماعات من حيث القدرة على تجنيد الأعضاء، ولعل هذا يرجع إلى سرعة اكتشافه، وسنلحظ ازدياد قدرة تنظيم الجهاد على تجنيد الأعضاء بالمقارنة بجماعة التكفير والهجرة، وذلك لأن الأخير وضع شروطا أكثر تعقيدا للانضمام إليه مقارنة بتنظيم الجهاد الذى يتم بأسلوب التوسع فى العضوية.

٢- سنجد توحيدا فى قسم البيعة بين الإخوان المسلمين والجماعات الثلاثة على السمع والطاعة فى المنشط والمكره وفى العسر واليسر، والكتمان وعدم إفشاء السر حتى لأقرب الناس إليه، الأمر الذى يخلق نوعا من أنواع الولاء الشخصى لأمير الجماعة من قبل العضو، وهو ما يجسد القيادة الفردية فى هذه الجماعات.

٣- استخدمت هذه الجماعات علاقات الصداقة والقرابة والعبادة كوسائل للتجنيد، وإن اختلفت فى درجة الاعتماد على كل منها، فبينما اعتمدت جماعة الإخوان المسلمين على علاقات القرابة والعبادة فى ضم الأعضاء على مستوى المحيط العام، ركزت على علاقات الصداقة بالنسبة للجهاز الخاص (السرى). كذلك ركز حزب التحرير الإسلامى على علاقتى العبادة والصداقة، أما جماعة المسلمين (التكفير والهجرة) فقد ركزت على أسلوب القرابة، بل سنلحظ أن الإخوانى شكرى مصطفى زعيم الجماعة قد استخدم هذا الأسلوب فى بناء التنظيم من خلال قيامه بعملية تزويج الرجال والنساء الأعضاء فى الجماعة، أما الجهاد فيبدو أنه استخدم العلاقات الثلاث بالتساوى.

٤- يلاحظ تركيزا واضحا على نشاط هذه الجماعات فى عملية التجنيد للأعضاء على منطقة الصعيد بدءا من الإخوان وانتهاء بتنظيم الجهاد، والأمر يحتاج إلى دراسة متكاملة لتفسير هذه الظاهرة.

٥- إن أسلوب التجنيد لأعضاء هذه الجماعات وما يتبعه من عمليات التكوين الفكرى والبدنى والعسكرى، يؤدى إلى تبلور شخصية ذات خصائص معينة، أهمها الثقة والطاعة والانصياع التام لأوامر أمير الجماعة، والإحساس بالذات والتميز على الآخرين غير المنتمين إلى هذه الجماعات- وهى نفس عقدة شعب الله المختار عند اليهود- والقدرة على العيش فى مجتمع مغلق هو مجتمع الجماعة التى ينتمى إليها- وهى نفس طبيعة اليهود الذين يعيشون فى حارات خاصة بهم أو ما يعرف بالجيتو- وبذلك يكون العضو معدا للقيام ببعض أعمال العنف فى المجتمع بطريقة لا تجعله يشعر بأنه يقوم بعمل غير شرعى أو غير قانونى، بل بطريقة تجعله يشعر بأن ما يقوم به هو ما يجب أن يفعله، وأنه نوع من الجهاد المقدس لإعلاء كلمة الله فى الأرض وإقامة الدولة الإسلامية استنادا إلى رؤية وفكر هذه الجماعات.

ثانيا: خصائص البناء الهيكلى لجماعات الإسلام

١- تتراوح خصائص هذا البناء بين التعقيد الشديد والبساطة بين هذه الجماعات، فبينما تقدم جماعة الإخوان المسلمين نظاما هيكليا معقدا ومحكما سواء بالنسبة للنظام العام العلنى، أو النظام الخاص السرى، فإننا نجد جماعة التكفير والهجرة، تتسم بالبساطة فى البناء التنظيمى فأمير الجماعة فى القمة، ثم أمراء الجماعات ثم أعضاء الجماعات، ونفس الشئ بالنسبة لجماعة الفنية العسكرية، وهذا البناء يعنى الاتصال المباشر بين الأعضاء وأمير الجماعة، وهو ما لا نجده فى نطاق النظام الخاص للإخوان.

أما تنظيم الجهاد فقدم نموذجا وسطا من حيث التعقيد والبساطة، حيث يقوم التنظيم على الأمير الذى يرأس مجلس الشورى الذى يضم ١١ عضوا، ثم ثلاث لجان شرعية يرأس كل منها أمير، وهى اللجنة الاقتصادية، ولجنة الدعوة، ولجنة الإعداد، بالإضافة إلى ستة تشكيلات على مستوى محافظات: قنا وأسيوط والمنيا والقاهرة والجيزة.

والواقع أن هذا التفاوت بين التعقيد والبساطة للبناء الهيكلى يرجع إلى عدة عوامل، أهمها ظروف تكوين الجماعة، والأولويات التى حددتها لنشاطها، والمدى الزمنى المتاح لها قبل اصطدامها بأجهزة الأمن، والخبرات التنظيمية المتاحة لها.

٢- على الرغم من هذا الاختلاف من حيث درجة تعقيد البناء الهيكلى بين هذه الجماعات إلا أنها جميعا قد اتسمت بسيطرة الفرد على جميع مستويات التنظيم، نجد هذا بوضوح فى معظم هذه الجماعات بدءا من الشيخ حسن البنا المرشد العام الأول للإخوان المسلمين، مرورا بصالح سرية، فشكرى مصطفى،

فعبد السلام فرج.

٣- اتسم البناء الهيكلى لهذه الجماعات بالمرونة والقدرة على التأقلم مع ظروف التحرك، ولعل خير مثال على ذلك تنظيم الإخوان المسلمين فى الجامعة الذى جاء بسيطا وعلى درجة عالية من الكفاءة، فرئيس شعبة الجامعة هو المسئول مسئولية مباشرة عن رؤساء الكليات، وتنقسم الكليات إلى أقسام يختص كل قسم منها بشئون إحدى السنوات الدراسية، ورؤساء أقسام الكلية مسئولون عن سلوك أعضاء جماعتهم أمام أمير الكلية، وقد أتاح هذا التقسيم لتنظيم الإخوان فى داخل الجامعة فى وحدات من الصغر، بالقدر الذى يسمح لها بالتجمع بسرعة، ومن الكبر أيضاً بالقدر الذى يسمح لها بالتأثير الفعال داخل الكليات.

وقد أفادت الجماعات الإسلامية المعاصرة من هذه الخبرة التنظيمية للإخوان فى الجامعة، الأمر الذى أدى إلى زيادة فعاليتها بشكل واضح فى الجامعات المصرية فى السبعينيات والثمانينات.

٤- اتجهت معظم هذه الجماعات إلى الأخذ بالتنظيم العنقودى، الذى يقوم على أساس تكوين جماعات صغيرة لا يعرف بعضها البعض، وذلك من أجل توفير أقصى درجة ممكنة من درجات السرية لنشاطها، فأقصى عدد ممكن من الأعضاء الذى كان يمكن أن يعرفهم أو يتصل بهم عضو النظام الخاص فى الإخوان كان ثمانية، وتنظيم صالح سرية (الفنية العسكرية) كان من مجموعة من الخلايا التى لا يعرف بعضها بعضا، ونفس الشئ بالنسبة لتنظيم الجهاد.

والواقع أن هذه الخصائص التى اتسم بها الهيكل التنظيمى لهذه الجماعات وإن كان قد جعل من السهل على قيادة هذه الجماعات تحريك وتوجيه أعضائها للقيام ببعض الأعمال والأنشطة العنيفة فى المجتمع، إلا أنه قد أوجد أيضا ظاهرة أخرى أكثر تعقيدا، ويمكن أن نطلق عليها ظاهرة توالد الجماعات الأكثر عنفا من بين ثنايا هذه الجماعات كالناجون من النار، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والشوقيون الحركيون وغيرها.

وكان رد الفعل عنيفا من جانب أى جماعة تنشق عنها مجموعة. الأمر الذى يصل إلى حد التصفية الجسدية لهؤلاء الأعضاء المنشقين، وكان لابد لهؤلاء الأعضاء المنشقين من مواجهة العنف بالعنف، وهكذا تتسع دائرة العنف حتى فى العلاقات بين هذه الجماعات بعضها البعض، ليصيب رذاذها الأبرياء من المجتمع.

ثالثا: التكوين العضوى لهذه الجماعات

نقصد بالتكوين العضوى، نسبة الشباب إلى كبار السن فى هذه الجماعات، والواقع أن الدراسات تؤكد أن الغالبية العظمى كانت للشباب، بل إن معظم هذه

الجماعات كان يركز نشاطه وسعيه لتجنيد الأعضاء بين الشباب طلبة المدارس والجامعات، ولا يختلف فى هذا جماعة الإخـوان المسلمين أو غيرها من الجماعات، والتى أولت الجامعة اهتماما خاصا، وأقامت تنظيما خاصا بالجامعة، كما أن معظم أعضاء النظام السرى الذى قام ببعض الأعمال الإرهابية كانوا من الشباب.

وذلك لأن طغيان عنصر الشباب على التكوين العضوى لهذه الجماعات يشكل عاملا مساعدا على استخدام هذه الجماعة للعنف، لما يتسم به السلوك السياسى للشباب من خيالية ومثالية ورفض للواقع(١).

مفكر الإخوان رأس الأفعى عميل الماسونية

إن أحدث التنظيمات الإرهابية المتطرفة هو تنظيم (الناجون من النار)، والذى قام لقتل شخصيات هامة من أبناء مصر، هذا التنظيم ضم المكوجى والمنجد والسائق والطبيب، وهو تنظيم يؤمن بفكر الإخوان المسلمين أو بفكر أبو الأعلى المودودى والذى هو أستاذ سيد قطب مفكر الإخوان.

وجاء تقرير الأزهر الشريف عن هذا التنظيم– والذى نشر فى الصحف– أن هذا التنظيم يؤمن بأن مصر دار حرب وليست دار سلام، وأن سرقة أموال المصريين حلال، وقتلهم حلال، وتخريب ديارهم حلال(٢).

ولو عدنا إلى الوراء قليلا فى الخمسينيات حيث جاءت دعوة خاصة من جهات مشبوهة بأمريكا لمفكر الإخوان الأوحد وفيلسوفهم السيد قطب، والذى عاد ليزرع الفوضى فى وطننا.

وقد قام فكر التنظيم السرى للإخوان المسلمين على إباحة القتل والسطو على أموال الغير وإقامة دولتهم بالقوة.. ويؤمن الإخوان بأن مصر ليست دار سلام بل هى دار حرب تباح دماء وأموال سكانها.

وقد حدد مفكر الإخوان سيد قطب فى كتابه (معالم فى الطريق) والذى نادى فيه بكل ما يؤمن به الناجون من النار فيقول: (والجاهلية تقوم على حاكمية البشر

---

(١) جماعات الإسلام السياسى، د. محمد سعد، ص: ٨٥–٩٢.

(٢) لاحظ أن هذا الفكر يتفق تماما مع فكر الوهابية الذين استحلوا ديار المسلمين فى مكة والمدينة والطائف وكربلاء وغيرها، وقتلوا المسلمين وسرقوا أموالهم واستحلوا نساءهم.

للبشر، هذه الجاهلية التى قاومـــــها كل رســـــــول بالدعوة إلى الإسلام له وحده).

ولكن كيف..؟

هل من الممـــكن أن يحكـــم أى مجتمـــــع مثل هذه النظــرية العــجيبة؟..

أى: حاكمية الله وإلغاء الوجود البشرى.

وكيف يكون الإنسان إذن خليفة الله فى الأرض؟

يقول الفقيه المبرمج بعد عودته من أمريكا وبعد الانضمام للإخوان: (وليس لأحد أن يقول بشرع يشرعه هذا شرع الله، إلا أن تكون الحاكمية العليا لله معلنة، وأن يكون مصدر السلطات هو الله سبحانه).

لم يقل كيف!؟.

هل يتصور الفقيه المبرمج أن الله سبحانه سوف ينزل على الأرض فى صورة بشرية ليباشر السلطة بنفسه؟ أم أن الفقيه يريد أن يعين نفسه نائبا عن الله فى تنفيذ هذه الحاكمية؟

ومع ذلك فالجهال يسارعون إليه مؤمنين به لأنه.. يرفع المصحف فوق أفكاره السوداء النابعة من قلب مظلم حاقد ونفس ممزقة.. وفكرة الحاكمية ليست من اختراع سيد قطب بل سبقه الخوارج حينما قالوا لسيدنا على كرم الله وجهه: (إن الحكم إلا لله) فهل كان الإمام على يحكم بغير شرع الله؟!!.

وينادى سيد قطب بالحرف الواحد فى كتابه بالعزلة عن العالم كله فيقول:

(كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضى المسلم فى جاهليته وحاضره فى إسلامه، نشأ عنها عزلة كاملة فى صلاته بالمجتمع الجاهلى من حوله وروابطه الاجتماعية، ونحن اليوم فى جاهلية كالجاهلية التى عاصرها الإسلام وأظلم، ما حولنا اليوم جاهلية، تصورات الناس وعقائدهم، وعـــاداتهم وتقاليـــدهم، مـــوارد ثقافتهم، فنونهم وآدابهم وشرائعهم وقوانينهم، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيرا إسلاميا، هو كذلك من صنع هذه الجاهلية).

بل إن سيد قطب يقرر أن الدنيا كلها ليست دار إسلام بل دار حرب فى كتابه (ظلال القرآن) الجزء الرابع/ ٢١٢٢ فيقول: (إنه ليس على وجه الأرض دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هى شريعة الله والفقه الإسلامى).

ثم يرفض سيد قطب المصالحة مع هذا المجتمع الكافر، ويرفض أى ولاء للوطن فيقول: (ليست مهمتنا أن نصطلح مع واقع هذا المجتمع الجــاهلى، ولا أن ندين بالولاء له فهو، بهذه الصفة– صفة الجاهلية– غير قابل لأن نصطلح معه).

ويرحل عنا سيد قطب وتبقى أفكاره لتصنيع الإرهاب، ودفع جماعة الإخوان المسلمين إلى قيادة هذا الإرهاب الدموى.

إن الذين يتوهمون أن الإخوان المسلمين هم دعاة دين، أو أن التنظيمات المنبثقة من هذه الجماعة أو بإرشادها هى تنظيمات إســـلامية، هـــؤلاء يـــساعدون الإرهاب ضد مصر قلعة الإسلام والتى يراد هدمها لحساب الصهيونية والصليبية العالمية الآن، وحين تنشر الصحف– بقصد أو بغير قـــصد– عـــن نـــشاطهم واجتماعاتهم وتطلق عليهم صفة– الإسلاميين– أو التيار الإسلامى فإنها بذلك تؤكد شرعية هذه المؤامرة.

وعلماء الإسلام كانوا ضد هذه الجماعة على الدوام وكان الإمام الأكبر شيخ الإسلام (١٩٦٤– ١٩٦٩) المغفور له حسن مأمون – يرحمه الله– من أشـــجع علماء الدين، ومن أفضل من تولوا مشيخة الأزهر، لأنه بشجاعة الغيور على الإسلام تصدى فى الستينيات لجماعة الإخوان المسلمين بالرأى السديد، وفى حديث له بإذاعة القاهرة قال بالحرف الواحد: (إن هذه الجماعة تريد أن تعيد إلى مصر فى القرن العشرين إرهاب القرون الوسطى، وتنشر فى الديار المصرية مفاهيم الهمجية والبربرية).

وفى الحقيقة.. إن فكرة تكفير المجتمع الإسلامى وضعت بمعرفة الماسونية العالمية، والتى قال الشيخ محمد الغزالى فى الصفحات الـــسابقة أنهـــا اخترقـــت جماعة الإخوان المسلمين. ولقنت هذه الفكرة للإخوان المسلمين، ولكل الجماعات الأخرى المسماة بالإسلامية لتبرير قتل المسلمين، وتبرير نسف منشآتهم، وهدم مدنهم، والاستيلاء على أموالهم.

فكرة ماسونية مزروعة فى أرض الإسلام ومغلفة بالدعوة الإسلامية حتى يمكن أن تبقى وتنتشر باسم القرآن.

ولما كانت مصر هى المرشحة لتقوم على أرضها أسمى الحضارات لما تملكه من إمكانات بشرية وحضارية وثقافية متفوقة، لذلك سارعت الماسونية بمساندة التنظيمات المسماة بالإسلامية وزودتها بالفكر الهدام النابع من الإسرائيليات المشهورة، والتى تبناها تنظيم التكفير والهجرة الذى اغتال الـــشيخ الـــذهبى وزيـــر

الأوقاف الأسبق بقصد إرهاب العلماء حتى لا يقولوا كلمة الحق، أو يكشفوا حقيقة هذه التنظيمات، ولنقرأ ملف قضية محاكمة شكرى مصطفى زعيم تنظيم التكفير والهجرة- والذى كان عضوا بجماعة الإخوان المسلمين وانشق عنها- ولنستمع إلى هذا الحوار بين شكرى مصطفى وهيئة المحكمة لنفهم ونتأكد أن الماسونية العالمية، والصهيونية العالمية وراء هذه التنظيمات كلها ولكن من خلال قيادات عميلة.. لقد سألت المحكمة شكرى مصطفى سؤالا مباشرا عن اليهود والحرب معهم.

- قالت المحكمة تسأله: إذا اقتضى الأمر دخول اليهود إلى مصر وجيوشهم وصلت القاهرة، فهل تحارب جماعتك فى صف الجيش المصرى لرد عدوان اليهود؟

قال شكرى مصطفى بالحرف الواحد: لا.. لن نحارب اليهود..

- لماذا؟.

لأن خططنا هى الفرار من العدو الوافد تماما، كالفرار من العدو المحلى وليس مواجهته.

وهكذا يؤكد شكرى مصطفى ما ذهبنا إليه من أن هناك صلة وثيقة بين الجماعات المتطرفة فى مصر وبين الماسونية، وإن كان سيد قطب قد نادى فى الستينيات بتكفير المجتمع المصرى واعتبار أرض مصر أرض حرب تباح أموال وأرواح شعبها، فإن شكرى مصطفى قد أخذ عنه هذا الرأى، كما أخذ عنه تنظيم الجهاد، كما أخذ عنه الناجون من النار.

والتاريخ يعيد نفسه حيث يعيش الآن فى أمريكا مفتى الجماعات الإسلامية عمر عبد الرحمن الذى كان يرسل من هناك بألوف الدولارات يشترى بها المتطرفون السلاح ويؤجرون بها الشقق المفروشة، وينفقون منها على أصحاب السوابق من المجرمين الذين أصبحوا أعضاء وأمراء فى هذه الجماعات، كما رأينا من خلال أحداث السطو المسلح على محلات الذهب التى يملكها المصريون من المسيحيين بعد قتلهم، حيث أفتى المفتى الدموى عمر عبد الرحمن باسم الإسلام بأن قتل المسيحى حلال وسرقة أمواله حلال!!.

وبهذه الفتوى الشيطانية وقعت الفتنة الطائفية فى صعيد مصر، وراح ضحيتها أبرياء من المواطنين الشرفاء.

إن وجود عمر عبد الرحمن فى أمريكا حتى الآن والسماح له بالعمل ضد مصر ليس له إلا معنى واحد وهو أن الماسونية العالمية أو قوى السلطة المعادية

للإسلام والمسلمين وجدت فى هذا الضرير –الذى هو أمير الجماعات الإسلامية– بغيتها، كما وجدتها من قبل فى سيد قطب، ومن قبله صنعت وزارة المستعمرات البريطانية محمد بن عبد الوهاب عميلا لها فى نجد.

من هو مؤسس الإرهاب؟

فى أوراق الإخوان (ملف مقتل النقراشى) نقرأ تعاليم حسن البنا ومنها ما يؤكد أنه كان داعية الإرهاب الدموى، وأول من نادى بتكفير كل مناهض لجماعة الإخوان.. كما جاء فى الأوراق بالحرف الواحد: (علينا أن لا نتردد فى الاستعانة بسنة رسول الله ρ فى اغتيال أعدائه، وهذه الجماعة يجب تأييدها على كل وطنى، وكل متخاذل عنها قاعد عن نصرتها فهو مقصر فى أمر الله، ولا فرق بين محاربة أعداء الإسلام ومحاربة هؤلاء المناهضين لجماعة الإخوان).

وفى نفس الأوراق نقرأ هذا النص الخطير:

(لا تردد أبدا فى الحكم بأن من يناهض الإخوان المسلمين إنما هو خارج على المجاهدين، ويصبح مهدر الدم، وإن قاتله مثاب على ما فعله بأعظم ما يثاب المجاهد عند الله، إن القتل وإن كان يعتبر جريمة فى الأحوال المدنية إلا أن له ما يسوغه كثيرا من ناحية العقيدة، ويصبح القتل فى هذه الحالة واجبا على الإنسان إن لم يقم به كان مجرما فى حق عقيدته) وهذا الاعتقاد اعتنقته كل الجماعات المتطرفة، فكل فرد خارج جماعتهم كافر يحل قتله وسلب أمواله، وهذا ما يفسره لنا وضعهم للقنابل فى الميادين العامة والمواصلات العامة وقتلهم لضباط وجنود الشرطة.

فقتل ضابط الشرطة أو جندى الشرطة الذى يقوم بمواجهة فى مطاردة الإرهاب حلال دمه ومهدر بنص صريح من حسن البنا.

هذه هى تعاليم حسن البنا، والواجب على أجهزة الإعلام المصرية أن تكشف حقيقة هذا الداعية إلى الإرهاب باسم الدين، والداعية إلى قتل كل مناهض لجماعته وتصفيته جسديا، وزعم أن ذلك من سنة النبى ρ وآله.

تزييف الحقائق هو دين الإخوان

نحن نرى الآن قادة الإخوان المسلمين ومرشدهم يشاركون فى النشاط السياسى باسم الدين فى ندوات وأحاديث صحفية واجتماعات علنية فى مقر مشبوه لهم الآن فى حى الروضة وبالتحديد فى شارع الروضة.. يخطب الخطباء ويمارسون الإثارة باسم الدين يتحدثون لا عن فقه ولا علوم وقرآن بل عن قضايا للتهييج السياسى.

والخطورة هى فى تزييف الحقائق لأبنائنا من هذا الجيل الذى لا يعرف الكثير عن حقيقة هذه الجماعة، فمثلاً عندما نقرأ بيانا للمرشد حامد أبو النصر فى أخبار اليوم فى ديسمبر ١٩٨٨ وقد قال فيه بالحرف الواحد ليخدع الجيل الجديد الذى لم يعاصر إرهاب الإخوان وجرائمهم فى الأربعينيات وما بعدها: (لقد مضت جماعة الإخوان منذ ستين عاما حيث أسسها الشهيد حسن البنا ومازالت تمضى على أصل من أصولها وهو أسلوب (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وهذا هو أسلوبنا وطريقنا ندعو إليه ونأمل أن يمضى الناس عليه).

ونحن قد نشرنا هذا الكتاب ليكون أبلغ رد على مقولة مرشد الإخوان حامد أبو النصر عن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو لم يكن صادقا فى مقولته، لأن تاريخ الإخوان خلال الستين عاما وما بعدها يكذبه.. وسلسلة الجرائم التى ارتكبها الإخوان ثابتة فى أوراق المحاكم والكتب، حيث يوجد فى ملف الإخوان المسلمين الرد القاطع على مزاعم مرشد الإخوان، بل أن الواقع العملى يكذبه لقيامه فى عيد الأضحى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م بتوزيع منشورات مناهضة للحكم بقصد إثارة الفتنة وإشاعة الفوضى، وتم القبض عليه.

ونريد أن نقول لحامد أبو النصر بأن جماعته لا تملك من وسائل تحقيق أهدافها للوصول إلى الحكم غير العنف والإرهاب، لأن جماعته لا تملك فكرا أو علما أو برنامجا لبعث الحضارة، وفاقد الشيء لا يعطيه، لذلك كان تاريخ الإخوان منذ أن ظهروا على أرض مصر مليئا بالعنف والإرهاب وقتل الأبرياء وسفك الدماء!!.

وتاريخ حامد أبو النصر نفسه شاهد على ذلك، فقد بدأ يومه الأول فى جماعة الإخوان يحمل المسدس، بل وأقسم فى بيته بمنفلوط أمام حسن البنا وقد انفرد به داخل حجرة مغلقة، أقسم على هذا المسدس والمصحف، وكانت أول بيعة مسلحة فى الصعيد كما قال الشيخ حسن البنا بلسانه!!.

وهذا الكلام كتبه بخط يده حامد أبو النصر فى كتاب باسم (الإخوان المسلمون وعبد الناصر).

فيقول: (وانتقل المرشد العام- حسن البنا- إلى دارى بمنفلوط بعد إلقاء خطبة فى أسيوط، حيث هيأت له حجرة نوم خاصة ودخلها باسم الله وجلس على الفراش متربعا وقال: هيه- هيه يا سيد محمد.. ماذا أعجبك من خطابى؟ قلت له: إن المعانى التى ذكرتها فضيلتك كثيرا ما تجرى على ألسنة الخطباء والعلماء، وليس هذا هو السبيل للرجوع بالمسلمين إلى عهدهم وأمجادهم السالفة- أى: أن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لا جدوى منها- فقال حسن البنا: إذن ماذا ترى؟

(وكنت فى تلك اللحظة متوشحاً بمسدسى الذى لا يفارقنى وقلت له: إن الوسيلة الوحيدة للرجوع بالأمة إلى أمجادها السالفة هو هذا المسدس، وأشـــرت إلـــى مسدسى، فانبسطت أسارير المرشد العام كأنما لقى بغيته وعثر على مطلبه، وقال لى وهو يخرج المصحف من حقيبته قائلا: هل تعطى العهد على هذين؟ (مشيرا إلى المصحف والمسدس).

قلت: نعم، وقد غمرنى الفيض الإلهى والسعادة الأبدية.

وبعد أن تمت البيعة بهذه الصورة، أى: أمام المسدس والمصحف، قال فضيلته مهنئا: (مبروك.. إنها البيعة الأولى فى صعيدكم..).

نفهم إذن من كلام محمد حامد أبو النصر أن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ليست هى منهج الإخوان المسلمين، بل المنهج الذى وضعه وحدده حسن البنا وحامد أبو النصر معه هى العنف.. هى المسدس المختفى داخل المصحف!!.

رحلة تنظيمات الجهاد والتكفير

من سيد قطب إلى شوقى الشيخ

منذ أن تسربت من خلف جدران السجون خيوط خطة أعدها القطب الإخوانى البارز، وداعية الإسلام المسلح، سيد قطب حتى توالت بعدها وثـــائق التكفيـــر والجهاد ضد الطاغوت والجاهلية ودار الكفر.. وكان من بين أبرزها (معالم فى الطريق) (لماذا أعدمونى) (كلمة حق) (منهاج العمـــل الإســـلامى) (الفريـــضة الغائبة) و(مقومات الاستمرار).

ورغم أن الخيط لم يبدأ من سيد قطب، بل يمتد إلى عمليات التنظيم الخاص لجماعة الإخوان المسلمين، إلا أن تنظيمات الجهاد على اختلاف أسمائها تنتمـــى بصلة وثيقة إلى دعوة سيد قطب المسلحة..

منذ هذا التاريخ انفجرت قنابل كثيرة .. وتناثرت أشلاء، وطارت رؤوس بينها رأس رئيس الدولة (السادات)، ورئيس مجلس الـــشعب (رفـــت المحجـــوب) ووزير أوقاف أسبق (الشيخ الذهبى) غير رؤوس عشرات الأبرياء من الضحايا.

وإلى مسيرة سيد قطب انضم الاسلامبولى والزمر وسرية وشكرى مصطفى وصالح سرية وعمر عبد الرحمن وعصام القمرى والأسوانى وعلاء محى الدين

وعبد السلام فرج ونصحى وعشرات غيرهم..

وظهرت أسماء حزب التحرير، والتكفير والهجرة، والناجون من النار، والتوقف والتبين، والواثقون من النصر، وطلائع الفتح، وشباب محمد، والــشوقيون، والجماعة الإسلامية، والجهاد.

فكيف بدأت الرحلة؟ وإلى أين انتهت؟

حزب التحرير الإسلامى

عندما تنفجر قنبلة.. كثيرا ما يتردد سؤال: ما ذنب الأبرياء؟.

ولكن صالح سرية، قائد عملية الفنية العسكرية عام ١٩٧٤ يقرر فى (رسالة الإيمان) تكفير من نطق بالشهادتين ما لم يحمل راية الجهاد، وجواز إراقة دماء من يعملون مع النظام، لأنهم قاموا دفاعا عن حكومات الكفر، والذى يموت منهم كفار إلا إذا كانوا مكرهين فإنهم يبعثون على نياتهم.

وينتسب حزب التحرير الإسلامى إلى فكر وإمارة صالح سرية، وإن عرف أيضا إعلاميا وأمنيا باسم شباب محمد وتنظيم الفنية العسكرية.

وقد وفد سرية إلى مصر، هاربا من حكم إعدام فى العراق، وهو فلسطينى الأصل، أردنى الجنسية، أتى إلى مصر عن قناعة، بأن تحرير فلــسطين يبــدأ بإقامة دولة الإسلام فى أكبر بلدان الطوق، وقد شده إليها أفكار سيد قطب وعلاقات نسجها من بعض قيادات الإخوان، بعد أن تتلمذ على يد الشيخ تقــى الــدين النبهانى فى الأردن.

وفى مصر التقى بحسن الهلاوى، الذى شارك فى تأسيس أول خلية للجهاد، فانضم إليه بمجموعته، ثم نجح فى تجنيد كارم الأناضولى طالب الفنية العسكرية، الذى كان ركيزته مع باقى مجموعة الفنية فى الهجوم على الكلية والاستيلاء على السلاح، واعتقال قيادات الحكم أثناء اجتماعها فى ١٣ أبريل ١٩٧٤، ثم أعلن البيان رقم١.

وتشير بعض الدراسات إلى حزب التحرير الإسلامى الذى كان البداية الأولى لتنظيم الجهاد، لأسباب بينها التقييم الإيجابى لتنظيم الجهاد فى وثائقه لتجربــة صالح سرية، واعتماد أسلوب التغلغل فى أجهزة السيطرة (الجيش)، والصلات التى ربطت سالم الرحال الذى أفلت من ضربة الفنية مع مقدم المدرعات عــصام القمرى، مخطط الهروب الكبير من سجن طره، ومحمد عبد السلام فرج صاحب كتاب (الفريضة الغائبة) المرجعية الفكرية لتنظيم الجهاد.

وتجدر الإشارة هنا إلى المجموعة التى نفذت عملية الاعتداء على اللواء حسن الألفى وزير الداخلية المصرى أطلقت على نفسها اسم مجموعة الشهيد عصام القمرى.

وبضربة الفنية العسكرية يخفت قليلا صوت الجهاد، ويرتفع صوت التكفير على يد شكرى مصطفى.

جماعة المسلمين

مثلما خرجت من عباءة سيد قطب اتجاهات الجهاد، خرجت منها اتجاهات التكفير، فالجهاد أخذ عنه فكرة المفاصلة، أى: الافتراق عن المجتمع الجاهلى شعورياً، بينما أخذت عنه اتجاهات التكفير المفارقة– مكانياً، وطورها شكرى مصطفى إلى الهجرة بعيدا عن دار الكفر فى مرحلة الاستضعاف والعودة للتحرير عندما تصل الجماعة إلى مرحلة التمكن.

وفى السجن الذى دخله شكرى عضوا بالإخوان المسلمين، عاصر الخلاف الذى احتدم بعد أن أصدر مرشد الجماعة حسن الهضيبى كتابه (دعاة.. لا قضاة) ردا على كتاب سيد قطب (معالم فى الطريق)، وقد زاد الخلاف حدة تأكيدات قيادات إخوانية بأن المرشد العام كان قد بارك كتاب سيد قطب وخطته لإعادة التنظيم بعد ضربة ١٩٥٤، ثم تخلى عنه، بعد أن التف حول عنق سيد قطب حبل المشنقة، وغير موقفه تحت ضغط الظروف.

وفى السجن قرر شكرى الانفصال عن الإخوان على أن يكون هاديه (معالم) سيد قطب (وخيوط خطة) ومخطط تكفير.

وفى جولته فى قرى محافظة أسيوط، بعد الإفراج عنه عام ١٩٧١، أثر المصالحة بين السادات والإخوان، قال شكرى: إن الجاهلية لا ترتبط بزمان (ما قبل الإسلام)، بل تشمل كل أنحاء الأرض التى لا يطبق فيها شرع الله. ورفض أن يعذر أحد لجهله، وجمع قرابة ألفين من المريدين أسماهم (جماعات المسلمين) وغيرهم كفرة..

ثم طاف بجماعته جبال محافظات الصعيد، يصدر الفتاوى ويعد ليوم التحرير، فى نمط جديد من العلاقات يشمل الزواج ومصادر الرزق.. ولأن حادث الفنية العسكرية كان لا يزال طازجا، شد نموذج شكرى فى التكفير الانتباه، وثارت ضجة إعلامية، كما تصدى بعض رجال الدين ومن بينهم الشيخ الذهبى وزير الأوقاف الأسبق لدعاوى التكفير والهجرة، وهنا قرر شكرى أن يضرب ضربته، فأمر بالقصاص من الشيخ، فتم اختطافه واشترط الأمير لإطلاق سراحه دفع فدية ونشر بيان فى الصحف بحقيقة مؤلف الجماعة.. ورفضت السلطات فأصدر شكرى مصطفى حكما بإعدام الشيخ الذهبى برصاصة فى عينه اليسرى، وبعد

أسابيع ألقى القبض عليه فى عزبة النخل، وبعدها بشهور رفرفت راية سوداء فوق سجن الاستئناف.

جماعة الجهاد

كانت الصدفة قد جمعت عام ١٩٧٩ بين مقدم المخابرات عبود الزمر، مع مفكر الجهاد محمد عبد السلام فرج، وكان الوسيط طارق الزمر، والمكان بـــولاق الدكرور، والمرجعية (معالم فى الطريق).

أما الضرورة التى تفسر الصدفة فهى أفكار الجاهلية ودار الكفر والجهاد ضد الطاغوت التى أصبح لها الغلبة.

وصارت كلمة السر فى كل لقاء، فمن أجل هذه الفكرة طاف محمد عبد السلام فرج مساجد بولاق يدعو إلى الفريضة الغائبة.. التى لم تكن شيئا آخر ســـوى الجهاد..

ومن خلاله التقى بالنقيب خالد الاسلامبولى، كما ربطته صلة بمقدم المدرعات عصام القمرى الذى هرب من الخدمة، بعد أن أنذره مقدم المخـــابرات عبـــود الزمر أن أمره قد انكشف، ثم سرعان ما لحق الزمر بالقمرى بعد أن حامت حوله الشبهات، وبدأ جناح القيادة العسكرية للجهاد فى التكوين.

ولأن الصدام قد بدا وشيكا بين السادات والجماعات الإسلامية التى لها أنياب وأظفار، جرت اتصالات توحيد مع الجماعات الإسلامية فى معقل نفوذها فـــى الصعيد عبر كرم زهدى أمير المنيا، ود. عمر عبد الرحمن مفتى الجماعة.

وقد أثمرت هذه العملية حادث المنصة الذى راح ضحيته الرئيس السادات.

ولم يدم شهر العسل طويلا بين الجهاد والجماعة. فسرعان ما دب بينهما الخلاف داخل أسوار السجن حول ثلاثة أمور..

١- العذر بالجهل.. وتشير بعض المصادر إلى أن الجماعة كانت أقل تشددا فى مسألة التكفير.

٢- إمارة الجماعة.. إمارة الضرير (عمر عبد الرحمن) أو الأسير (عبود الزمر).

٣- السرية فى الإسلام.

وإلى هذا الجانب الأخير ينتمى الخلاف الجوهرى، فالجهاد وبحكم غلبة الجناح المخابراتى، ولأنها تعتبر أن قضية السلطة هى القضية المركزية، فإنها أكثـــر

تشددا فى مجال السرية، حتى لو كانت ضريبة ذلك التخلى قليلا عن جهاز الدعوة فى المساجد الذى يكشف عناصر التنظيم، وحتى لو ضحت ببعض اللحى التى تثير شبهات الأمن.

كما أن الجهاد كان أكثر تركيزا على اختراق أجهزة السيطرة، والقيام بعمليات منتقاة مركزة ضد رموز الدولة، وإعداد بنية عسكرية عالية التدريب والمهارة وكثيفة التسليح..

أما الجماعة فقد أولت عناية أكبر لقضية الدعاية والنفوذ الجماهيرى، ووقفت للدفاع عن موقعها فى كل مسجد، وكانت أقرب إلى طريق الدعاية المسلحة.

وتشير بعض المصادر إلى أنه بعد اعتقالات ١٩٨١ نشأت للجهاد قيادة ثلاثية فى السجن بزعامة عبود الزمر، وفى بيشاور (باكستان) بزعامة د. أيمن الظاهرى الذى أصبح الرجل الثانى بعد أسامة بن لادن فى تنظيم القاعدة، وقيادة ميدانية كان من بين عناصرها مجموعة القمرى التى نفذت عملية اللواء الألفى(١).

وترجح هذه المصادر انتساب (طلائع الفتح) إلى تنظيم الجهاد.

الجماعة الإسلامية

هى أكبر الجماعات الجهادية عددا وأوسعها انتشارا ، على الأخص فى محافظات الصعيد.. وقد ترعرعت فى الأصل فى جامعة أسيوط، تحت إشراف محافظها محمد عثمان.

ثم انتشرت إلى باقى جامعات الصعيد، وذلك فى إطار محاولات السادات لموازنة نفوذ اليسار، بنفوذ الجماعات الإسلامية، وقد أشرف المحافظ بنفسه على الدورات التثقيفية للجماعات، واستضاف عدة شخصيات من بينها عمر التلمسانى المرشد العام الأسبق للإخوان، كما جرى تدريبهم على الكاراتيه فى ملاعب الجامعة واستاد أسيوط.

وبدأت الجماعة فى إقامة سلطة (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) بعمليات عنف محدودة فى البداية ضد اليسار فى الجامعة والأقباط، وكان ذلك يتم عبر

---

(١) نلاحظ هنا ارتباط الجماعة بالتنظيم الدولى للوهابية عن طريق الإخوان المسلمين، وهذا ما سنبينه بتفصيل أكبر فى الفصل السادس من هذا الكتاب.

استخدام المطاوى والسيوف والجنازير، ثم مدت الجماعات نفوذها إلى مدن وقرى الصعيد، من خلال السيطرة على أكبر منبر للدعوة فى القرية المصرية (المساجد)، وبدأت تنظيم ندواتها الأسبوعية، وتقدم من خلالها تحليلا سياسيا ونشرة أخبار، كما بدأت فى بسط هيمنتها كسلطة محلية تتدخل لفض المنازعات وضبط الأسعار، وفرض نمط العلاقات فى مجالات الخدمات، وإقامة الأفراح والمآتم.. وبالتدريج أصبح للجماعات نفوذ فى كل محافظات الصعيد، كما أصبح لها أنياب وأظفار ومجلس شورى وجناح عسكرى.. ومع تنامى النفوذ وعنفوان المطاردة الأمنية نقلت الجماعة جزء من نشاطها إلى المناطق الفقيرة فى القاهرة، ومدت نفوذها إلى أحياء كامبابة وعين شمس، واستجابة لهذا التطور اتخذ مجلس الشورى قرارا بنقل حسن الغرباوى، أحد زعماء الصعيد، لتولى إمارة عين شمس، كما تم تكليف صفوت عبد الغنى، قائد الجناح العسكرى فى الداخل– حيث يتولى قيادته من بيشاور طلعت ياسين همام– بالخطابة فى مسجد آدم، معقل نفوذ الجماعة فى عين شمس.

ومن أبرز زعمائها: كرم زهدى، وناجح إبراهيم، وأسامة حافظ، ود. علاء محى الدين، المتحدث الإعلامى للجماعة الذى اغتيل فى شارع الهرم.

أما مفتى الجماعة د. عمر عبد الرحمن الذى اعتقل أول مرة فى ١٣ أكتوبر عام ١٩٧٠، أثر منعه المصلين فى مسجد كان يخطب فيه فى الفيوم، من إقامة الصلاة على جمال عبد الناصر، حيث أمضى فى الزنزانة ٢٤ بسجن القلعة قرابة ثمانية أشهر، حتى أفرج عنه فى ١٠ يونيو عام ١٩٧١ وكان وظيفة عمر عبد الرحمن قياس الأمور الشرعية، وقد أفتى بجواز قتل الحاكم المبدل لشرع الله، وجواز الجهاد ضد الطاغوت، وهى الفتوى التى راح ضحيتها السادات.. كما أفتى بجواز الاعتداء على السياح، كما صدر عن المكتب الخارجى للجماعة الإسلامية فى بيشاور بيان بعنوان.. (الرصاص بالرصاص.. قصاص) هدد فيه بأن الهدف اللاحق ضرب الاستثمارات العربية والأجنبية فى مصر.

وتعد الجماعة مسئولة عن معظم العمليات التى تمت ضد الضباط والجنود فى محافظات الصعيد، والهجوم على استراحات الضباط، وأحداث العنف الطائفى، والعمليات ضد السياح، وقد نسب إليها أيضا عمليتى رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب، وصفوت الشريف وزير الإعلام، غير أن الجماعة أنكرت مسئوليتها عن حوادث مقهى وادى النيل والقللى.. وترجح بعض المصادر أن فلول هذه الجماعة وراء الأحداث الأخيرة عام ٢٠٠٥م بالأزهر وميدان الشهيد عبد المنعم رياض، وميدان السيدة عائشة.

تنظيم التوقف والتبين

لم يترك لنا هذا التنظيم وثائق تحدد منهجه، ولكن ترك لنا ثلاث عمليات هى: محاولات اغتيال اللواء حسن أبو باشا وزير الداخلية، والكاتب الصحفى مكرم محمد أحمد، فضلا عن بعض العمليات ضد محلات الخمور ونوادى الفيديو، وقد اشتهر إعلاميا باسم (الناجون من النار)، ومن أبرز قادته مجدى الصفتى الذى ألقى القبض عليه بعد هروبه من الحملة التى استهدفت قيادات الجماعة فى قرية الحرقانية بالقليوبية.

تنظيم الشوقيون

ينتسب تنظيم الشوقيون إلى شوقى الشيخ، من قرية كحك بالفيوم، خريج كلية تكنولوجيا حلوان. وقد اختار لجماعته اسم (جماعة المسلمين).

وكان جفاف بحيرة الفيوم فرصة لصعود الجماعة، حيث انتشرت البطالة وتدهورت أحوال القرى، ففسر شوقى الشيخ الأمر لأتباعه بأنـــه عقـــاب الـــسماء، واعتبر أن جميع أفراد البشر، عدا أفراد الجماعة قد كفروا بالله، وأن شرط الإيمان هو الانضمام لجماعته والكفر بالطاغوت، وذلك بعد انشقاقه عـــن الجماعـــة الإسلامية لأسباب ترجح بعض المصادر أنها تعلقت بالصراع على إمارة الفيوم، بينما تشير مصادر أخرى إلى أنها ارتبطت بمسألة العذر بالجهل، حيث رفض شوقى الشيخ عذر أى مواطن حاكما أو محكوما بجهله، وأدخله فى دائرة الكافرين.

وتعد جماعة (الشوقيون) على وجه العموم من غلاة الاتجاهات التكفيرية فى الحركة الجهادية، حتى أنها عرفت انشقاقا حوله مسألة: (تكفيـــر التكفيـــر) أى: تكفير عضو الجماعة الذى لا يكفر غير المنضوين تحت راياتها.

وقد فسر شوقى الشيخ رفض الخليفة عمر بن الخطاب τ لتطبيق الحدود فى عام الرمادة ليصدر فتاوى استحلال السرقة، وكان ذلك أساس لانضمام كثير من العوام والخارجين على القانون إلى الحركة.

وقد ساعد فى نمو نفوذ جماعة (الشوقيون) فى الفيوم السياسة التى اتبعها وزير الداخلية الأسبق اللواء زكى بدر، فى موازنة نفوذ الجماعة الإسلامية بنفـــوذ الشوقيين، اعتمادا على الاشتباكات المسلحة التى دارت بين الطرفين.

وبعد سلسلة من عمليات العنف كان آخرها قيام الجماعة الشوقية بقتل جندى ومخبر فى هجوم على حراس كنيسة العذراء، سبقتها أحداث توتر عنيفة فى قرية كحك، دارت معركة بالغة العنف بالرصاص قتل فيها قرابة عشرين من أعضاء الجماعة، بينهم أميرها شوقى الشيخ نفسه، وقد ردت الجماعة بقتل المقدم أحمـــد

علاء ضابط أمن الدولة بالفيوم، ثم عرفت بعد ذلك عدة انشقاقات.

وينسب إلى الشوقيين أنهم أعطوا اسم (الواثقون من النصر) لجناحهم العسكرى.

وقد ذاع صيتهم بالذات بعملية السطو على محلات الصاغة، اعتمادا على فتوى الاستحلال من ناحية، وانضمام مجرمين عاديين إلى الجماعة من ناحية أخرى.

وقد شارك الشوقيون الجدد فى محاولة اغتيال نائب مأمور قسم طرة، وترجح بعض المصادر مسئوليتهم أيضا عن حادث قنبلة الأزبكية وحادث القللى والعمليات التى تستهدف مراكز تجمعات عامة.. انسجاما مع اتجاههم التكفيرى من ناحية، وضعف قدرتهم على تنفيذ عمليات كبرى من ناحية أخرى.

الإخوان حركة لا حزب

عادى جدا..

أن نسمع الإخوان المسلمين، وهم يملأون الدنيا صراخا مطالبين بالاعتراف لهم بإقامة حزب.

غير عادى بالمرة.. ومفاجأة بكل المقاييس..

أن تعرف.. أن الإخوان المسلمين هم أول من يرفض التحول إلى حزب، لأنهم يعلمون أن تحولهم إلى حزب فقط، يعنى ببساطة نهايتهم..

فالإخوان يريدون أن يظلوا دائما حركة، والحركة عندهم بركة.. لا يجدونها فى الأحزاب!!.

بداية.. نشير إلى دراسة عن الحركات الإسلامية فى مصر، وموقفها من التعددية السياسية، والتى نال عنها صاحبها د. عبد العاطى محمد درجة الدكتوراة فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بالقاهرة.

ولا تأتى أهمية هذه الرسالة من كونها من أندر الدراسات التى باللغة العربية فقط، بل من كونها الدراسة الوحيدة التى قامت بدراسة (حركة) الإخوان المسلمين باعتبارها حركة سياسية واجتماعية وليست دينية.

كما أن هذه الدراسة تكشف زيف الإخوان من خلال تاريخهم وتراثهم وممارساتهم، وبالحجة وبالمنطق وبالأدلة القاطعة.. بداية من رفضهم التخلى عن كونهم

(حركة) وانتهاء بموقفهم من الإرهاب..

ومن هنا تجئ أهمية القراءة المتأنية.. والصبر.. والتفكير.. لكى نتعرف على الإخوان من جديد.

مرور.. الزمن

ما معنى (حركة).. وما الفرق بينها وبين الحزب؟، وما موقف حركة الإخوان من التعددية الحزبية التى يريدون أن يكونوا طرفا فيها؟.

يركز د. عبد العاطى محمد على جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة المسلمين (التكفير والهجرة) وتنظيم الجهاد، باعتبارهم أهم ثـلاث حركـات سياسـية إسلامية فى مصر.

ويعرف الحركة بأنها: (جهد متصل لجماعة كبيرة نسبيا من الناس يستهدف إحداث التغيير الاجتماعى، بدرجات مختلفة، بأسلوب عنيف أو سلمى، ينجم عنه حدوث خلل فى البناء الاجتماعى والنظام السياسى ونمط القيم الثقافية، ويتوافر فيه قدر من الوعى بضرورة التغيير ومضمونه، ويتـسم بخلـيط مـن التنظـيم والعفوية، أو التلقائية، سريع الانتشار والتغلغل خاصة بين عامة الناس، كما يتسم بالتطور والنمو، وهو يمثل تيارا فكريا وسياسيا قد يقتصر على حدود جغرافية معينة أو يتعداه لمدى جغرافى أوسع، وفى جميع الأحوال فإن انتشاره يتعدى حدود إطاره المحلى المحدود).

ومن يعُد إلى التاريخ الإسلامى، يكتشف أن كل ما مر به من ثورات أو أعمال سياسية حادة ومعارضة، كان دائما يأخذ شكل الحركات بداية من الخـوارج وحتى الآن.

مع ملاحظة أن كل هذه الحركات أصابها الفشل والإحباط، وعدم القدرة على الاستمرار المنتظم والمتصاعد والمقنع للمجتمع، مع ملاحظـة ثانيـة أن هـذه الحركات لم تندثر، فليس من طبيعة الحركة الاندثار، إنما تخبو فقط، وبذا يمكن إحياؤها مرة أخرى.

وعند هذا الحد يجب أن نتوقف لننبه أن ما نراه من حركات إسلامية لا يصح ربطها بالإسلام بأى حال من الأحوال، لأن الفكر الإسلامى عريض ومتنـوع ومتغير عبر الزمن، وبالتالى لابد من تناول ظهور كل حركة من هذه الحركات فى إطارها السياسى والاجتماعى السائد، وبهذا الطرح يمكن أن نجنب القدسـية عنها، ونفهمها على أنها حركات سياسية وليست دينية.

مع ملاحظة أن كل الحركات الإسلامية نشأت لأسباب سياسية محددة ليس لها صلة بالجوانب العقيدية، لكن مرور الزمن الطويل وحرص هذه الحركات على

التمسح بالدين، رسب فى الأذهان الجوانب العقيدية والدينية فقط، وجعلها تتناسى الدوافع السياسية التى تعد الدافع الأساسى لها.

حركة سياسية فقط

وفى ضوء الملحوظات السابقة يمكننا أن نتعامل مع الإخوان المسلمين على أنهم (حركة)، وحركة سياسية تتمسح بالدين للوصول لأهدافها.

وبعد أن يشرح د. عبد العاطى محمد موقفهم من التعددية الحزبية قائلا:

إن الإخوان يطالبون دائما بأن يكون لهم حزب سياسى يعبر عنهم، ومع ذلك فهم يقولون: إنه حتى لو صار لهم هذا الحزب، فإنهم سوف يتمسكون بكـــونهم (حركة)، وهذا التمسك يتناقض مع صدق الإيمان بالعمل الحزبى، لماذا..؟!.

لأن التمسك (بالحركة) يتيح لهم التمتع والاستفادة من المزايا العديدة التى تكمن فى (الحركات)، وأهمها كسب الجاذبية والقبول لدى عامة الناس مـــن خـــلال الشعارات الغامضة والكلمات الكبيرة البراقة مثل: (القرآن دستورنا.. والله غايتنا).. وكلها كلمات كبيرة لها مغزى غامض، وغير محدد، له القدرة على التغلغل بين البسطاء خاصة فى الدعايات الانتخابية.

وذلك ما يتناقض مع مفهوم الحزب، الذى يجب أن يكون له إطار تنظيمى واضح، وأن يحترم القواعد الأساسية فى المجتمع، وأن يكون له برنـــامج محـــدد، وليست له صلة بالتغيير الاجتماعى الجذرى الذى لا نجده إلا فى الأحزاب الشيوعية، التى ارتبطت أصلا بالثورات.

ولذلك فإن الإخوان وهم يدركون بذكاء شديد مثل هذه الوضعية، فإنهم أول الرافضين للتحول إلى حزب، إلا إذا ارتبط ذلك مع بقائهم (كحركة) وهى التـــى تسمح لهم بعدم الخضوع للضوابط والقيود التى يخضع لها العمل الحزبى.

لماذا العمل.. وليس الوفد؟

يؤكد ذلك أنه برغم مناداة الإخوان الدائمة بالسماح لهم بإعلان حزبهم إلا أنهم حتى الآن لم يعلنوا برنامجهم الحزبى بشكل محدد وموثق.

وهم يتعمدون ذلك لأنهم لا يريدون الالتزام بأفكار مسبقة، على الأقل حتى يحققوا أكبر قدر من المكاسب السياسية.

وحتى لا يضعهم البرنامج فى موقف المقارنة مع بقية الأحزاب، مما يحتم وضعهم فى عمليات التقييم والجدل، وهم يرفضون ذلك ، إذ يكشف تـــراثهم عـــن

أنهم جماعة شمولية يطرحون أفكارهم على أنهم أفضل القوى السياسية، ولديهم إحساس أصيل بالتسامى على الآخرين.

مع ملاحظة أنهم حينما تحالفوا مع قوى سياسية أخرى كان التحالف مرتهنا بقدرتهم على استيعاب الآخر، وتسخيره لأفكارهم، ولذا فشل حلفهم مع الوفد لأنهم لم يستطيعوا استيعابه، بينما نجحوا مع العمل واستمروا فى التحالف بعد أن سيطروا عليه تماما وصار بوقا لهم.

هذا أيضا ما أكده رفعت السعيد فى الندوة التى عقدها مع عادل حسين حول التطرف والاعتدال فى الإسلام، حيث قال بالحرف الواحد:

(أقرر أننى أجهدت نفسى كثيرا لكى أتمكن من التفرقة بين مقولات حزب العمل وجماعة الإخوان المسلمين، وفشلت.. فإن أتيت بجريدة الشعب ورفعت اسم الأستاذ مصطفى مشهور من على مقاله ووضعت مكانه اسم الأستاذ إبراهيم شكرى أو الأستاذ عادل حسين أو الأستاذ مجدى أحمد حسين لسار الأمر سيرا طبيعيا ولما لحظ أحد الاختلاف).

المزايدة.. بالحزب المسيحى!

ويمضى د. عبد العاطى محمد قائلا :

ومن الضرورى أن نشير هنا إلى أن حركة الإخوان تعترف بالآخر، لكن هذا الاعتراف عليه قيود وتحفظات شديدة. فهم لا يعترفون بما يسمونه بالتيارات العلمانية والشيوعية ولا القومية.

وحتى عندما قالوا بأنهم يقبلون بوجود حزب مسيحى – وهو القول الذى أظهرهم بمظهر المتعاطف مع المسيحيين، مما خدع بسطاء المسيحيين– حتى هذا القول لم يقصد به الإخوان سوى المزايدة والمتاجرة والاستفادة السياسية، لأنهم يعلمون جيدا أنه لن يقوم فى مصر حزب مسيحى أبدا، لأن طبيعة المجتمع المصرى لا تسمح بذلك، ولأن صفوة وقيادات المسيحيين أنفسهم يرفضون ذلك.

لكنه نوع من القراءة الشديدة الذكاء لمعطيات الواقع وتحويلها لصالحهم.

الإخوان والديمقراطية

ونصل إلى موقف حركة الإخوان من الديمقراطية..

يقول صاحب الرسالة: إن الإخوان يتحدثون عن الديمقراطية كأداة للممارسة السياسية فقط، بينما يرفضون مضمونها وفلسفتها كما تعرف فى الفكر الليبرالى الغربى.

بمعنى أن الإخوان يستفيدون من ثمرات الديمقراطية والمناداة بأحقيتهم فى حزب، دونما تحمل تبعاتها الفكرية.

ويلاحظ أن الديمقراطية– كما نعرف– تعكس قيما معينة هى الإعلاء من قيم حرية الفرد والعقلانية والتفاوض.. إلخ، وهى ليست مجرد أطر شكلية إنما أسس من أسس الديمقراطية.

بينما نلاحظ أن مصطفى مشهور الإخوانى الكبير مثلا يدين الديمقراطية فى كل كتاباته تقريبا.

ثم تأتى إصداراتهم لتقول: إنه ليس هناك فرق بين الديمقراطية والشورى– وهو قول باطل– وأن ما يريده المجتمع من ديمقراطية موجود فى الشورى، وهم فى حقيقة الأمر يقولون:

إذا كانت الديمقراطية موجودة فى الشورى، فدعونا نتحدث عن الشورى ولا نتحدث عن الديمقراطية، وهو نوع من تعمد الالتفاف حول مفهوم الديمقراطيـــة، وتلبيسه رداء إسلاميا بأى شكل من الأشكال.

ولا حريات عامة

ويمضى صاحب الرسالة ليشرح موقف حركة الإخوان من الحريات قائلا:

لو نظرنا لموقف الإخوان لما تعارف عليه الفكر المعاصر من حريات عامة مثل حرية الرأى والاجتماع والاعتقاد.. إلخ، فإننا نجد ذلك يتراجع عند الإخوان إلى مستوى الحريات الخاصة التى قد تتوافر أو لا تتوافر حسب الظروف.

ولا يعترف الإخوان إلا بحرية المسلم فى تطبيق الشريعة، وهى النظرة التى يتطابقون تماما فيها مع حركة التكفير والهجرة، وتنظيم الجهاد، والتـــى تـــدعو أفرادها إلى تطبيق الشريعة فورا وبأيديهم، لأن هذه الحرية الوحيدة المعترف بها فى الحريات العامة التى تركز عليها هذه الحركات، التى لا تعير أدنى اهتمـــام للحريات الأخرى ولأشكال الممارسة الديمقراطية.

وحدة العمل الإسلامى

ثم نأتى إلى موقف حركة الإخوان من الجماعات الإرهابية الأخرى خاصة التكفير والهجرة وتنظيم الجهاد.

يقول صاحب الرسالة:

إن من يتابع تراث وكتابات الإخوان وكتابات الجماعات الإرهابية يكتشف أن هناك رغبة عامة واحدة فى حرص الجميع على ما يسمونه (وحدة العمل الإسلامى).

ولذا فإنه رغم وجود بعض الخلافات بين الإخوان وبين هذه الجماعات إلا أن جميع الأطراف حرصت على ألا تصل خلافاتهم التنظيمية إلى حد الصدام أو القطيعة المطلقة.

وتسجل الرسالة مثالا عمليا للتعاون بين حركة الإخوان والحركات الأخرى حيث ترصد تبنى مجلة الدعوة فى السبعينيات لشباب التكفير والهجرة، والتى دافعت عن أفكارهم، كما أن الإخوان لعبوا دورا كبيرا فى تأسيس الجماعات الإسلامية داخل الجامعات.

وكتابات عبود الزمر أكدت مرات ومرات على ضرورة وحدة العمل الإسلامى، بل وناشدت الإخوان الانضمام للجهاد على أساس أنهم جميعا يعملون لهدف واحد.

العنف والإرهاب

وتسجل الدراسة أن تاريخ حركة الإخوان يسير بوضوح إلى أن الجماعة قامت بأعمال عنف كثيرة فى الأربعينيات، بل وحتى بعد ثورة يوليو كحادث المنشية سنة ١٩٥٦، وتنظيم سيد قطب، وما ارتبط به من التخطيط لأعمال مسلحة، بالإضافة إلى جهازهم السرى ودوره فى حركتهم.

وتشير الدراسة إلى أن كل القرائن تؤكد أن العنف إحدى أدوات حركة الإخوان فى تحقيق أهدافهم السياسية، وإذا كان الإخوان قد أعلنوا فى الوقت المعاصر رفضهم للعنف، إلا أنه ليس هناك ما يشير بشكل موثق وصريح وواضح وعملى إلى ذلك.

مع ملاحظة أن الإخوان هم أول المستفيدين من وجود الجماعات الإرهابية فى نشاطها السياسى ودعوتها للحاكمية لله وتطبيق الشريعة، لأن ذلك يؤدى لوجود

مناخ معين يعزز وجود الإخوان بشكل عام، وبالتالى فهم لا يريدون القضاء على هذه الجماعات حتى لا يخسروا المناخ الذى يتسق مع دعوتهم، ومن ثم أيــضا يرفض الإخوان الدخول فى صدام مطلق وعلنى مع هذه الجماعات.

الفصل الرابع

الإخوان وجمال عبد الناصر

ثمة مغالطة تاريخية يوهم بها الإخوان المسلمون عامة الناس وهى أن جمال عبد الناصر كان عدوهم الأول، وهو الذى نكل بهم وعذبهم ومثَّل بهم.. ولكن الحقيقة غير ذلك.. فعبد الناصر هو نبتة إخوانية، وكفى دليلاً على ذلك أن الشيخ البنا قد أوصى بأن يخلفه عبد الناصر مرشداً عاماً للجماعة.

ويبقى السؤال لماذا عامل عبد الناصر الإخوان بهذه القسوة؟

الجيش هو قرة عين الإخوان

منذ أن بدأت مرحلة التنفيذ والشيخ البنا يرقب الجيش باهتمام بالغ، ويبذل جهده فى التقاط أكبر عدد ممكن من الضباط وضمهم إلى صفوف تنظيم سرى فى جماعته.

وبدأت كوادر الجماعة فى التقاط مجموعات من الضباط وتقديمهم واحدا واحدا وفى سرية تامة للمرشد. وفى هذا الوقت كان الشاب جمال عبد الناصر حسين يكون أولى ارتباطاته السياسية مع شاب أزهرى يكبره فى السن بسبع سنوات هو أحمد حسن الباقورى (عضو جماعة الإخوان المسلمين).

ويقول مجدى حسنين: (كنت حتى سنة ١٩٥٠ معروفاً بميولى للإخوان وليس بميولى فقط، بل كنت على علاقة وثيقة بالمرحوم حسن البنا، وكنت أدرب أعداداً كبيرة من الإخوان) (جمال الشرقاوى، حريق القاهرة، ط. ١٩٧٦ – شهادة مسجلة بصوت مجدى حسنين).

وكذلك يقول حسن إبراهيم: (كما قمنا بالاتصال مع الإخوان المسلمين من خلال الصاغ المتقاعد محمود لبيب، وكان المرحوم حسن البنا يلتقى بنا). (روز اليوسف ١٩٧٧/٤/١١).

وأيضا خالد محى الدين كان على علاقة لفترة من الوقت بالشيخ حسن البنا .

ويروى خالد محى الدين– فى حديث شخصى مع د. رفعت السعيد– أن الضباط كان يلحقون مباشرة بتشكيل سرى خاص، وأن مراسم انضمامهم كانت توحى بالسرية المطلقة حيث تتم البيعة فى غرفة مظلمة، ويقسم الضباط على مصحف ومسدس. (د. رفعت السعيد.. حسن البنا، ص: ١٩٧).

ويذكر الكاتب الأمريكى ميتشيل: أن رشاد مهنا وحسن الشافعى كانا على علاقة بالإخوان.

وإذا أردنا أن نعطى قائمة بانتماءات مجلس قيادة ثورة ١٩٥٢.. نجدها كما يلى:

- عبد الحكيم عامر: إخوان مسلمون.
- كمال الدين حسين: إخوان مسلمون.
- جمال عبد الناصر: الوفد-الإخوان المسلمون.
- أنور السادات: مصر الفتاة- الإخوان المسلمون.

ولفترة من الوقت كان أنور السادات ذا علاقة وثيقة بشكل خاص مع الشيخ البنا، وقد تحدث عنها تفصيلاً فى كتابه (صفحات مجهولة).

والغريب أن السلطات قد أغمضت عينيها عن نشاط الإخوان فى الجيش، فأنور السادات يلتقى لأول مرة بالشيخ البنا عندما جاء البنا إلى أحد معسكرات الجيش ليحضر احتفالا بذكرى المولد النبوى، وألقى خطاباً جذب أنظار الضباط (حتى يعلم الناس: ١٩٥٤، ص٦)(١). ويضيف السماح للبنا بالنشاط المكشوف فى صفوف الجيش علامة استفهام كبيرة؟.

والسؤال هو: ماذا كان يريد البنا من هذا النشاط المكثف فى صفوف الجيش؟

وقد وجه جمال عبد الناصر هذا السؤال للصاغ محمود لبيب المستشار العسكرى لحسن البنا، فأجاب:

(علينا أن نبدأ فى تكوين مجموعات من الضباط ذوى الإيمان والعقيدة، وعندما يحين الحين نبرز جميعا فى صف واحد لنتصدى لعدونا ونمنعه من محاربة دعوتنا). (حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية).

---

(١) وهو كتيب أصدره قادة الإخوان فى الأردن والعراق والسودان يحددون فيه موقف الإخوان من ثورة يوليو.

وصية البنا.. خليفتى عبد الناصر

ذكرت هذه الوصية جريدة الأنباء الكويتية العدد رقم٦٣٨٣ الصادر يوم الأحد ١٣ فبراير١٩٩٤ على لسان المستشار الدمرداش العقالى وهو من أوائل الشباب الذين انضموا للجهاز السرى للإخوان فى الأربعينيات، وأقسم يمين الولاء أمام الشيخ البنا، وأصبح فى غضون سنوات قليلة مسئول الشباب والطلبة فى حركة الإخوان.. فضلاً عن أنه زوج شقيقة الكاتب الإخوانى سيد قطب حيث يقول:(من الثابت أن اليوزباشى جمال عبد الناصر حسين قد انخرط فى صفوف الإخوان المسلمين عام ١٩٤٢ مشكلاً مع عبد المنعم عبد الرؤف وأبو المكارم عبد الحى ومحمود لبيب الجهاز الخاص للإخوان المسلمين فى الجيش.

وقد ظلت حركة الإخوان المسلمين– بقيادة حسن البنا وعبد الرحمن السندى فى القطاع المدنى، وجمال عبد الناصر فى القطاع العسكرى– تعمل لتغيير الأوضاع فى مصر والاستيلاء على السلطة كما كان مقدرا لها فى عام ١٩٥٥، ولكن حرب فلسطين هى التى غيرت هذا التقدير.

وبعد صدور قرار حل الحركة فى ١٩٤٨/١٢/٨ واعتقال جميع قيادة الإخوان ما عدا حسن البنا، حينئذ أيقن الرجل أنه سيبقى ليصفى..

فأعد وصيته وذهب بها ليسلمها إلى صالح حرب باشا فى جمعية الشبان المسلمين فى الليلة التى قتل فيها، وهى الليلة الوحيدة التى خرج فيها من بيته منذ أن أحس بأنه مستهدف من قبل الملك وأعوانه.

وقد كتب البنا موصياً بأن يكون المسئول عن جماعة الإخوان المسلمين فى حالة اغتياله أو غيابه هو عبد الرحمن السندى رئيس الجهاز الخاص، وإذا لم يكن السندى موجوداً يصبح جمال عبد الناصر حسين هو المرشد العام للجماعة..!!

ولم يكن عبد الرحمن السندى حتى ذلك الوقت من الوجوه المعروفة، فقد أبقاه البنا تحت الأرض منذ أن أسند إليه قيادة التنظيم السرى عام ١٩٣٨ ..

وقال السندى بعد الثورة: إن حسن البنا قال له حين اختاره لهذه المهمة السرية الخطيرة: إن الجهاز الخاص هو"الورشة"، التى نعد فيها قادة التغيير، أما مكتب الإرشاد والمركز العام والهيئة التأسيسية وحديث الثلاثاء فكلها بمثابة "المعرض" الذى نعرض فيه بضاعتنا، والصانع لا يجعل مرتادى المعرض أو زواره يرون ما يحدث فى" الورشة" فالورشة تصنع فى صمت، والمعرض يبيع بغير ضوضاء الورشة.

ولكن فى ذلك الوقت كان السندى مسجوناً بعد القبض عليه فى حادث سيارة الجيب، فانصرفت الأنظار إلى جمال عبد الناصر ليقود الإخوان كما جاء فى وصية المرشد العام، وأبلغ صالح حرب عبد الناصر بالوصية التى جاء فيها أيضاً: (على قيادة الإخوان الجديدة أن تسارع بالتغيير وقلب نظام الحكم فى موعد

أقرب من عام ١٩٥٥، فقد أصبحنا فى سباق مع الزمن).

وعلى أثر ذلك شرع عبد الناصر فى بناء تنظيم الضباط الأحرار الذى كان يضم فى الواقع أكثر من تنظيم سرى وأكثر من اتجاه سياسى وعقائـدى، وكـان ذلك عام ١٩٤٩، وهو التاريخ الصحيح لبداية تنظيم الضباط الأحرار- وهو كما نرى- اسم محايد يتسع لمختلف الاتجاهات والميول السياسية والعقائدية، ففيـه الإخوانى والماركسى وغيرهم). (الدمرداش العقالى).

يقول أحد الكتاب: إن جمال عبد الناصر قد سئل فى أحد الاجتماعات التمهيدية للضباط الأحرار" هل تتوقع من الإخوان خيراً" وأجاب عبد الناصر: "نعم خير كثير"

(المصور ١٩٥٤/١٠/٣١-حلمى سلام: قصة ثورة الجيش)

وهذه الإجابة من عبد الناصر لا تحتاج إلى تعليق لبيان مدى العلاقة القوية التى كانت تربطه بالجماعة، ويبقى السؤال لماذا إذن عامل عبد الناصر الجماعـة بهذه القسوة بعد الثورة؟

لماذا حاربت الثورة الإخوان؟

نشرت جريدة الجمهورية فى عددها رقم ٤٠ الصادر فى ١٥ يناير ١٩٥٤ ما يأتى:

عقد البكباشى أنور السادات مؤتمراً صحفياً الساعة الواحدة من مساء اليوم ألقى فيه البيان التالى:

إن كانت الثورة قد قامت فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فقد ظل تنظيم الضباط الأحرار ينتظر من يتقدم الصفوف مخلصاً ليغير المنكر الذى نعيش فيه.

ومن يوم قيام الثورة ونحن فى معركة لم تنته بعد، معركة ضد الاستعمار لا ضد المواطنين. وهذه المعركة لا تحتمل المطامع والأهواء التـى طالمـا نفـذ الاستعمار من خلالها ليحطم وحدة الأمة. ولقد بدأت الثورة فعلاً بتوحيد الصفوف، إلى أن حلت الأحزاب ولم تحل الإخوان إبقاء عليهم وأملا فـيهم وانتظـاراً لجهودهم وجهادهم فى معركة التحرير، ولكن نفراً من الصفوف الأولى فى هيئة الإخوان أرادوا أن يسخروا هذه الهيئة لمنافع شخصية وأطماع ذاتية، مـستغلين سلطات الدين على النفوس وبراءة وحماسة الشبان المسلمين. ولم يكونوا فى هذا مخلصين لوطن أو لدين.

وأنهم استغلوا هذه الهيئة لإحداث انقلاب فى نظام الحكم القائم تحت ستار الدين، ولقد سارت الحوادث بين الثورة وهيئة الإخوان بالتسلسل الآتى:

١- رفض المرشد العام للإخوان إصدار بيان تأييد للثورة إلا بعد رحيل الملك فاروق، وطلب مقابلة أحد رجال الثورة فقابله البكباشى عبد الناصر. وقد بـدأ المرشد حديثه مطالباً بتطبيق أحكام القرآن فى الحال. فرد عليه عبد الناصر: إن هذه الثورة قامت حرباً على الظلم الاجتماعى والاستبداد السياسى والاستعمار البريطانى. وهى بذلك ليست إلا تطبيقاً لتعاليم القرآن، فانتقل المرشد بالحديث إلى تحديد الملكية وقال: إن رأيه أن يكون الحد الأقصى ٥٠٠ فدان، فرد عليه عبد الناصر: إن الثورة رأت التحديد بـ٢٠٠ فدان وهى مصممة على ذلك.

فقال المرشد: إنه يرى لكى تؤيد الإخوان الثورة أن يعرض عليه أى تصرف للثورة قبل إقراره.

فرد عليه عبد الناصر: الثورة لن تقبل وصاية عليها من أحد، ولكن نرحب بالشورى.

٢- سارعت الثورة فى إعادة الحق إلى نصابه، وكان من أول أعمالها أن أعادت التحقيق فى مقتل الشيخ حسن البنا فقبضت على المتهمين فى الوقت الذى كان فيه المرشد الحالى لا يزال فى مصيفه بالأسكندرية، واحتفلت بالذكرى السنوية- الرابعة- لأول مرة للشيخ حسن البنا وكان المرشد الحالى- يقصد حسن الهضيبى- قد حرَّمها.

٣- طالبت الثورة الرئيس السابق على ماهر بمجرد توليه الوزارة أن يصدر عفواً عاماً على المعتقلين والمسجونين السياسيين وفى مقدمتهم الإخوان.

٤- قرر مجلس قيادة الثورة إشراك ثلاثة من الإخوان فى وزارة الرئيس محمد نجيب، على أن يكون أحدهم الأستاذ أحمد حسن الباقورى. فأرسل المرشد العام حسن العشماوى ومنير الدلة كمرشحين للوزارة، ولكنهما رفضا من قبل الثورة، وطُلب ترشيح غيرهما، فقرر الإخوان عدم الاشتراك فى الوزارة وفصل الشيخ الباقورى من الإخوان.

٥- لما علم مرشد الإخوان بتكوين هيئة التحرير، تقابل مع البكباشى جمال بكوبرى القبة وقال له: لا لزوم لإنشاء هيئة التحرير ما دام الإخوان قائمين.

فرد عليه جمال: إن فى البلاد من لا يرغب فى الانضمام للإخوان. فقال المرشد: إننى لن أؤيد هذه الهيئة. وبدأ من ذلك اليوم فى محاربة هيئة التحرير وإصدار أوامره بإثارة الشغب واختلاق المناسبات لإيجاد جو من الخصومة بين أبناء الوطن الواحد.

٦- فى شهر مايو ١٩٥١ ثبت لرجال الثورة أن هناك اتصال بين بعض الإخوان المحيطين بالمرشد وبين الإنجليز عن طريق الدكتور محمد سالم الموظف

فى شركة النقل والهندسة. وقد عرف البكباشى جمال من حديثه مع حسن العشماوى أنه حصل اتصالاً بين منير الدلة وصالح أبو رقيق ممثلين عن الإخوان وبين مستر إيفانس المستشار الشرقى للسفارة البريطانية.

والتقى جمال عبد الناصر والمرشد العام وأظهر له استياءه من اتصال الإخوان مع الإنجليز والتحدث معهم فى القضية الوطنية، الأمــر الــذى يــدعو إلــى التضارب فى القول وإظهار البلاد بمظهر الانقسام.

وفى يوم الأحد ١٠ يناير ١٩٥٤ ذهب حسن العشماوى العضو العامل بجماعة الإخوان وأخ حرم منير الدلة إلى منزل المستر كروزيل الــوزير المفــوض بالسفارة البريطانية ببولاق الدكرور فى الساعة السابعة صباحاً، ثم عاد لزيارته أيضاً فى نفس اليوم، وهذه الحلقة تكمل الحلقة الأولــى التــى روى تفاصــيلها الدكتور محمد سالم.

٧- فى أوائل يونية ١٩٥٣ ثبت لإدارة المخابرات أن خطة الإخوان قد تحولت لبث نشاطها داخل قوات الجيش والبوليس، وعمل تنظيم تابع لهــا اســتعداداً للقيام بانقلاب ضد حكومة الثورة، وقد تم إنذارهم على هذا العمل ولكنهم ظلوا فى أحقادهم ضد الثورة.

٨- بدأ المرشد العام الأستاذ الهضيبى فى التخلص من رجال الجهاز السرى القديم أيام الشيخ البنا وتكوين جهاز آخر تابع له ويدين له بالولاء والطاعة، وفى هذه الظروف قتل المرحوم المهندس فايز عبد المطلب بواسطة الإخوان عن طريق صندوق من الديناميت وصل إلى بيته على أنه هدية من الحلوى.

٩- إثارة الشغب داخل الجامعة بالقاهرة والأسكندرية ليثبتوا للمسئولين أنهم قوة لا يستهان بها، وقد حدث احتكاك بينهم وبين منظمات الشباب، فهاجم الإخوان تلك المنظمات بالكرابيج والعصى وأصابوا البعض بإصابات مختلفة.

حدث كل هذا فى الظلام، وظن المرشد وأعوانه أن المسئولين غافلون عن أمرهم، لذلك فنحن نعلن باسم هذه الثورة التى تحمل أمانة أهداف هذا الــشعب أن مرشد الإخوان ومن حوله قد وجهوا نشاط هذه الهيئة توجيهاً يضر بكيان الوطن ويعتدى على حرمة الدين.

ولن تسمح الثورة أن تتكرر فى مصر مأساة الرجعية باسم الدين، ولن تسمح لأحد أن يتلاعب بمصائر هذا البلد لشهوات خاصة مهما كانت دعــواه. ولا أن يستغل الدين فى خدمة الأغراض والشهوات، وستكون إجراءات الثــورة حاســمة وفــى ضــوء النهــار وأمــام المــصريين جميعــا، والله ولــى التوفيــق. (مجلس قيادة الثورة)

الإخوان بلاء وهوان

الحقيقة أن هذه الجماعة تحكمها الأهواء الشخصية، وحينما يرفعون شعار (تطبيق الشريعة) أو (الإسلام هو الحل) أو غيره، فإننا يجب أن نكون على يقين أنها شعارات جوفاء، فهاهم قد وصلوا إلى الحكم عن طريق عبد الناصر ربيب الإخوان، ولكنهم أنفسهم هم الذين حاربوه، وجاء بعده السادات وهو منهم أيضاً وفتح لهم الباب على مصراعيه ولكنهم قتلوه على يد جهازهم السرى المسمى بجماعة الجهاد، ولوجاء غيره لحاربوه، حتى إذا بقى اثنان فقط من هذه الجماعة لحارب أحدهما الآخر، لأن كل عضو بالجماعة يريد أن يكون هو الحاكم وليس غيره، ولن يطبقوا الشريعة التى يتشدقون بها.

لقد كان رد فعل عبد الناصر عليهم عنيفاً على الرغم من أنهم إخوانه الذين رباهم شيخ واحد هو حسن البنا، ولكن التربية الصحيحة لا تكون إلا على يد إمام ربانى كالعبد الصالح مع سيدنا موسى حين وصفه الحق بقوله: (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) فأنىّ لمدرس الخط أن يربى أتباعه تربية صحيحة، ففاقد الشيء لا يعطيه.

وتظهر التربية السيئة فى سلوك المرشد العام حسن الهضيبى مع إمامه حسن البنا: حيث رفض وضع صورة البنا فى مكتبه، بل لقد بلغ الحقد والبغضاء به أن رفض زيارة قبر حسن البنا، وأفتى بأن زيارة الإخوان للقبر عودة إلى الوثنية!! كما اعتبر إحياء الذكرى السنوية للبنا حراماً، بل وضع صورة الملك فاروق– سيده الذى كان ينحنى أمامه قائلاَ: يا ولى الأمر ويوقع له فى دفتر التشريفات– بدلاً من صورة حسن البنا، باعتبار أن فاروق هو حاكم البلاد الشرعى الذى يجب أن يدين له الإخوان.

(فتحى العسال، الإخوان المسلمون بين عهدين، ص: ٢١٠).

ولم تقف التربية السيئة فقط عند حد العداء بين الإخوان والثورة بل وصل الأمر إلى درجة الاغتيالات، أشهرها محاولة اغتيال جمال عبد الناصر فى أكتوبر ١٩٥٤م بميدان المنشية على يد محمود عبد اللطيف أحد أعضاء الجهاز السرى للإخوان المسلمين، والذى أطلق تسع رصاصات من مسدسه على عبد الناصر أصابت وزير خارجية السودان آنذاك ميرغنى حفنى.

وقد اعترف محمود عبد اللطيف بأن الذى كلفه بتنفيذ مأمورية اغتيال عبد الناصر هو المحامى هنداوى دوير الذى يعمل بمكتب الأستاذ عبد القادر عودة عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان، وصدرت أوامر بالقبض على هنداوى دوير الذى اعترف بأنه تلقى تعليمات مكتوبة من رئاسة التنظيم السرى بقتل

البكباشى جمال عبد الناصر ثم التخلص من جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة بالاغتيال والتخلص من عدد من ضباط الجيش يبلغ ١٦٠ من قادة وضباط بالقتل والخطف، على أن تقوم تنظيمات الإخوان فى كافة أنحاء القطر بحركة شعبية يعقبها تكليف الأستاذ محمد حسن العشماوى ومعه الأستاذ عبد الرحمن عزام ليحلا محل مجلس قيادة الثورة.

ويتم القبض على العشماوى والهضيبى حيث تتوالى الاعترافات، ويتم العثور على ترسانات من الأسلحة بالأسكندرية والقاهرة وبور سعيد وغيرهم (فتحى العسال- المرجع السابق، ص: ٢٨٤- ٢٩٠).

ويدير عبد الناصر ماكينة العنف إلى أوسع مدى مصمما على تصفية الجماعة- وله الحق فى هذا- وينجح إلى حد كبير فى القضاء عليهم، فهو منهم أولا وأخيرا ويعرف أسرارهم.

وقد ترتب على قيام الثورة بتصفية جماعة الإخوان المسلمين، أن قامت السعودية بإمداد الإخوان بما يساعدهم على البقاء، ومحاولة القضاء على الثورة، مما حدا بالحكومة المصرية إلى فضح هذا الأسلوب الرخيص من جانب حكام الوهابية، عن طريق تسخير إذاعة صوت العرب فى الستينيات لمدة ساعة يومياً لفضح النظام الوهابى، وتقوية التيار الاشتراكى فى السعودية بقيادة ناصر السعيد، وبهذه الطريقة تأخرت سيطرة الإخوان الوهابية على مصر، وبالتالى تأخر المشروع البريطانى الوهابى.

والسؤال الذى يطرح نفسه: فى عهد البنا كان الجهاز السرى أداة للوصول إلى الحكم، وفى عهد ربيب الإخوان عبد الناصر ما فائدة هذا الجهاز؟.

الفصل الخامس

الإخوان والنقابات

يقول الأستاذ على الدالى فى كتابه: (جذور الإرهاب) ص: ١٣٤-١٣٩: تتبه قادة الإرهاب- سواء منهم الذين يتحركون داخل حدود مصر أو خارج الحدود، تتبه هؤلاء- إلى أهمية اختراق نقابات الرأى ونقابات المهنيين التى تضم صفوة الأمة من المثقفين، لشل حركة المثقفين والإبقاء على سلبياتهم فى مواجهة قضايا الأمة، بل وتوظيف هذه النقابات المهنية نفسها لخدمة أهداف الإرهاب من خلال السيطرة على هذه النقابات الهامة من صحافيين، ومحامين، ومهندسين، وأطباء، ومدرسين، وزراعيين، وتجاريين، وغيرهم.

هذه الصفوة التى تقود الرأى العام بمواقفها وإيجابية حركتها، وتجعل للتيار الثقافى فى مصر دورا مؤثرا فى محاصرة أعداء الوطن.. وليس فى مصر الآن من أعداء للوطن.. أخطر على مستقبله ونهضته من هؤلاء الإرهابيين، الذين تحركهم قوى من خارج الحدود ومن داخل الحدود وتدربهم على تدمير الوطن..

ومن المعلوم أنه لا يوحد الأمة ضد عدو يهدد الحضارة والنهضة وسلام الشعب وأمن البلاد غير بعث رأى قوى حول هذا المعنى، ولا يقوم هذا الرأى العام- كما قال لطفى السيد- إلا بوجود صحافة رأى حرة قوية.

فماذا يحدث الآن فى الصحافة المصرية؟.. هى الآن حرة بحق.. ومع ذلك نرى نقابة الصحافيين- مثل بعض نقابات أخرى مهنية- وقد اخترقها الإرهاب باسم الدين بجهد أفراد أقل من عدد أصابع اليد الواحدة استطاعوا السيطرة على لجنة الحريات فى النقابة، وتوظيف مبنى نقابة الصحافيين فى خدمة شعارات تجار الدين وعملاء دول عربية.

لقد تحول مبنى نقابة الصحافيين، وأيضا المبنى المجاور للمحامين لصحف الحائط يكتبها أعوان الإرهاب، ولافتات فى كل يوم لتأييد الإرهاب (الوهابى).. وإذا تحدث هؤلاء فى نقابة الصحافيين باسمهم لأصبحت القضية هى قضية حرية رأى ولا اعتراض لأحد على أى رأى حتى لو كان صاحبه يؤيد أعداء الوطن.. لكن الذين يمثلون تيار الإرهاب باسم الدين فى نقابة الصحافيين.. لا يزيدون على ثلاثة أفراد.. ولا أقول أربعة.

كيف إذن استطاع ثلاثة أفراد داخل أهم نقابة للرأى فى مصر أن يسيطروا على ما يصدر عن نقابة الصحافيين من بيانات؟!!. وما يعلق على أدوارها من لافتات للتهييج السياسى ولخدمة أهداف تجار الدين ونظم أجنبية.

من أجل ذلك أقول: إن خلق رأى عام قوى ضد الإرهاب فى مصر يساعد على تصفيته، ولن يتحقق ذلك ما دامت الصحافة المصرية غير متوحـــدة.. ومـــا دامت غائبة عن القضية.. وما دام الإرهاب قد اخترق الإعلام!!.

*   *   *

إن منهج الإخوان المسلمين فى العمل السياسى باسم الدين لا يتغير منذ وضع لحسن البنا هذا المنهج للسيطرة على مصر كلها.

حدد الإخوان المسلمون منهج السيطرة على النقابات المهنية وغيرها من المؤسسات الأخرى فى الخمسينيات.. وليس هذا المخطط وليد الساعة بل إنه قـــديم كما تؤكد الوثائق.

فقد أعد الأخوان المسلمون جهازا خاصا للسيطرة على النقابات المهنية منذ أكثر من خمسين عاما وإخضاعها لهم، ونحن نرى الآن هذا الجهاز القديم يبعـــث من جديد فيبدأ فى نشاطه بالفعل، وينجح الإخوان فى السيطرة على نقابة المحامين ونقابة الأطباء والمهندسين والبقية تأتى.

كيف نشأ هذا الجهاز الخطير منذ عشرات السنين!؟.

لم يكن الجهاز السرى المسلح هو الجهاز الوحيد الذى أنشأه الإخوان مع بداية الأربعينيات لقلب نظلم الحكم بالقوة، بل إلى جانب هذا الجهاز الـــدموى الـــذى روع مصر كلها بحوادث النسف والقتل فى الأربعينيات والخمسينيات كان يوجد أجهزة أخرى مساعدة منها مثلا: جهاز المهن الذى يحـــرك أعـــضاء جماعـــة الإخوان داخل النقابات المهنية، وعلى خريطة العمل فى الحكومة وفى القطاع الخاص، وهو جهاز ضخم ومسئولياته خطيرة.

كان من بين الأوراق المضبوطة فى أوكار الإخوان المسلمين هذه الوثيقة التى كشفت عن أخطر جهاز أعده الإخوان لاختراق المصالح الحكومية والشركات والنقابات حتى الغرف التجارية والصحافة.. وتحت يدى الآن– الكلام للأستاذ على الدالى– هذه الوثيقة التى ضمت إلى ملف التحقيق فى جرائم الإخـــوان عـــام ١٩٥٤، وتقول الوثيقة: إن هذا الجهاز الذى أعدوه للسيطرة على النقابات المهنية وجميع الأنشطة الاقتصادية وعلى موظفى الحكومة، وقد قسم إلى عدة أقـــسام وفروع، وكل قسم يرأسه عضو قيادى من أعضاء الإخوان البارزين، فمثلا قسم المهندسين الذى يشرف على جميع أنشطة المهندسين، ويشمل نقابة المهندســـين وخريجى مدارس الفنون والصنائع يرأسه المهندس عبد القادر السيد العضو البارز فى الجماعة.

ثم يأتى فرع الأطباء ويشمل نقابة الأطباء، الذى يرأسه الدكتور محمد سليمان.

ثم يأتى فرع القانونيين أو المحاميين والقضاة وكل منتسب للقانون، وكان يرأسه عمر التلمسانى المحامى وهو (المرشد الراحل).

ثم فرع المعلمين ويشرف على حركة التعليم فى مصر وعلى كليات الآداب.. ويرأسه محمود عبده.

ثم فرع الزراعيين ويشرف على خريجى كليات الزراعة والمعاهد الزراعية، ويرأسه أحمد كامل ضو.

ثم يأتى فرع الصحافيين ويشرف على المشتغلين بالصحافة وعلى خريجى معاهد الصحافة، ويرأسه صالح عشماوى.

ثم فرع الموظفين ويشرف على موظفى الحكومة والشركات، ويرأسه محمود البراوى.

ثم فرع الاجتماعيين ويشرف على خريجى المعاهد الاجتماعية، ويرأسه أحمد كريم.

وفرع التجاريين ويشرف على كليات التجارة والمهتمين بالاقتصاد، ويرأسه حسن صادق.

وعلى رأس كل هذه النشاطات فى النقابات المهنية وغيرها توجد قيادة مسئولة ممثلة فى عضو مكتب الإرشاد محمد فريد عبد الخالق، وكان هو المسئول عن هذا الجهاز الضخم ويعاونه عبد المنعم أبو الفضل..

وأعد مكتب الإرشاد المخطط الكامل لهذا الجهاز، وحددوا أهدافه وهى السيطرة على أرباب المهن فى البلاد، ومن خلال أرباب المهن يمكن السيطرة على أجهزة الدولة سواء كانت حكومية أو قطاعا خاصا.. ولعل نشاط الإخوان المسلمين الآن وفى عام ١٩٥٢ داخل النقابات المهنية- وخاصة نقابة الأطباء ونقابة المهندسين ثم أخيرا نقابة المحامين، لعل هذا النشاط المكثف الواضح- يؤكد أن هذا الجهاز الخطير الذى أنشأه الإخوان المسلمون لا يزال يعمل بكل فروعه وأقسامه حتى اليوم وعلى مدى أكثر من خمسين عاماً.. ما معنى ذلك!؟ معنى ذلك أن جماعة الإخوان المسلمين لا تزال تنشط وتمارس نفس النشاط القديم.

وفى الوثيقة المضبوطة فى أحد أوكار الإخوان والتى تكشف عن هذا الجهاز، جاء بالحرف الواحد فى تقرير مرفوع من رئيس القسم المهنى فى الجهاز إلى الهيئة التأسيسية للإخوان بتاريخ أول أكتوبر عام ١٩٥٢:

((يجب نشر الدعوة بين أرباب المهنة الوحدة التى تشملهم إحدى النقابات، على أن يكون الهدف هو تدعيم مجالس هذه النقابات بشخصيات إخوانية فهمت الدعوة وآمنت بها)).

وفى مصر الآن نشاط مكثف للإخوان المسلمين داخل النقابات المهنية للسيطرة على الصفوة من أبناء مصر، على الصحافيين والمهندسين والأطباء والمحامين والمدرسين والتجاريين وكل أصحاب المهن، وهم الجسر الحضارى الذى يعبره الشعب إلى النهضة والرقى، وسيطرة الإخوان المسلمين على- الصفوة- معناها هدم هذا الجسر الحضارى وتوظيف الصفوة المصرية أو المثقفين المصريين فى عملية هدم الديمقراطية، وتنكيس رايات التقدم والرقى الإنسانى، أو بشغل أبناء الصفوة المصرية فى صراعات ومعارك وفتن، وما نراه من انشقاق فى بعض النقابات المهنية الهامة الآن ليس مصدره العناصر الشريفة من أعضاء هذه النقابات وهم أغلبية ساحقة، بل مصدره عناصر الإخوان وهم أقلية قليلة من دعاة الفتنة والهياج السياسى، وهم يحاولون الإعلان عن وجود قلاقل وشغب فى أوساط المهنيين وأصحاب المهن العليا.

أقلية لا تذكر تنتمى لجماعة الإخوان المسلمين أو إلى أجنحة الإخوان، ولكن الفراغ السياسى فى النقابات المهنية وعدم تواجد الأغلبية داخل هذه النقابات، وخاصة خلال إجراء الانتخابات قد أعطى للأفراد القلائل من المهنيين السياسيين المتسترين بالدين فرصة للتحرك حسب المخطط الموضوع لهم من خارج النقابة للسيطرة على هذه النقابات المهنية وتقدم الصفوف بين المهنيين، وأمامنا تجربة حية واضحة فى نقابة المحامين، فالأغلبية غابت عن الانتخابات وكانت النتيجة سيطرة الأقلية[١].

ولا جدوى من الصراخ حتى ولو جئنا بميكروفونات لتسمع جميع القوى السياسية الحقائق، وترى كيف يمضى الزحف السريع على النقابات المهنية فى مصر بمخطط إخوانى (وهابى) واضح ومكشوف، لأن الحزب الحاكم- وغيره من الأحزاب- لا تسمع ولا تتكلم، بدليل أن تواجدهم داخل النقابات المهنية أصبح معدوما يشجع ثلاثة أو أربعة من الصحافيين على التقدم للسيطرة بكل بساطة على مبنى نقابة الصحافيين فى أى وقت يشاءون باسم الحريات، حتى إذا اغتالت رصاصات الإرهاب مفكرا وكاتبا مصريا بسبب آرائه، لا ترى ولا تسمع أى صوت أو صورة للجنة الحريات الصحافية، ولا تعلق لافتات تدين الإرهاب.

ليس لهذا الموقف من تفسير إلا أن اللجنة تؤيد وتبارك اغتيال الكتاب الذين يناضلون بأرواحهم، ويتصدون وهم يحملون رؤوسهم على أكفهم لكشف الإرهاب وحماية الوطن منه، فهؤلاء ليسوا أصحاب رأى فى نظر لجنة الحريات فى نقابة الرأى، أما الذين يتقاضون ثمن مواقفهم من (الوهابية) فهؤلاء هم الأحرار وهم

(١) وصل الحال بنقابة المحامين فى عهد مجلس الإخوان إلى عدم القدرة على دفع المرتبات للموظفين، وجاء النقيب سامح عاشور بدون أغلبية الإخوان، فتمكن من توفير عشرات الملايين للنقابة، إلا أنهم تمكنوا فى الدورة الحالية (٢٠٠٥م) من تحقيق الأغلبية فى المجلس، مما ينذر بإعاقة عمل النقابة وتبديد أموالها كعادتهم، أو فرض الحراسة عليها.

الأبطال.

فساد الإخوان فى المهندسين:

وضع الحكم- الذى أصدرته محكمة القاهرة للأمور المستعجلة يوم الأربعاء (٢٢ فبراير ١٩٩٥) بفرض الحراسة على أموال نقابة المهندسين- الإخوان المسلمين فى مأزق حاد، بعد أن كشف عن الفساد المالى لهم فى النقابة التى يسيطرون على مقاعد المجلس بها، وأوضحت المحكمة فى أسباب الحكم الذى استند إلى تقارير الجهاز المركزى للمحاسبات بأن الخلل المالى فى حسابات النقابة وإهدار أموالها يجعل من فرض الحراسة واستبعاد يد القائمين عليها جائزا حتى لا يزداد ويتفاقم، وكشفت التقارير بأن صندوق المعاشات تعرض لخطورة بالغة بعد ضياع ١٣ مليون جنيه من ميزانيته، بالإضافة إلى إهدار الأموال فى أمور خارجة عن نطاق النشاط النقابى.. مثل ٤ ملايين جنيه كمصاريف لمؤتمرات دينية ورحلات خارجية حزبية، ومليونى جنيه ذهبت دعما من صندوق المعاشات إلى صندوق النقابة الذى فقد السيولة اللازمة لتسيير أمور النقابة، ومائة ألف جنيه صرفت لأعضاء المجلس كبدلات، و٨٨٠ ألف جنيه مصاريف إعلانات ودعاية لأعضاء المجلس.

وأضافت المحكمة التى ترأسها المستشار سيف الله محمود كسيبة: إن مجلس النقابة فقد شرعيته بعد أن انتهت مدة عضوية نصف أعضائه، ومع ذلك استمروا فى إدارة أمور النقابة لست سنوات بدلا من أربع، مما يخالف القانون، ذلك بالإضافة إلى الخلافات الناشئة بين أعضاء المجلس ونقيب المهندسين من جهة، وبين المجلس وأعضاء الجمعية العمومية من جهة أخرى، مما يهدد مصالح أعضاء النقابة ويجعلها معرضة للخطر، وهو الأمر الذى يجوز معه فرض الحراسة القضائية، وتعيين حارس قضائى يتولى رعاية تلك المصالح، وتدبير شئون النقابة طبقا للقانون، على أن يقوم هذا الحارس بالإعداد لإجراء الانتخابات لاختيار أعضاء المجلس الجديد.

وكشف الحكم القضائى عن ذلك الفساد السياسى الذى أدار به الإخوان أمور النقابة بعدما أخذت المحكمة بمذكرة الادعاء، والتى أوضحت تعنت مجلس النقابة فى عدم إجراء الانتخابات، وذلك بإرسالها كشوفا غير صحيحة بأسماء الناخبين إلى اللجنة القضائية المشرفة على الانتخابات، الأمر الذى جعل اللجنة تؤجل إجراءها أكثر من مرة لحين تصحيح الكشوف، وتوقيع النقيب عليها، مما خلق نزاعا حول إدارة النقابة، وخاصة بعد أن انعدمت صفة المجلس بإنهاء عضوية نصف أعضائه، وهو ما يجعل قرارات المجلس باطلة، مما يهدد مصالح النقابة بالخطر.

ولعل هذا الحكم يكشف عن أسباب معارضة الإخوان فى النقابات المهنية لتعديلات القانون (١٠٠).

والتى نصت على الإشراف القضائى الكامل على الانتخابات، الأمر الذى يغل أيديهم عن كشوف الناخبين وأموال النقابة خلال فترة الانتخابات.

وكانت لجنة المطالبة بحقوق المهندسين التى تشكلت فى ذلك الوقت برئاسة الدكتور عبد المحسن حمودة وعضوية المهندسين محمد حجازى، وفوزى ملاك، وإمام رجب، ومحمد عبد السلام السكرى، وإكرام لبيب عبد النور، وأحمد الأهوانى، وحلمى حنا الطويل، بالإضافة إلى عشرة آخرين، قد أقامت هذه الدعوى فى منتصف العام ١٩٩٤، ورفضتها محكمة أول درجة، ثم قامت اللجنة باستئناف الحكم، ثم انضم إليها ٤٠ مهندسا آخرين، وأرفقوا بعريضة الدعوى تقريرين للجهاز المركزى للمحاسبات كشفوا من خلالهما عن المخالفات المالية والإدارية بالنقابة، حيث أوضح التقرير الأول أن مجلس النقابة أعاق عرض تقرير الجهاز على الجمعية العمومية، بالإضافة إلى القيام بتفويض أمين عام النقابة ببعض اختصاصات المجلس الهامة، ومنها توقيع كافة عقود البيع والشراء للأراضى والسيارات والعقارات، والذى صدر به قرار فى غيبة النقيب، والذى امتنع عن حضور جلسات المجلس على مدى الشهور الأخيرة بعد خلافه مع باقى أعضاء المجلس.

كما كشف التقرير عن تضخم مصروفات النقابة وعجز مواردها الذاتية عن مواجهتها، وتغطية هذا العجز من أموال صندوق المعاشات.

بالإضافة إلى عدم توفير المستندات المؤيدة للمبالغ المصروفة كدعم للمؤتمرات، وعدم توفير سجل تحليلى لبدلات السفر، ومصروفات الانتقال، وبدل حضور الجلسات، وعدم تصوير مراكز حسابات معارض السلع المعمرة بالأقاليم، والتقصير فى اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحصيل الديون بنحو ١٣٠ ألف جنيه طرف الشركة المنظمة للمعرض.

كما كشف التقرير الثانى للجهاز المركزى عن إهدار كبير لأموال النقابة.. وتبقى أهمية هذا الحكم الذى يصدر لأول مرة فى تاريخ النقابات فى كونه الطلقة الأولى التى كشفت فساد الإخوان فى الانتخابات بحكم صادر من هيئة يتفق الجميع على حيادها.

ولعل الخطورة التى شعر بها الإخوان إزاء هذا الحكم أنه قد تبعه طلقات مماثلة فى نقابات أخرى، من المحامين، وأخرى من الصيادلة، لإقامة دعوى مماثلة لفرض الحراسة على نقابتيهما.

وخاصة أن تقارير الجهاز المركزى الخاصة بهما تكشف العديد من المخالفات والفساد المالى!!.

فساد الإخوان فى المحامين

نشرت مجلة (صباح الخير) الخميس ١٩٩٥/٣/٩ (العدد:٢٠٤٤) خبراً يقول: بلاغ جديد أضيف مؤخراً إلى تل البلاغات لدى نيابة الأموال العامـــة ضـــد ميليشيا الإخوان المسلمين بنقابة المحامين.. والبلاغ من شأنه كسابقيه أن يقدم أصحاب الأيدى المتوضئة والقلوب الطاهرة العامرة بالإيمان إلى محكمة الجنايات.

نبدأ بالمرور كراماً على مأساة حقيقية فى هذا الموضوع قبل أن نغترف قليلا من نهر فساد الإخوان، المأساة أن الحق عندنا لا يسترد ولو بعد حين حتى وإن كان ممن لا يحظون بأى احترام أو تقدير من أحد.

فها هى البلاغات الكثيرة التى تقدم بها محامون يتهمون القائمين على شئونهم بالنقابة، وبالتحديد سيف الإسلام حسن البنا ابن مرشد الإخوان الأول وأمين عام النقابة، ومختار نوح أمين الصندوق بالفساد وإهدار أموال النقابة، ودعمت اتهامهم هذا تقارير الجهاز المركزى للمحاسبات، لكن النيابة ورغم كل هذه الأدلة تجد نفسها عاجزة عن توجيه الاتهام المباشر قبل اتخاذ الإجراءات القانونية والتشكلية، حيث يتم إخطار الجهاز المركزى للمحاسبات بهذه المخالفات، ثم يتولى الجهاز التحقق منها، وكشف ما إذا كانت حقيقية أم لا.. ثم يرسل تقريره إلى النيابة العامة، وبعد طول انتظار تتولى النيابة التحقيق أولاً مع الموظفين الإداريـــين فـــى النقابة، ثم التحقيق بعد ذلك مع المسئولين النقابيين، وهو الأمر الذى لم يتم حتى الآن فى البلاغين رقمى ٧٤٩و٧٥٠ لسنة ١٩٩٣ حصر أموال عامة، والتى اتهم فيها صاحب البلاغ الجديد ممدوح تمام المحامى سيف الإسلام حسن البنا أمين عام النقابة، ومختار نوح أمين الصندوق، بالاستيلاء وتسهيل الاستيلاء على أموال النقابة، وهى الوقائع التى كشفها الجهاز المركزى للمحاسبات فى تقريره الأخير عن النقابة.

أتوقف عند هذه الجزئية التى لا أملك معها إلا التنويه، لكن الواقع يؤكد أن التباطؤ فى إجراءات التحقيق قد يشكك الكثيرين فى جدوى هذه الاتهامات.

والآن أضع بين أيديكم وقائع جديدة تجمعت لدينا مستنداتها ورقة تلو الأخرى حتى تمكنا من لم خيوط جرائم الإخوان المالية، ونهبهم الدائم لأموال النقابـــة، وأموال اليتامى والأرامل.

ونبدأ منذ أن استولى الإخوان على نقابة المحامين وشكلوا أغلبية مجلسها، ومنذ ذلك الحين كانت الخطة فى محورين يسيران فى خطوط متلاقية:

الأول هو التطهير على حد زعمهم، وهو عبارة عن تطهير النقابة ليس من أعضاء المجلس، ولكن من الموظفين والإداريين الذين قـــد لا ينتمـــون بـــالولاء للمجلس الإخوانى أو الجماعة بالخارج، ولذلك فقد تم التخلص من الكثير من الموظفين والإداريين منذ عام ١٩٩٢ وحتى الآن، وآخر هذه الوقائع محاولة مختار

نوح فصل آمال هيبة الموظفة بالنقابة (محامية) للتأكد، من أن ولاءها لأحمد الخواجة- نقيب المحامين آنذاك- وليس للإخوان، وهى المحاولة التى فشلت لموظفة ألبت عليه المحامين، وانتهت إلى درجة الإضراب عن الطعام.

ثم بعد التطهير يتم عملية الإحلال والتجديد، حيث يتم تعيين موظفين وإداريين وعمال جدد بالنقابة، ففى النقابة العامة تم تعيين ٦٩ شخصاً منذ اعتلاء الإخوان مجلس النقابة، وتم تعيين حوالى ١٢٠ فى النقابات الفرعية، كل ذلك من أجل تسهيل نهب أموال النقابة دون الخوف من تسرب أى شئ عنه .

لكن الأخطر هو اختيارهم للأطباء فى مشروع العلاج، والمهندسين فى الإدارة الهندسية وغيرها من هذه القطاعات الخدمية، فجميعها يمنحونها للإخوان وبمرتبات فلكية سيأتى تناولها بعد ذلك.

ومكمن الخطورة فى هذه المسألة الأخيرة هى الجريمة التى تجمعت مستنداتها تحت أيدينا، وتتضمن بلاغ الأموال العامة الأخير، وتكشف عن تورط أمين الصندوق والأمين العام والاستشارى الهندسى للنقابة فى نهب أموال المحامين.

بداية!

بدأت تفاصيل الجريمة عندما فكرت النقابة العامة فى تطوير نادى المحامين بالإسكندرية، ويأتى فى بداية هذا التطوير إنشاء مصدات مياه-حاجز للأمواج بالنادى- على شاطئ جليم .. وأوكلت النقابة إلى المهندس عمرو أبو الغيط الاستشارى الهندسى للنقابة- ويمتلك مكتباً استشارياً باسم (عمرانية للدراسات والتصميمات)، والكائن فى ٧٢٤ طريق الحرية.. لوران.. الإسكندرية، وسيأتى لهذا العنوان قصة فى غاية الأهمية-مهمة إنشاء هذه المصدات لحجز الأمواج، وأبرمت النقابة مع المهندس أبو الغيط عقداً تكفل فيه بالإشراف التام على جميع الأعمال الخاصة بالعملية، بدءاً من تحديد ما تتكلفه، ومن إعداد كراسات الشروط وإجراء المناقصة، انتهاءً بالإشراف على العملية برمتها حتى التسليم، وذلك مقابل نسبة ٢% من قيمة المستخلص الختامى للأعمال، وعليه تم الإعلان فى الصحف عن المناقصة بين شركات القطاع الخاص والعام، وتم طبع كراسات الشروط وحدد ثمن الواحدة ١٠٠٠ جنيه مصحوبة بتأمين قدره ٢% من قيمة العطاء، وتم تحديد يوم العطاء ١٩٩٣/١١/٣ ميعاداً نهائياً لفتح المظاريف فى نادى المحامين بالإسكندرية.

على هذه الحال فالكلام يسير على أتم وجه ودون أدنى مخالفة. المناقصة علنية تم الإعلان عنها بالصحف، ومن حق أى شخص أن يتقدم لها.

بالفعل وفى اليوم المحدد لفض المظاريف اجتمع نقيب محاميى الإسكندرية ومحمد حمدون وكيل النقابة العامة وممثلها، والاستشارى المهندس عمرو أبو

الغيط، وبفتح المظاريف وجد أن هناك أربع شركات تقدمت للمناقصة، اثنتان منها ذات كفاءة عالية وقدرة فائقة ومتخصصة فى مثل هذه الأعمال، وواحدة منها ليست على نفس المستوى، والرابعة هى عبارة عن مقاول باسمه.

وهذه الشركات هى شركة القناة للموانى والمشروعات الكبرى- قطاع عام-وذات كفاءة عالية ومتخصصة فى مثل هذه الأعمال، وشركة يافا للهندسة والمقاولات وأيضاً متخصصة فى مثل هذه الأعمال، ثم شركة "الحرم" للمقاولات ويمتلكها محمد أبو الناس وهى شركة متكاملة فى جميع الأعمال وغير متخصصة فى هذا النشاط، ثم كان المقاول عبد القادر خطاب عمرو الذى اعتذر عن دخول المناقصة وانسحب منها.

وقد تقدمت شركة القناة بعطاء إجمالى قيمته٣ ملايين و١١٥ ألفاً و٢٠٠ جنيه مشمول بخطاب ضمان بمبلغ ٦٥ ألف جنيه نسبة ال ٢% المحددة فى كراسة الشروط. وتقدمت "يافا" بعطاء قيمته ٣ ملايين و٥٠٥ آلاف جنيه و٤ آلاف جنيه كضمان مالى مع وعد باستكمال الضمان خلال ٤٨ ساعة. ثم شركة الحرم التى قدمت عطاء قيمته مليون و٤٩٥ ألف جنيه، وقدمت كذلك ٣٠ ألف جنيه عبارة عن نسبة ٢% الضمان كما هو موجود بكراسة الشروط.

وبهذه الحال فإن الوضع سليم، وأن من حق شركة الحرم أن ترسو عليها المناقصة لأنها قدمت أقل عطاء، ولكن بعد ذلك بدأت المفاجآت تنزل كالصواعق والحقائق تتضح وتتكشف، وأولها أن شركة الحرم شركة يمتلكها رجل من جماعة الإخوان مقاول يدعى محمد أبو الناس، ولذلك فإن كل ما سيأتى من مفاجآت يبرهن على أن كل هذه الأشكال لم تكن إلا لاستكمال الشكل القانونى.

فضائح!

فالفضائح تبدأ بخطاب من نقابة الإسكندرية إلى النقابة العامة يخطرها بأن المناقصة التى تم ترسيتها على شركة الحرم للمقاولات جرى بها أخطاء فى عملية حساب إجمالى العطاءات، لكن هذه الأخطاء بالطبع لن تكون إلا فى شركة الحرم، وقال الخطاب: إن إجمالى الرقم الصحيح لعطاء شركة الحرم ٢ مليون و٧٩٢ ألف جنيه وليس مليوناً و ٤٩٥ ألف جنيه كما كان أثناء فض المظاريف، وتعللت اللجنة التى أشرفت على فض المظاريف- جميعها من الإخوان- بأن الصفحة الأولى من الكميات الواردة فى تفريعة ما ستنفذه الشركة كانت مطموسة مما تسبب فى وجود هذا الفارق، وبالتالى طالب الخطاب باعتماد المبلغ الجديد للعملية، لأنه أقل أيضاً من عطاءات الشركات السابقة.

ويتضح من هذه المؤامرة الأخيرة أن القائمين على هذه المناقصة دهشوا من الفارق الهائل الذى تقدمت به شركة الحرم الإخوانية عن الشركات الأخرى، مما

يتطلب إعادة تصويب هذه الفروق، وكله لصالح الجماعة ولصالح الأخوة، لكن الأخطر من ذلك والثابت من خلال المستندات الذى يؤكد على أن هـذه المسألة برمتها كانت وهمية، وهدفها الأساسى امتلاء جيوب الجماعة- جماعة الإخوانى- من أموال اليتامى والأرامل وصغار المحامين، حيث يشير خطاب موجه من الاستشارى الإخوانى للعملية مهندس عمرو أبو الغيط إلى النقابة يطالبها بدفع مبلغ ٥٠ ألف جنيه لصاحب أقل عطاء قبل البت فى إجراءات العطاء كدفعة مقدمة للمقاول، وهو أمر يدل بذاته على صورية المزاد، وعلى النية السابقة للإخوان فى ترسية المناقصة على شركة الحرم الإخوانية.

ولكن يبدو أنهم يتعاملون مع أموال النقابة وكأنها أموالهم الخاصة، فهم لا يهتمون بالتغطية على هذه المخالفات والجرائم، فمسألة زيادة عطاء شركة الحرم التابعة لهم جرت دون أن يلتفتوا إلى أن خطاب ضمان الشركة فى المظروف الذى تقدمت به كان عبارة عن ٣٠ ألف جنيه بنسبة ٢ % من قيمة العطاء الأول الذى طمعوا فى زيادته.

المفاجأة الكبرى

كل ذلك والمخالفات على فجاعتها تبدو ضئيلة أمام هذه الصاعقة الأخيرة، وهى عبارة عن سر العقار رقم٧٢٤ طريق الحرية – لوران الإسكندرية.هذا العقار انكشف سره فى هذه المناقصة فكان هو نفسه عنوان شركة الحرم للمقاولات ومكتب عمرانية للدراسات والتصميمات، بنفس التليفونات والفاكس الذى يملكه المهندس عمرو أبو الغيط الاستشارى الهندسى للنقابة والذى تولى شئون العملية منذ بدايتها.

ومن هذه المفاجأة نعيد قراءة الجريمة الإخوانية بصيغة مختلفة، تبدأ من أن الإخوان وسيطرتهم على النقابة تمكنوا من الاعتماد على الأطباء والمهندسين الإخوان، ولذلك فعمرو أبو الغيط هو إخوانى أوكلت له النقابة شئون هذه المناقصة، فما كان منه إلا أن حدد ما تتكلفه هذه العملية، وتوقع ما ستتقدم به الشركات لهذه المقاولة، وتقدموا لشركة الحرم- التى يدخل فيها كشريك غير مشهر- بعطاء يعلمون تماماً أنه هو الرابح، وهو ما حدث بالفعل، ولكن عطاءات الشركات الأخرى والتى جاءت أكبر من التوقعات جعلت الإخوان يندمون على الفارق المذهل بين عرضهم، وعروض الشركات الأخرى، فكانت اللعبة الأخيرة وهى زيادة العطاء بحجة الخطأ فى حساب إجمالى القيمة، متناسين أن خطاب الضمان كان على العطاء السابق، وبالفعل تمكنوا من أخذ المناقصة بالزيادة الأخيرة، وبفارق يصل إلى أكثر من مليون جنيه، ذهبت إلى جيوب الإخوان، وكله من أجل عيون الجماعة ولصالحها فى النهاية.

التطهير والتمكين

نعود مرة أخرى إلى مسألة التطهير التى اتبعها الإخوان منذ أن سيطروا على مجلس النقابة قبل ثلاث سنوات، والتى تلخصت فى عملية استبدال موظفين جدد من الإخوان المسلمين بموظفي النقابة القدامى الذين لا يثقون فى ولائهم أو انتمائهم للجماعة.

وتكشف المستندات أن مجلس الإخوان قام بتعيين ٦٩ شخصاً بالنقابة العامة بين موظف وإدارى وعامل، و١٢٠ آخرين فى النقابات الفرعية جميعهم من أعضاء الجماعة، وجميعهم أيضاً تم تعيينهم بمعرفة الأمين العام سيف الإسلام حسن البنا، أو بمعرفة مختار نوح أمين الصندوق. أو الأمين العام المساعد للنقابة .. لكن المستندات أيضاً تكشف عن تفاصيل أكثر خطورة فى هذه المسألة وهى المرتبات وإغداق الأموال عليهم، وتوزع فى هذه الحالة على حسب الانتماء والولاء، وليس على أقدمية التعيين أو الكادر الوظيفى، وعند قراءة هذه المستندات قراءة متأنية تم اكتشاف تعيين عصام مصطفى محمد موظف بالنقابة فى سبتمبر ١٩٩٣ بمرتب ٣٢٠ جنيهاً. وزاد هذا المرتب فى شهر ديسمبر ١٩٩٤، أى: بعد سنة إلى ٦٣٤ جنيهاً، أى: انه إذا زاد بهذا المعدل كل عام فإنه سيصل إلى آلاف الجنيهات خلال أعوام بسيطة.

كما أن موظف السويتش ويدعى عبد الرازق إبراهيم، والذى تم تعيينه فى إبريل١٩٩٣ بمرتب ٢٢٩ جنيهاً، وصل مرتبه وفق مرتبات ديسمبر ١٩٩٤م إلى ٤٩٨ جنيهاً، أى: بزيادة تصل إلى حوالى ١٢٠% .

وهكذا إذا سرت على هذا المنوال تقارن بين مرتبات الموظفين الذين تم تعيينهم منذ عام ١٩٩٢ وتقارنها بمرتباتهم فى ديسمبر ١٩٩٤، فإنك تستطيع أن تتأكد بسهولة من هو الإخوانى من غير الإخوانى استناداً إلى القفزات الجنونية التى تحدث لمرتبه، وكأن هذه الأموال أموال الجماعة ينفقون منها على أعضائها كما يشاءون.

هذه التجاوزات جعلت النقابة تمر بأسوأ عهودها المالية، فاستغلال الإخوان لأموال النقابة فى الإغداق على أنصارهم يتم على قدم وساق، وكأنها تركة لابد أن ينهلوا منها قدر ما يستطيعون، ولذلك فقد قام أمين الصندوق فى فك وديعتين كانتا باسم صندوق المعاشات والإعانات، وتم تسيير قيمتهما فى الحساب الجارى للنقابة الذى ينفقون منه على أعضاء الجماعة.

وقد بلغت قيمة هاتين الوديعتين، الأولى كانت المستحقة فى فبراير ١٩٩٥م بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه، والثانية ومستحقة فى نفس الفترة بمبلغ ٢٥٠ ألف جنيـه، أى أنهم نهبوا من أموال اليتامى والأرامل والعجزة من المحامين ٤٥٠ ألف جنيه سيلوها فى أموال النقابة العادية، بالمخالفة لكل القوانين، ولمـا يدعونـه مـن طهارة اليد!!.

كل ذلك من أجل أن ينفقوا على أنصارهم الذين يتجمعون تحت لجنة الشريعة الإسلامية، ولجنة المرأة التى شكلت بغير قرار من المجلس وترأسـها بـشرى عصفور، وتكشف المستندات عن فضيحة فى هذا السياق لهذه اللجنة حيث صرفت النقابة لهذه اللجنة شيكاً بعشرة آلاف جنيه برقم (١٠٧٧) من أجل عقد مؤتمر المرأة الثانى فى محافظة الدقهلية.

هذا بالإضافة إلى مخالفاتهم المرتبطة فى عقود المستشفيات التى فسخوها، والعقود الجديدة التى أبرموها مع مستشفيات يمتلكها عناصر منتمـون للإخـوان، ولذلك فإن المهندسين يتم الإتيان بهم من المهندسين الإخوان والأطباء وكذلك، والموظفين حتى العمال من أجل حل مشكلة البطالة لديهم.

انتهى الكلام عند هذا الحد، وانتهت قراءتنا للمستندات، ولكننا لا نضن بها على أحد، ونهديها إلى من يعنيهم الأمر، كما نقدمها إلى جموع المحامين ليكتشفوا حقيقة الأيدى المتوضئة فى نقابتهم.

نقابة الأطباء اليوم

منذ فترة اختطفت عناصر جماعة الإخوان المسلمين المحظورة نقابة الأطباء، التى أصبحت الآن تكون فرعاً جديداً فى القاهرة لحركة حمـاس الفلـسطينية- بالرغم من أن مؤسس حماس الشيخ أحمد يس صرح فى لقائه بقناة الجزيرة القطرية أنه لا ينتمى لجماعة الإخوان المسلمين- بالطبع لـم يعـد للنقابـة دور أو محاولات لعب دور حقيقى فى إنقاذ مهنة الطب. والارتقاء بمستوى أطبائها .. فكل الاهتمام انصب على خطب حماسية بدائية، وشعارات فقدت بريقهـا، وأداء مترهل يحيل شارع القصر العينى- مقر النقابة- إلى علبة سردين كل يومين تقريباً.

النقابة تحولت إلى مرتع للإخوان يفعلون بها ما يشاءون. يعقدون فيها الندوات والمؤتمرات التى تخدم خططهم فقط، وتحول نقيب الأطباء من متفرج علـى تصرفاتهم إلى مؤيد لهم خوفاً من أصواتهم الانتخابية التى يحرص عليها. حتى أن الاحتفالات التى تشهدها النقابة اقتصرت على احتفـالات التنظـيم العـالمى

لجماعة الإخوان لا بمبادئها فقط – مثل يوم الشهيد، ويوم المجاهد، ويوم الأرض، ويوم سقوط القدس، ويوم الاستقلال، وغيرها من الأيام التى يشهدها شـــارع القصر العينى نتيجة لاحتفالات الإخوان المسلمين بهذه الأيام.. وهى احتفالات تقيمها أيضاً حركة حماس فى فلسطين. ونحن لسنا ضد الاستشهاد فى ســبيل الله والوطن، ولسنا ضد استقلال فلسطين. بل كلنا نقف معها ونحرص على الشهادة فى سبيل تحريرها.

لكن نقابة الأطباء خرجت عن الخط المعمول لها.. وهو العمل من أجل رفعة النقابة وخدمة أبنائها الأطباء.. وتفرغت لرفع الشعارات السياسية التى لم يكــن من الواجب وضعها داخل نقابة مهنية، من المفروض أن مجلسها مجلس خدمى..

تزييف الحقائق

كما رأينا مرشد الإخوان الأسبق حامد أبو النصر وهو يزيف الحقائق ويقول: (إن دعوة الإخوان بالحكمة والموعظة الحسنة) وقد فندنا هــذه المــزاعم فـــى الفصل الثالث من هذا الكتاب.

نرى الآن المرشد الحالى محمد مهدى عاكف وهو يواصل مسلسل التزييف التاريخى للحقائق الثابتة فى المحاكم عن دور الإخوان فى النقابات، ويقول كلاما عار تماما من الصحة، نشرته صحيفة الأنباء الدولية يوم الثلاثاء ٢٠٠٥/٦/١٤م، وهو بالحرف الواحد: (الحكومة تخشى من وجود الإخوان فى جميع المجالات، وكل النقابات غير شرعية منذ ١٢ عاما بسبب قوانين الحكومة التى تهدف فى الأساس لإبعاد الإخوان عنها، وهذا يؤكد تواجدنا الكبير فى الشارع، وخــصوصا فى القطاعات المثقفة والمميزة، فتواجدنا فى نقابة المحامين لا يقبل الجدل، بالرغم مما يواجهنا من عراقيل حكومية، وكان تواجد الإخوان فى المهندسين كبيرا، فدورهم لا ينسى فى كشف الفساد (تأمل) الذى ما زال يسيطر عليها من جراء وضعها تحت الحراسة، وعدم إجراء انتخابات حرة نزيهة.. وواصل تزييفه عــن دور الإخوان فى نقابة الأطباء) ويكفى ما سقناه فى هذا الفصل عن فساد الإخوان داخل النقابات لفضح هذا التزييف الإخوانى للحقائق.

الفصل السادس

التنظيم الدولى للوهابية

التنظيم.. أى تنظيم ليس كما تتخيله أنت أو أى شخص فى إدراكك للأمور.. ولكن التنظيم.. أى تنظيم يجب أن تنظر إليه من مفهوم واضعيه.. وأن تسبر غور أهدافهم ومراميهم.. وتطور أساليبهم.. من هنا يبدو التنظيم الدولى للوهابية مختلفاً، يقوم على تقوية التنظيمات المحلية.. ثم الانتشار فى أماكن جديدة.. ثم ربط كل ذلك بشكل من الصعب رصده.. أى الممثلين المنوط بهم الاجتماع عالميا لوضع السياسات.. وتقرير الوسائل.. واتخاذ القرارات.

وأول ما فعلوه أن أصبحت تلك اللقاءات تتم دوريًا فى أى مكان فى العالم يتفق عليه، وفى أحد الفنادق، أو فى ضيافة إحدى المنظمات دون إلقاء الضوء عليه.. وقد استفادوا فى ذلك من احتكاكهم بالعالم واستيعابهم الوسائل المختلفة، ودراساتهم التى قاموا بها للمنظمات اليهودية وتاريخها.. وتطويرها.. أخذوا هذا الأسلوب من ممارسات النوادى العالمية مثل: الروتارى، أو الليونز.. فهى نوادى عالمية تؤدى عملها دون أن يكون لها مقر ثابت.

إلى جانب أن الإمكانات المادية الضخمة التى تحت أيديهم، جعلت استخدام أحدث وسائل العصر مثل الكمبيوتر والإنترنت واستعمالاتهما لتساعدهم فى جمع وحفظ المعلومات وتحليلها واتخاذ القرار بمساعدتها.

وقد أنشأوا مراكز عديدة لهم فى أمريكا وألمانيا والنمسا وانجلترا، ويتم التنسيق بينها سنويًا فى موسم الحج(١).

بداية التنظيم الدولى

بدأ التنظيم الدولى بالمؤتمر السنوى الذى عقد عام ١٩٧٥ بجامعة أنديانا بولس فى أمريكا، وهذا المؤتمر ضم عدد من كبار ومشاهير الدعاة، على رأسهم مسعود الندوى وهو مفكر هندى من جيل أبى الأعلى المودودى، وكذلك الشيخ يوسف القرضاوى الغنى عن التعريف، والذى كان قد فصل من تنظيم الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤، لكنه ظل فى الساحة يعمل بانتظام، وكذلك الدكتور جمال بدوى الذى يعمل أستاذاً فى جامعة أنتاريو بكندا، والذى كان مندوب الطلبة فى

(١) لاحظ أن ذلك يتم فى السعودية بلد الوهابية، وهنا تتجمع كل الخيوط التى بدأنا بها هذا الكتاب.

الخمسينيات بجماعة الإخوان المسلمين فرع الجيزة، وكذلك الأستاذ صالح أبو رقيق والحاجة زينب الغزالى، والدكتور عبد الرحمن خليفة وكيل وزارة الأوقاف الأردنية، والشيخ عبد الله العقيل الكويتى الجنسية والذى يقوم بدور كبير فى التمويل.

لقد كان ذلك المؤتمر إحدى الوسائل التى تم بها تأسيس وتدعيم التنظيم الدولى للوهابية.. وبدأ وكأن رموز التنظيم يقومون بعمليات انتقاء وتربية كوادر وبحث وتمويل، وتقوية علاقات ببعض الدول من خلال هذا المؤتمر، وقد حضره تنظيمات إسلامية متعددة منها:

- ((**حزب التحرير الإسلامى**)) وهو جماعة أسسها فى الأردن تقى الدين النبهانى، ويعتبر أعضاء هذا الحزب أنفسهم أبناء أمريكا.

- ((**جماعة التبليغ والدعوة**)) مقرها الرئيسى فى دكا عاصمة بنجلادبش، ويروج أصحابها لدعوة إسلامية مخلوطة بالهندوكية، ويصفون أنفسهم بأنهم مسلمون لا يخاصمون الحكام.. وينكرون الجهاد بمعنى القتال، ويستبدلونه بالخروج للدعوة فى سبيل الله ثلاثة أشهر كل عام، وهم بهذا ينكرون المعلوم من الدين بالضرورة.

- ((**جماعة الإخوان المسلمون**)) وهى تنظيم انقلابى، وأول من حرَّف معنى الجهاد فى العصر الحديث بأن جعله ضد المسلمين، وقد ولدت جميع قوى التطرف فى كنفها كما بينا فى الفصل الثالث من هذا الكتاب.

- ((**الحركة السلفية**)) الواردة من السعودية تحت اسم ((**رابطة العالم الإسلامى**)) وهى جماعة شبه حكومية تروج لأفكارها من خلال أنشطة خدمية على مستوى العالم.. مثل بناء المساجد وتوزيع المصاحف- لكنها لا تهتم بالأمور التنظيمية- وإن كانت تملك ميزانيات ضخمة لترويج الفكر الوهابى.

- ((**التيار الشيعى**)) وهو تيار ضخم استقطبته الوهابية، لا يمكن إنكار وجوده، أو إغفال دور أفراده فى التنظيم الدولى.

واجبات التنظيم الدولى

١- نشر الدعوة فى الدول التى أنشئت بها تنظيمات، ومحاولة الزحف إلى دول أخرى لفتح مراكز بها.. على غرار الأسلوب الذى اتبعه الإخوان فى الأربعينيات فى سياسة فتح شعب للجماعة فى جميع مدن وقرى مصر.

٢- إدارة الحركة السياسية العالمية لصالح المنظمات الوهابية، والضغط على المراكز الدولية الحساسة لتساعد فى تحقيق مكاسب أو الاتصال بهيئات دولية

لرفع الضغط عن أعوانهم فى أى بلد تحدث فيه اضطرابات مثل هيئات حقوق الإنسان، ولقد كان أبرز ما حدث سرعة وصول ممثلى لجنة حقوق الإنسان التابعة لنقابة المحامين بمناسبة وفاة عبد الحارث مدنى، واعتقال عدد من الإخوان التى خرجوا للتظاهر على القانون (٧٦) بشأن انتخاب رئيس الجمهورية فى مـــصر، فقد كان ذلك مثالاً على سرعة تحرك التنظيم الدولى للوهابية.

٣- رعاية الثروة الخاصة بالتنظيم وتنميتها لزيادة الدخل وتوظيف مزيد من المال، ومعرفة كيفية استخدام تلك الأموال.

٤- إقامة المشاريع المختلفة، ومنظمات إسلامية منبثقة عن التنظيم الأم.. وقد أقيم اتحاد المساجد العالمى برئاسة الشيخ عبد الله العقيل الذى يشرف على جمع الأموال لبناء المساجد فى العالم، وهى تعتبر مراكز تجمع للمسلمين يتم استقطاب العناصر الصالحة منها خلالها، وكذلك أقيم مؤخراً الاتحـــاد العـــالمى لعلمـــاء المسلمين برئاسة يوسف القرضاوى، ويدخل فى ذلك الدخول فى أية منظمات إسلامية أخرى وتوجيهها فى نفس اتجاه التنظيم الوهابى الدولى وربطها بالنـــشاط تدريجيًا.. وخاصة المنظمات التى لها كيانات حكومية معترف بها، وكمثال لذلك الجمعية الشرعية، وجمعية أنصار السنة المحمدية فى مصر.

٥- مساعدة الحركات التى تواجه صدامًا مسلحًا من أى نوع، بالدعم المالى وتهريب الأسلحة، ووقوف التنظيم فى الحرب فى أفغانستان خير دليل على مـــا نقول، وكذلك الدعم المتصل لجبهة الإنقاذ الجزائرية بالمال والسلاح، وإيواء الهاربين فى الخارج ليس سوى دليل آخر على ذلك، وتمويل الإرهـــاب والعنـــف والقتل فى مصر دليل ثالث، والاتصال والتنسيق مع بعض المنظمات الأخرى مثل التنظيم الفلسطينى الدولى.. وبعض المنظمات الدولية الأخرى مثـــل الجـــيش الأيرلندى والجيش الأحمر اليابانى.. وغيرها من منظمات المافيا الإيطالية، وذلك لقصد تبادل العمليات أحيانًا، وبقصد التمويه على الأطراف الأخرى فى أحيان ثانية ((مذكرات على عشماوى- روز اليوسف، العدد: ٣٤٦٣)).

مصادر التمويل للتنظيم الدولى

١- مؤتمر الكويت

عقد مؤتمر عام ١٩٨٩ بالكويت لرجال المال المسلمين من جميع الدول الإسلامية لوضع القواعد المالية للتنظيم الدولى، وتم الاكتتاب فى مبلغ هائل بالدولار الأمريكى- مليار دولار- ليكون نواة للصرف على النشاط الدولى، وكان نجم هذا المؤتمر الشيخ يوسف القرضاوى، خاصة بعد أن أصبح أحد المقربين من بنك

فيصل الإسلامى.

وأسفر المؤتمر عن تدعيم أسامة بن لادن الإرهابى الوهابى الشهير، والذى أصبح همزة الوصل بين المتأسلمين والمجاهدين ضد روسيا فى أفغانستان.. وبين كل من الحكومات الخليجية والمخابرات الأمريكية.. وخاصة أن رجال المال وفروا له الأسلحة من جميع أنحاء الأرض، والتى وفرت فى المقابل أرباحًا بالملايين للوسطاء بين التجار ودول الخليج والمخابرات الأمريكية والتنظيم الدولى.

٢- تمويل مليونيرات الإخوان فى العالم للتنظيم

– فى سويسرا: إبراهيم صلاح، وسعيد رمضان ((إخوان مسلمون)).

– فى انجلترا: محمد فتحى ((إخوان مسلمون)) رئيس تحرير مجلة أرابيا.

– فى أمريكا: عثمان تتشين، وسمير سعد الدين، ود.مجدى زهدى، وعبد العزيز شرارة ((إخوان مسلمون)).

– فى السعودية: مناع قطان، وصالح غانم، وفتحى الخولى، ومحمد صلاح الدين ((صحفى))، وصلاح الشربينى ((وجميعهم إخوان مسلمون)).

– فى قطر: سليمان الستاوى، وقد عاد بعض الوقت إلى مصر فبنى معهدًا أزهريًا فى بلده كوم النور أعطاه للأزهر ليشرف عليه بينما هو يرأسه، وهى الفكرة التى ينفذها أغنياء الإخوان العائدون من الخليج ليضمنوا مكانة بين الناس، ويدعموا التحالف مع الأزهر.

– فى الإمارات: رجاء النقاش، وعز الدين إبراهيم، ومصطفى العالم، وعشماوى سليمان، وعلى فودة، والشيخ سيد سابق، ومحمد قطب شقيق سيد قطب، والدكتور على جريشة، وأحمد عبد المجيد عبد السميع ((وجميعهم من الإخوان المسلمين)).

– فى الكويت: عبد القادر حلمى، ومحمود أبو شلوع، وعلى صديق، وعشيرى عبد السلام ((إخوان مسلمون)).

– فى فرنسا: الشيخ على إسماعيل، وحميدة قطب المسؤلة عن مشكلة الحجاب بفرنسا، والملياردير الكويتى عبد الله العلى.

٣- سرقة أموال التبرعات

صناديق التبرعات منتشرة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى وخصوصاً السعودية، فقد جمعوا مبالغ لا طائل لها لأفغانستان، ومن بعـــدها جـــاءت صـــناديق البوسنة، وصناديق فلسطين، وبعضها يرسل إلى جبهات القتال وأغلبها لصالح الأنشطة السرية والحسابات الخاصة، أو أن تسرق بكاملها فى أحوال أخرى، وقد أسند هذا العمل فى مصر إلى لجنة الإغاثة بنقابة الأطباء التى يقوم عليها الإخوان المسلمون.

وهكذا يذكرنا بما فعله الإخوان المسلمون أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ حيث جمعوا التبرعات واشتروا بها ترسانة أسلحة لتساعدهم فى الاســتيلاء علـــى الحكم.

٤- توظيف الأموال

فكرة شركات توظيف الأموال مصدرها سويسرا، حيث توجد جمعيات تعاونية يساهم فيها الأفراد بأموالهم مقابل أن يشتروا منها السلع بهامش ربح ضعيف.. وبهذا فإنهم يحصلون على السلع بأسعار منافسة، وبالتالى يضغطون على التجار الآخرين فتنخفض الأثمان.. ويحدث نوع من التوازن السعرى. إنها فكرة براقة للغاية أخذ الإخوان المسلمون- مؤسسوا التنظيم الدولى للإرهاب الوهابى- إطارها الخارجى ثم عبئوه بالسموم. درسوا هذا النظام وطوروه، ووجدوا أنه يمكـــن تقديمه كشكل إسلامى.. وعثروا فيه على فرصة لجمع مدخرات المصريين فى الخارج، ومنع الدولة من الاستفادة منها.. فضلاً عن أنه يسمح لهم باستثمار تلك الأموال، فإذا ما أرادت الحكومة ضربهم فإنها لن تقترب منهم لأنها فى الواقع ضربت ثروة أبنائها، وبالتالى ينقلبون عليها وينقمون.. فى حـــين تبقـــى أمـــوال التنظيم فى أمان تام خارج الحدود. وبدأ تطبيق هذه الفكرة كل من (م. هلال) وعبد اللطيف الشريف وأحمد الريان.. وخاصة أنهم من رجال المال والأعمـــال.. أيديهم فى السوق.. ولديهم خبرة متميزة.. أما الأول فيعمل فى السعودية منذ فترة طويلة، وأما الريان فله سمعة كبيرة فى مجال تهريب أموال العاملين فى الخليج بنظام المقاصة، وقد اكتسب ثقة متميزة بين الناس لأنه أسرع وأوفر من البنوك.. وأما عبد اللطيف الشريف فكان يعمل مع الكيميائى الإخوانى محمد خليل شرف الدين الذى كان قد استثمر بنجاح أموال الإخوان فى مصنع لإنتاج أقلام الرصاص، وعندما بدأ توظيف الأموال عمل محمد خليل شرف الدين مديرًا فنيًا لشركة الشريف للبلاستيك. وفى حين غرق الناس فى وهم الأرباح الزائفة الضخمة، كانت الأموال تصب فى بيوت المال المتأسلمة فى الخارج، وفى بنوك مـــن نفـــس

النوع، حيث تستخدم فى مضاربات على سلع استراتيجية قد تصل أرباحها إلى ٤٦%.. وهى مضاربات لا يمكن أن تتم بعيداً عن بيوت المال الدولية الكبـــرى سواء كانت أمريكية أو أوروبية وكلتاهما يسيطر عليها اليهود. وكانت أرباح هذه الأموال تسخر فى خدمة التنظيم الدولى الوهابى.

مؤتمر الخومينى وتطور التنظيم

بعد نجاح ثورة الخومينى وجه دعوة لزعماء الحركات والدعاة فى العالم أجمع لحضور مؤتمر تحت رئاسته للتفاهم على شكل العمل فى المرحلة المقبلـــة.. وقد حضر هذا المؤتمر.. الأستاذ عمر التلمسانى (مرشد الإخوان المسلمون بمصر)، والدكتور حسن الترابى (السودان)، وراشد الغنوش (تونس)، وعلى بلحـــاج (الجزائر)، ويوسف القرضاوى، والدكتور جمال بدوى عن كندا، ومحمد قطب شقيق سيد قطب، وفاروق القاضى عن أمريكا، وعصام العطار (زعيم الإخـــوان المسلمون فى سوريا) عن ألمانيا.

وأغلب هؤلاء كما نرى هم زعماء الإخوان فى بلادهم، جاءوا بتعليمات من الوهابية بقصد احتواء الثورة الإيرانيـــة، وتـــسخيرها لخدمـــة أهـــدافهم، إلا أن المطالب الإيرانية، تعارضت فى بنود كثيرة مع المصالح الوهابية، لكن الإخوان لا يضيعون فرصة للاستفادة الخاصة بهم.. وقد كان مع كـــل مـــنهم أعـــضاء آخرون على هيئة وفد.. إلى جانب ممثلين عن المنظمات فى الهند و الباكستان وبنجلاديش ولندن وألمانيا الغربية والنمسا ، كان مؤتمراً ضخماً بمعنـــى الكلمـــة وكان من أهم الموضوعات التى ركز عليها الآتى:

١- تنشيط الحركة الثورية فى باقى بلاد المسلمين .. والدعم جاهز.

٢- العمل السريع على إسقاط أنظمة الحكم الرجعية فى الخليج وغيره، وهذا الذى حدا بدول الخليج إلى إقناع صدام حسين بالهجوم على إيران، وفعلاً قـــام العراق بمهاجمة إيران، فى حرب استمرت ثمان سنين، فقد فيها الطرفان أرواحاً كثيرة ومعدات أكثر.. ودفعت فيها دول الخليج ثروة طائلة، وفى النهاية خـــرج الطرفان فى حالة إجهاد ودمار .. وقد كان الغرب يمول الطرفين بالأسلحة حتى تستمر الحرب أطول فترة ممكنة.

٣- تقوية الكوادر التى تعمل فى الحقل الدولى لتقوم بالمساندة عند اللزوم، وهى تعنى أنهم مطالبون بإثارة القلاقل فى أكثر من مكان فى العالم لتغطية القيام بعمل فى مكان آخر، أو تصفية العملاء المارقين، أو نسف بعض المنشآت عند اللزوم.

٤- العمل على تكوين لجان لدراسة الفقه الإسلامى الشيعى والسنى للتوفيق بينهما، وقد قام الشيخ القُمّى بزيارة مصر لهذا الغرض ولكنه لم يوفق.

٥- العمل على تحرير الأراضى المقدسة الموجودة فى مكة والمدينة من سلطان آل سعود ووضعها تحت إشراف مجموعة من الدول الإسلامية.

ماذا بعد مؤتمر الخومينى؟

بعد مؤتمر الخومينى كانت اللقاءات مستمرة بين عمر التلمسانى و الغنوش و عباس مدنى و على بلحاج، و كانت فى نفس الوقت تحدث لقاءات بين الغنوش و الترابى للتنسيق بين الجميع فى الخطوات المقبلة.. وقد كان أحد غطاءات تلك اللقاءات هو دعم مجاهدى أفغانستان.. وبعد أن قررت أمريكا دعمهم بكل الوسائل، وقيل وقتها: إن الولايات المتحدة الأمريكية فى النهاية يمكن استقطابها إلى جانب القضايا الإسلامية، ولكن العكس كان الصحيح. وفتحت معسكرات التدريب فى السودان واليمن وباكستان لتدريب المتطوعين الذين يرغبون فى الذهاب إلى أفغانستان، ومع فتح المعسكرات وفتح الإمداد الأمريكى.. فتحت صنابير الذهب السعودى على مصراعيها لهذا الدعم.

وقد شهدت هذه الفترة ولادة نجم من نجوم التنظيم الدولى الوهابى للإرهاب وهو أسامة بن لادن السعودى الجنسية، والذى ذهب ليقود المتطوعين فى أفغانستان، وما تلى ذلك من أحداث إرهابية اشترك فيها.

وبهذه المناسبة ينبغى شرح تلك الظاهرة فهذا إنتاج سياسة من السياسات التى اعتمدها الإخوان المسلمون منذ زمن طويل.. وهى استعمال مدرسى الإخوان فى التركيز على أبناء تلك العائلات .. وعلى الأمراء الذين يتصادف وجودهم كتلاميذ بين أيديهم، حيث يتم بناؤهم بالطريقة التى يريدون، وهكذا كان ابن لادن تلميذاً تم غسل مخه وتجهيزه للقيام بالعمل المطلوب فى الوقت المطلوب.. وتسخير كل إمكانات عائلته ونفوذها فى سبيل خدمة الجماعة.

وقد ساعدت ابن لادن طبيعة شخصيته.. التى تميل إلى العنف، والتى تتسم بالدهاء الشديد والمعرفة الجيدة لكيفية استغلال جهد الآخرين.. ولذلك فطوال قيادته للفريق العربى فى حرب أفغانستان.. كان جميع المحيطين به أثناء العمليات.. لا يعرفون أية تفاصيل، ولكن كل يؤدى دوره.. حتى الأسماء التى لمعت مثل:

خالد الاسلامبولى.. وأيمن الظواهرى.. وحتى عمر عبد الرحمن.. فقد كان كل منهم يلعب الدور الذى فرضه عليه أسامة بن لادن[١] مستعملاً فى ذلك سيف المعز وذهبه، وهى سياسة يجيدها من نشأ نشأته. (مذكرات على عشماوى، المرجع السابق).

آخر علامات الاستفهام والتعجب

نشرت صحيفة عقيدتى يوم الثلاثاء ٣ مايو ٢٠٠٥م، وكذلك صحيفة صوت الأزهر يوم الجمعة ٦ مايو ٢٠٠٥م خبراً يقول: (رفض مجلس البحوث الإسلامية بالأزهر ما يردده البعض بإلغاء الحدود الإسلامية تحت دعوى أنها معطلة، لأن ذلك ترك لما هو معلوم من الدين بالضرورة، ومن ينكر ذلك يعتبر خارجا على ملة الإسلام.. وسبب مناقشة هذه القضية ورود سؤال من المسلمين فى لندن لأخذ رأى الأزهر فيها).

ولكن علامة الاستفهام والتعجب، ممن وراء دعوى إلغاء الحدود الإسلامية، إنه طارق سعيد رمضان.

أتدرون من هو طارق سعيد رمضان؟

إنه حفيد حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين.

وختاماً

بوجود هذا التنظيم الدولى نقول: إن المخطط البريطانى للملك عبد العزيز آل سعود- بنشر الوهابية فى العالم- قد تحقق على يد الإخوان المسلمين.

فيا أمة الإسلام: حكامًا وشعوبًا هذه هى حقيقة التنظيم الدولى للإرهاب الإخوانى الوهابى تديره أمريكا ودول أوربا سياسيًا، ويديره اليهود اقتصادياً، واستخدموا أبناءنا لتنفيذ ما يريدون منا.. فهل آن الأوان لنا أن نفيق؟ .. وإلا ..

(١) راجع ما ذكرناه فى الفصل الثالث من هذا الكتاب.